ديوان مجنون ليلى

قيس بن الملوّح

جمع الإمام أبي بكر الوالبي رحمه الله

حققه وعلق عليه وقدم له

محمد إبراهيم سليم

دار الطلائع

obeikandl.com

اسم الكتاب

ديوان مجنون ليلى

اسم المحقق

محمد إبراهيم سليم

رقم الإيداع

٢٠٠٥/٨٦٧١

977 - 277 - 392 -9

تصميم الغلاف

إبراهيم محمد إبراهيم

للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبدالحكيم الرفاعى - مدينة نصر - القاهرة

تليفون: ٢٧٤٤٦٤٢ - ٦٣٨٩٣٧٢(٢٠٢) فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣(٢٠٢)

Web site : www.altalae.com E-mail : info@altalae.com

● جميع الحقوق محفوظة للناشر ●

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أى جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

طبع بمطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت : ٦١٠١٠١٣ فاكس : ٦١٠١٥٩٩

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعى للنشر والتوزيع

ص . ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف : ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ فاكس : ٤٣٥٥٩٤٥

جدة - تليفون وفاكس : ٦٢٩٤٣٦٧

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يقول شاعرنا العربى :

لا يَعرِفُ الشَّوقَ إِلَّا مَن يُكابِدُه وَلا الصَّبابَةَ إِلَّا مَن يُعانيها

وها هو ذا « ديوان مجنون بنى عامر » قيس بن الملَوَّح ، « صاحب لَيْلَىٰ العامرية » وقد جمع فيه « الإمام الوالبى » ما تناهى إليه من أخبار المجنون وأشعاره مبينًا فى نهاية الديوان أن ما كان مَنْحولًا من قصيدة أو خبر أعرض عنه .

ويتراءى لنا « مجنون لَيْلَىٰ » من خلال مقطوعاته الشعرية وقد كابد الشوقَ ، وعانى الصبابةَ ، وعاش تجربةَ حب عفيف شريف ، عنيف . ويقال له : ماذا وراء هذا العذاب يا قيس ؟ فيقول :

يَقولونَ لَيْلَىٰ عَذَّبَتكَ بِحُبِّها أَلا حَبَّذا ذاكَ الحَبيبُ المُعَذِّبُ

ويطلب منه أبوه أن يتعلق بأستار الكعبة ويقول له : قل : « اللهم أرِحْنى من لَيْلَىٰ وحُبّها ! » ، فيفعل ، لكنه يقول : « اللهم مُنّ عَلَىّ بلَيْلَى وقُرْبِها » ، ويُنْشد :

يا رَبُّ لا تَسلُبَنّى حُبَّها أَبَدًا وَيَرحَمُ اللَّهُ عَبدًا قالَ آمينا

وعلى الرغم من أنه عاش تجربة قاسية عبر عنها بقوله :

وَجَدتُ الحُبَّ نيرانًا تَلَظّى قُلوبُ العاشِقينَ لَها وَقودُ

إلا أنه ظل طول حياته يعانى الهجر والحرمان ، ولا يشكو إلا لله ، حيث يقول :

إِلى اللَّهِ أَشكو حُبَّ لَيْلَىٰ كَما شَكا إِلى اللَّهِ فَقدَ الوالِدَينِ يَتيمُ

يَتيمٌ جَفاهُ الأَقرَبونَ فَعَظْمُهُ كَسيرٌ وَفَقدُ الوالِدَينِ عَظيمُ

حتى إذا حانت منيَّتُه ، وضنُّوا عليه بلَيْلَىٰ ، ولم يحققوا له أمنيته الغالية راح يستعد للقاء ربه طالبًا ممن حوله أن يستغفروا له :

خَـلـيـلَـيَّ إِن ضَـنّـوا بِـلَـيْـلَـىٰ فَـقَـرِّبـا لِيَ النَّعشَ وَالأَكفانَ وَٱستَغفِرا لِيا

وإذا كانت أشعار الديوان وأخباره تسبقه إلى كل لسان ، حيث يتناقلها الشيوخ ، ويتناشدها الفِتيان فإنه جدير بأن يقدم نفسه إلى قرائه دون ما حاجة إلى تعريف أو بيان !

وإذا كان الغربيون قد اتجهوا أخيرًا- فى أحدث التجارب- إلى العلاج بالشعر ، فإن مُعايَشةَ هذا اللون من الغزل العفيف الشريف خير علاج للنفس من همومها وآلامها ، وأحزانها ، وقلقها ، وتوترها ، واكتئابها !

من أجل هذا عكفت على « الديوان » لأقدمه لكل « من يهمهم الأمر » بعد أن سلطت الأضواء على كل ما يحول دون معايشة « قيس » ومصاحبته فى رحلة الحب من البداية إلى النهاية؛ لعل القلوب تعود إلى شريعة الحب بعيدًا عن الحرب وويلاتها !

وحسبى أن يتحدث « الديوان » عن نفسه ، وأن يلمس القراء الكرام ما بُذِلَ فيه من جهد يجعله فريدًا بين ما ظهر للديوان من طبعات !

الحق أقول : إننى حاولت ، وعقدت العزم على أن أقدم جديدًا ، وأن أقول كلامًا مفيدًا .

وإذا كنا ننشد العفة ، ونحرص عليها ، فإن « الحب العذرى » يعلمنا كيف نحرص على العفة والشرف ، ويضع أمام أعيننا صورًا نبيلة ، ونماذج تحظى بالتقدير والإعجاب !

لقد سأل سعيد بن عقبة أعرابيًّا : ممن الفتى ؟ فقال : من قوم إذا عشقوا ماتوا ! قال : عُذْرِىّ؛ ورَبّ الكعبة ! فَمِمَّ ذلك ؟ قال الأعرابى : فى نسائنا صَبَاحَة ! وفى فتياننا عِفّة !

وهذه هى العفة التى ننشدها فى فِتياننا وفتياتنا على طريق الأمل !

وفق الله خطانا ، وكَلَّل بالنجاح والفوز مسعانا إنه سميع قريب مجيب الدعاء ،

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى : ذى القعدة ١٤٢٥ هـ

الموافق : ديسمبر ٢٠٠٤ م .

♡ ♡ ♡

بين يدى الديوان

الحركة العُذْرِيّة

لا تكاد تمضى سنوات قليلة بعد انقضاء أكثر من نصف قرن على الهجرة النبوية الشريفة حتى تراءت للجميع تلك « الحركة العذرية » التى تمثلت فى شعر طائفة من الشعراء عاشوا جميعا فى زمن واحد ، وتنقلوا فى بيئات واحدة متقاربة ، ما بين مكة والمدينة ، ووديان البادية الخصبة القريبة من هاتين المدينتين ، وعرف بعضهم بعضًا وتناشدوا الأشعار ، وتداخلت أشعارهم بعضها فى بعض حتى ليصعب أحيانًا تحقيق نسبة القصيدة إلى من قالها منهم [١] .

لقد داروا جميعًا فى فلك تجربة واحدة : « تجربة الحب المقرون باللوعة والفشل والحرمان » ، وقد ظل كل منهم يقول الشعر طول حياته فى امرأة واحدة عرف بها ، حتى لينسب إليها فيقال : كثير عزة ، وجميل بثينة ، وقيس لُبنى ، ومجنون لَيْلَىٰ !

وما أكثر العاشقين من الشعراء الذين عاشوا تجربة الحب ، وأخلصوا للمحبوب !

♡ من اشتهروا بالعشق

يقول أبو الطيب الوَشَّاء فى « الموَشَّى » :

« وأما من عشِق من الشعراء فما يحصرهم عدد ، ولا يُحصيهم أحد ، وقد عشق أكثر العرب ، بل كلهم قد عشق ؛ فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصبوة والغزل :

١ – قيس مجنون بن عامر عشق « لَيْلَىٰ » .

٢ – وقيس بن ذَريح عشق « لُبْنَى » .

٣ – وتوبة بن الحُمَيّر عشق « لَيْلَىٰ الأخيلية » .

٤ – وكثيّر عشق « عَزّة » .

٥ – وجَمِيل بن مَعْمَر عشق « بثينة » .

---

(١) فى الشعر الإسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط .

٦- والمؤمَّل عشق « الذّلفاء » .
٧- ومُرَقّش عشق « أسماء » .
٨- ومرقش الأصغر عشق « فاطمة بنت المنذر » .
٩- وعُروة بن حزام عشق « عفراء » .
١٠- وعمرو بن عَجلان عشق « هند » .
١١- وعليّ بن أديم عشق « نهلة » .
١٢- والمهذّب عشق « لَذّة » .
١٣- وذو الرُّمة : عشق « مَيّة » .
١٤- وقابوس : عشق « مُنْيَة » .
١٥- والمحبَّل السعدى : عشق « المِيْلاء » .
١٦- وحاتم طيئ : عشق « مَاوِيَّة » .
١٧- ووضّاح اليمن : عشق « أم البنين » .
١٨- والغمر بن ضِرَار : عشق « جُمل » .
١٩- والنَّمِر بن تَوْلب : عشق « حمزة » .
٢٠- وبدر : عشق « نُعْمَ » .
٢١- وشُبيل : عشق « فالون » .
٢٢- وبشر : عشق « هند » .
٢٣- وعَمرو : عشق « دعد » .
٢٤- وعُمر بن أبى ربيعة : عشق « الثريا » .
٢٥- والأحوص : عشق « سلامة » .
٢٦- وأسعد بن عمرو : عشق « لَيْلَىٰ بنت صيفى » .
٢٧- ونُصَيْب : عشق « زينب » .
٢٨- وسُحَيْم بن عبد الحَسْحاس : عشق « عُسَيّرة » .
٢٩- وعبيد الله بن قيس : عشق « كثيرة » .
٣٠- وأبو العتاهية : عشق « عُتْبة » .

obeikandl.com

٣١- والعباس بن الأحنف : عشق « فَوْز » .

٣٢- وأبو الشيص : عشق « أُمَامة » .

فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق .

ثم يقول عن « المجنون » الذى بدأ به :

وبلغ العشق من مجنون بنى عامر أن أخرجه إلى الوَسواس والهَيمان ، وذهاب العقل ، وكثرة الهَذيان ، وهبوط الأودية وصعود الجبال ، والوطء على العَوْسَج [(١)] وحرارة الرمال ، وتمزيق الثياب واللعب بالتراب ، والرمى بالأحجار ، والتفرد بالصحارى والاستيحاش من النَّاس ، والاستئناس بالوحش حتى كان لا يعقل عقلًا ، فإذا ذكرت لَيْلَىٰ ثاب إليه عقله ، وأفاق من غشيته ، وتجلت عنه غمرته ، وحدثهم عنها أصحّ الرجال عقلًا ، وأخلصهم ذهنًا ، لا ينكرون من حديثه شيئًا ، فإذا قطع ذكرها رجع إلى وَسواسه وهذيانه ، وتماديه فى ذهاب عقله .

ومن يتأمل الشعر العذرى يجد كثيرًا من وجوه الشبه بينه وبين شعر الحركة الرومانسية الأوربية ، والشعر الرومانسى العربى الحديث ! فهناك تلك العواطف الحادة ، والأحاسيس المرهفة ، والذاتية ، والميل إلى الحزن ، والاستمساك بمثل عليا فى الأخلاق .

وهناك أسباب كثيرة تآزرت جميعها ليتخذ هذا الشعر شكل الظاهرة الفريدة فى العصر الأموى ؛ منها أسباب دينية ، وخُلقية ، ومنها أسباب سياسية واجتماعية .

وقد قام الشعراء العذريون بدور كبير فى تطور « المعجم الشعرى » ؛ فقد جنحت التجربة العاطفية المجردة بهؤلاء الشعراء إلى الاعتماد على الألفاظ المعبرة عن المشاعر والانفعالات ، وبنوا عبارتهم على نحو بسيط واضح يعكس بساطة تجاربهم ووضوحها .

ووسيلتهم فى نقل تجربتهم هذه الألفاظ المألوفة المشتركة بين النَّاس التى أكسبتها الحياة والممارسة قدرة على التأثير والإيحاء ، فى مجال الحديث عن العواطف ؛ ومن هنا استطاعوا أن يقتربوا بشعرهم من « لغة الحياة » .

---

(١) نبات له شوك من نباتات الصحراء تأكله الجمال ، وتستلذه .

وإذا كان الغزلُ العفيفُ أصدقَ فنون الشعر وأحراها بالدراسة فما ذاك إلا لأنَّهُ تعبير صادق عن عاطفة صادقة ، يكشف عن دخيلة المحب ، وسريرة المحبوبة ، وينبع من عاطفة الحب ، ويدور حول المرأة والحب .

والمرأة يَنبوعٌ ثَرٌّ جارٍ يتدفق بالشعر فى كل عصر وحين ! والغزل على هذا لا يمثل عاطفة قائله وحدَه ، بل يمثل العاطفة الإنسانية الخالدة ، فهو أصلح فنون الشعر لأن يكون عالميًا يهز مشاعر القراء من كل جنس وقبيل [١] .

وفى هذا الديوان يتراءى لنا « المجنون » من خلال شعره مصوِّرًا بارعًا لحال المحب ، وما يعانى من ألم الفراق .

وفى شعره لمحات خاطفة فى التحليل النفسى تكاد تخلو من العمق ، وإن كانت لا تخلو من الصدق والعذوبة والبساطة .

وفى شعره رقة ما بعدها رقة ، وسهولة تمتنع على الكثيرين . ونراه يعتمد على ابتداء الأشطار والأبيات بصيغة مكررة لتأكيد الإحساس ، أو امتداد الحب على مدى الزمن .

كما نلحظ تكرار أدوات النداء ، أو التعجب ، أو التمنى فى أكثر من بيت .

وكثيرًا ما يلجأ إلى التساؤل الذى يوجهه إلى نفسه أو إلى صاحبته ، أو إلى النَّاس دون أن ينتظر جوابًا ، حيث يعقب ذلك بجواب أو تقرير يمثل تلك الحركة النفسية الداخلية المنطوية على الحيرة والدهشة .

وحسبنا تلك المتعة التى تشدنا إلى مثل هذا اللون من الشعر ، وتجعلنا نحيا فى جو من الجمال والعفة والطهر بعيدًا عن مشاكلنا ، وأحزاننا !

حسبنا أن نعيش مع حب خالص من شوائب الدنس والرجس .. حب لا يعرف مُخزيات المآثم ، ولا مُنديات الأهواء .

ألا إن شهوة الحِسّ مطلب صغير بجانب شهوة الروح !

والشاعر روح مقتحم مَيدانَ الآفاق الروحانية ! هو طائر محلق يرى الخوف فى آفاق السماء أفضل من الأمان فوق وهاد الأرض !

---

(١) مقدمة الغزل فى العصر الجاهلى للدكتور الحوفى .

♡ مجنون ليلى ومجنون لبنى !

كلاهما « قيس » ! ولكن مجنون لَيْلَىٰ العامرية هو قيسُ بنُ الملوَّح .

أما مجنون « لُبنى » فهو قيس بن ذَرِيح . وقد عاشا فى القرن السابع .

وقد كان « قيس لَيْلَىٰ » يعجب بشعره حين يُلقى عليه ، وفى هذا الديوان نماذج من شعره ، كانت تلقى على « مجنون لَيْلَىٰ » فيعارضها ، ويُنشد ما يرى أنه أروع وأبدع !

♡ الزمان والمكان

قلنا : إن أحداث هذه القصة فى مستهل العصر الأموى ، أما المكان فقد كان بنو عامر بن صعصعة بادين حاضرين ، يصيفون فى الطائف ، ويشتّون فى بلادهم من أرض نجد لسعتها ، وكثرة مراعيها [١] .

وتشغل نجد مساحة واسعة ، وتُطَوِّقها الصحارى من ثلاث جهات .

وهى الآن يطلق عليها المنطقة الوسطى ، وهى أهم مناطق المملكة العربية السعودية .

أما الطائف فتقع على ظهر جبل غزوان ، وهى مشهورة بأشجارها المختلفة ، وجوها الجميل .

وهى أهم مدن المنطقة الغربية المعروفة تاريخيًا باسم الحجاز .

♡ مخطوطات الديوان وطبعاته

يقول « كارل بروكلمان » فى موسوعته « تاريخ الأدب العربى الجزء الأول » :

❁ يوجد ديوان المجنون مخطوطًا فى كمبردج أول ٤٢٨ .

❁ وطبع ديوانه فى بولاق ١٢٨٥ هـ ؛ القاهرة ١٢٩٤ ، ١٣٠٦ ، ١٣٤١ هـ .

---

(١) معجم البلدان : ٦ : ١٤ .

❁ ونشرت قصة قيس بن الملوح العامرى فى بيروت ١٨٦٨ م، طهران ١٢٨٢هـ، وبومباى ١٢٩٧ هـ.

❁ ونقحها يوسف بن الحسن المبرد الحنبلى (المتوفى ١٥٠٣/٩٠٩ م) بعنوان : ديوان العاشق المحب الوامق إلخ . وطبع فى بولاق ١٢٩٤ هـ.

❁ وأقول : وتتابعت الطبعات التى تشابهت فيما حوته من تحريف وتصحيف، وفيما تضمنته من تفسيرات بعيدة عن الصواب حتى كانت هذه الطبعة التى بين يديك .

♡ عملى فى هذا الديوان

١- راجعت قصائد «المجنون» المنتشرة فى كتب الأدب كالأغانى للأصبهانى، و«تزيين الأسواق» للأنطاكى، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«المستطرف» للإبشيهى، و«روضة المحبين» لابن القيم، و«ذم الهوى» لابن الجوزى، إلى غير ذلك .

٢- رجعت إلى نسخة قديمة مخطوطة أرخ النَّاسخ نسخها فى أواخر شهر جمادى الآخرة من سنة سبعمائة واثنتين وتسعين من هجرة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .
وأخرى مطبوعة بخط فارسىّ جميل بدار الطباعة الكبرى، وقد مضى على طبعها أكثر من قرن ؛ فقد كان تمام الطبع فى أوائل أخرى الجُمادَيَيْن سنة أربع وتسعين وألف ومائتين من هجرة المصطفى ﷺ .

٣- قمت بوضع «عناوين كلية» لكل مجموعة مترابطة من المقطوعات الشعرية التى تضمها مناسبة واحدة، تتبعها «عناوين جزئية» لكل مقطوعة تمهد للقارئ ما أورده الوالبى من أخبار المجنون وأشعاره .

٤- حرَصت على أن يعيش القارئ فى الجو النفسى لكل مقطوعة بحيث تقترن المناسبة التى ذكرها الوالبى بالأبيات بعد وضع عنوان مناسب لها .

٥- على الرغم من سهولة ما جاء فى الديوان من شعر قريب إلى النفوس البشرية جمعاء؛ فما خرج من القلب فهو إلى القلب - إلا أن من الأبيات ما يتضمن أماكن، أو عبارات، أو ذكريات تدعو إلى تسليط الضوء عليها من أجل القاعدة

العريضة من القراء، فهم جميعًا شركاء يهمهم الأمر، كما يهم الخاصة من القراء ! !

ومن منا لم يخفق قلبه بالحب، ويتلقى رسائل الجمال ؟ وقد يرى المحب الولهان فى شِعْر العشيقين يتناجيان سلوى وعزاء ! !

من أجل هذا سلطت الأضواء على كل ما يحول دون معايشة المجنون والتحليق معه فى آفاق الحب والهيام، وقدمت للديوان بما يجعلنا نحيا فى جو القصة، ونعيش أحداثها، وذكرياتها ومشاهدها .

٦- رَقّمت الأبيات فى كل مقطوعة مكتفيًا - عند إلقاء الضوء على ما تضمنه البيت - بذكر رقمه فى الهامش ليرجع القارئ إليه إذا كان فى حاجة إلى مزيد من الإيضاح والتفسير بدلًا من تعدد الأرقام فوق البيت الواحد مما يحول دون معايشة النص .

٧- هذا، ولم يفتنى أن أقوم بعمل الفهارس اللازمة ليهتدى بها من يحب الرجوع إلى مقطوعة بعينها . ولعلى أكون قد وفقت .

فإلى الديوان مع الإمام الوالبى .. مع أخبار المجنون وأشعاره ! .

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين .

قال أبو بكر الوالبى : اختُلِفَ فى : اسم مجنون بنى عامر ، هل هو « عامر » ، أو مهدىّ ، أو الأقرع ، أو مُعاذ ، أو قيس ابنه(١) ، أو ابن الملَوّح(٢) ، أو البُحْتُرىّ بن الجَعْد ؟

والصحيح الأول .

وفى نسبه ؛ هل هو عامرىّ ، أو كِلابىّ ، أو جَعْدىّ ، أو قُشَيْرى ؟ .

أو المجانين متعددة ، أو هما اثنان فى بنى عامر ؟

والصحيح الأول .

♡ ♡ ♡

♡ الحكاية من البداية إلى النهاية

قال أبو بكر الوالبى :

وكان من حديثه أنه كان صغيرًا ، و« لَيْلَىٰ » هى ابنة عمه كانت صغيرة أيضًا ؛ فكانا يجتمعان فى بَهْم ؛ أى : أغنام لهما يتحدثان ، وهما صغيران ! فلما شبا ، وكَبِرا جعل حبهما يزيد ، وينْمو كل يوم وساعة !

قال : وكانت « لَيْلَىٰ » بصيرة بالشعر والأدب(٣) ، ووقائع العرب فى الجاهلية والإسلام .

---

(١) قال أبو الفَرَج : ومن الدليل على أن اسمه « **قيس** » قول لَيْلَىٰ صاحبتُه :

ألا ليت شِعرى والخُطوب كثيرة ... متى رَحْلُ قيسٍ مستقِلٌّ فراجع ؟!

(٢) الملوَّح : بفتح الواو المشدّدة ، وهو الذى ذكره صاحب القاموس ، ولم يذكر أنه سمى بالملوِّح - بكسر الواو . و« لَيْلَىٰ » بنت سعد بن مهدى بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كما نقل عن الأخفش .

(٣) تجد فى هذا الديوان بعض أشعارها ، كما يتضمن شعرًا لقيس بن ذريح ، وآخر لكثير عزة .

وكان فتيان بنى عامر يجلسون إلى « لَيْلَىٰ » ويتناشدون عندها الأشعار !

وكان « قيس » فيمن يجلسون إليها ، فلم يكن فى بنى عامر فتى أحَبّ إليها ، ولا أكرمَ عليها منه ! حتى إذا بدت حاجة لفتى من « بنى عامر » إلى « لَيْلَىٰ » توسّل بـ« المجنون » إليها[١] ، فلم يزالا كذلك برهة من الدهر ، حتى فشا أمرهما ، وارتاب بهما قومهما[٢] ! .

أبو بكر الوالبى

♡ ♡ ♡

(١) اتخذه شفيعا له عندها لمنزلته منها ويقول الأصمعى : لم يكن مجنونًا ، وإنما كانت به لوثة أحدثها العشق فيه ! كان يهوى امرأة من قومه يقال لها « لَيْلَىٰ » واسمه « قيس بن معاذ » .

(٢) روى الأخفش عن المدائنى قال : المجنون المشهور بالشعر – عند الناس – صاحب « لَيْلَىٰ » « قيس بن معاذ » من بنى عامر ، ثم من بنى عقيل ، ومنهم رجل آخر يقال له : مهدى بن الملوح من بنى جعدة .

انظر الخزانة ٢: ١٦٩ – ١٧٢، والأغانى الجزء الثانى ١ – ٩٦، واللآلئ ٣٥٠، والمؤتلف ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، والمرزبانى ٤٧٦، وذم الهوى ٢٩٤، وأخبار العشاق ٩٧.

obeikandl.com

♡ قيس وليلى بعد أن فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما !

١ هَلْ لِي إلى لَيْلَى الغَدَاةَ شفيع ؟!

❁ قال الإمام الوالبى :

.. فلما كان ذات يوم سألها قيس حاجة لنفسه ؛ لِيَنْظُرَ هل له فى قلبها مثلُ الذى فى قلبه لها ؟! فمنعته حاجتَه ! فاغْرَوْرَقَتْ عيناه ؛ لمنعها إيّاهُ حاجتَه ، فأنشأ يقول :

١ - مَضى زَمَنٌ وَالنَّاسُ يَستَشفِعونَ بى ... فَهَل لى إِلى لَيْلَىٰ الغَداةَ شَفيعُ ؟!

٢ - يُضَعِّفُنى حُبِّيكِ حَتّى كَأَنَّنى ... مِنَ الأَهلِ وَالمالِ التَّليدِ نَزيعُ

٣ - إِذا ما لَحانى العاذِلاتُ بِحُبِّها ... أَبَت كَبِدى مِمّا أُجِنُّ صَديعُ

٤ - مَدى الدَّهرِ أَو يَندى الصَّفا مِن مُتونِهِ ... وَيُشعَبُ مِن كَسرِ الزُّجاجِ صُدوعُ

٥ - وَحَتّى دَعانى النَّاسُ أَحمَقَ مائِقًا ... وَقالوا تَبوعٌ لِلضَّلالِ مُطيعُ

٦ - وَكَيفَ أُطيعُ العاذِلاتِ وَحُبُّها ... يُؤَرِّقُنى ، وَالعاذِلاتُ هُجوعُ

---

(١) الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٢) حبيك : حبى إياك ، أو حبى لك . التليد : الموروث والقديم ، وهو غيرالطريف المكتسب ، نزيع : مجرد ، والمراد : أنه يصبح كمن لا أهل له ولا مال وحيدًا ! !

(٣) لحانى : لامنى وعذلنى . أجن : أستر وأخفى .

أبت كبدى أن تصدع وتجهر بما أخفيه ! أو أبت كبدى أن تتصدع وأفترق عنك وهيهات !

(٤) يقول : أبت كبدى التفرق بسبب ما أجنه لها من حب مدى الدهر ، حتى يحدث المستحيل ، فتندى الصفاة ، ويلتئم كسر الزجاج ! .

ويقال : ما تندى صفاته : أى هو شحيح ، والصفاة : الحجر العريض الأملس . ويقال : شعب الصدع : لمّه وأصلحه . ومتون : جمع متن : ويراد به الصلابة والشدة .

(٥) دعانى الناس : أطلقوا علىّ . أحمق : قليل العقل . مائقًا : المائق : الأحمق ، والسريع البكاء القليل الثبات . تبوع للضلال : كثير الاتباع له ، والسير فى أثره . والضلال : العدول عن الطريق المستقيم .

(٦) العاذلات : اللائمات . يؤرقنى : يحول بينى وبين النوم ، هجوع نائمات .

٢ صَغيرين نَرعى البَهم ! (*) !

❁ وقال أيضًا :

١ - تَعَلَّقتُ لَيلَىٰ وَهْيَ غِرٌّ صَغيرَةٌ وَلَم يَبدُ لِلأَترابِ مِن ثَديِها حَجمُ

٢ - صَغيرَينِ نَرعى البَهمَ يا لَيتَ أَنَّنا إِلى اليَومِ لَم نَكبَرْ وَلَم تَكبَرِ البَهمُ

٣ هكذا شأن المحبين !

[من شعر لَيلَىٰ]

... فأجابته لَيْلَىٰ وهى باكية لَمّا سمعت شعرَه :

١ - كِلانا مُظهِرٌ لِلنّاسِ بُغضًا وكلٌّ عِندَ صاحِبِهِ مَكينُ

٢ - تُخَبِّرنا العُيونُ بِما أَردنا وَفي القَلبينِ ثَمّ هَوًى دفينُ

♡ ♡ ♡

(*) قال أبو عمرو الشيبانى وأبو عبيدة فى ذكر مناسبة هذين البيتين : كان المجنون يهوى لَيْلَىٰ بنت مهدى بن ربيعة بن عامر ، وتكنى : « أم مالك » ، وهما حينئذ صبيان ؛ فعلق كل منهما صاحبه ، وهما يرعيان مواشى أهلهما ؛ فلم يزالا كذلك حتى كبرا ، فحُجِبَتْ عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله ؛ ثم ساق هذين البيتين .

(١) رواية الأغانى : « وهى ذات ذؤابة » بدلا من « وهى غِرٌّ صغيرة » والذؤابة : شعر الناصية وهما بمعنًى . وفى تزيين الأسواق « وهى ذات تمائم » . وتعلقها : أحبها ، والأتراب : جمع « ترب » وهو المماثل ، أما الترائب فهى جمع « تريبة » وهى عظام الصدر .

(٢) البهم : - بفتح الباء - أولاد الضأن ، والماعز والبقر ، واحدتها : بهمة .

(١/٣) رواية صاحب الأغانى « كلانا مظهر للناس بغضًا » بدلًا من : وكلٌّ . ويقال : مكن فلان عند الناس مكانة : عظم ؛ فهو مكين .

(٢) رواية صاحب الأغانى « تبلغنا العيون » بدلا من « تخبرنا » وهما بمعنًى . و « ثَم » اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى : « هناك » . ويقول صاحب الأغانى فى مناسبة هذين البيتين :

... فبينا هى تحدثه ، إذ أقبل فتًى من الحى ، فدعته وسارّته سرارًا طويلًا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون ، قد تغير ، وانتقع لونه ، وشق عليه فعلها فأنشأت تقول ... ثم ذكر هذين البيتين بروايته .

ثم يعقب بقوله : فلما سمع البيتين شهق شهقة شديدة ، وأغمى عليه فمكث على ذلك ساعة ، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق ، وتمكن حبُّ كل واحد منهما فى قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ .

٤ عِلّةُ الحُبّ ! :

... فلما سمع مقالتها خر مغشيًّا عليه ، فلما أفاق قال :

١ - صَريعٌ مِنَ الحُبِّ المُبَرِّحِ وَالهَوى(*) وَأَيُّ فَتًى مِن عِلَّةِ الحُبِّ يَسلَمُ

ففطن جُلساؤه عند ذلك ، فأخبروا أباها ، فحجبوها عنه ، وعن سائر النَّاس ، وقدموه إلى السلطان ، فأهدر السلطان دَمَه إن هو زارها ، فلما حُجِبَت عنه أنشأ يقول :

١ - أَلا حُجِبَت لَيْلَىٰ وَآلى أَميرُها عَلَيَّ يَمينًا جاهِدًا لا أَزورُها

٢ - وَأَوعَدَني فيها رِجالٌ أَبُوهُمُ أَبى ، وَأَبوها ، خُشِّنَت لى صُدورُها

٣ - عَلى غَيرِ شَيءٍ غَيرَ أَنّى أُحِبُّها وَأَنَّ فُؤادى عِندَ لَيْلَىٰ أَسيرُها

٤ - وَأَنّى إِذا حَنَّت إِلى الإِلفِ إِلفُها هَفا بِفُؤادى حَيثُ حَنَّت سُحورُها

♡ أهلُ قَيسٍ يُحاوِلُونَ جَمْعَ الشمل وتخفيف مابه !

ثم إنه لما اشتُهِر بحُبِّها وابتُلِيَ ، قام أبوه وإخوتُه ، وبنو عمه ، وأهلُ بيته ، فأتوْا أبا لَيْلَىٰ ، وسألوه بالرَّحِم والقرابة والحق العظيم - أن يزوجها منه ، وأخبروه أنه ابتلى بها ؛ فأبى أبو لَيْلَىٰ ، ولجّ وحلف ، وقال : والله لا حدثت العرب أنى زوجت عاشقا مجنونا !

فأقبل النَّاسُ إلى أبى المجنون ، وقالوا له : لو أخرجته إلى مكة ، فعوَّذتَه بيتَ الله الحرام ؛ لعلّ الله يُعافيه مما ابتُلِيَ به !

فأخرجه أبوه إلى مكة ، وهما راكبان جملًا فى مَحْمِل ، فلما قَدِما مكةَ قال له أبوه : يا قيس ؛ تعلّق بأستار الكعبة ، ففعل ، فقال : « قُلِ اللهمَّ أَرِحْنى من لَيْلى وحُبِّها ! » ؛ فقال : « اللهمَّ مُنّ عَلَىّ بليلَى وقُرْبِها ! ! » .

(*) والحب المبرح : الشديد الذى يجهد الإنسان ويشق عليه .

(١) آلىٰ : حلف وأقسم . وجاهدًا : جادًّا .

(٢) خشنت لى صدورها : جردت من الرحمة والعطف والحنان والحب .

(٣) لست أدرى سببًا لهذا المنع من الزيارة سوى أنى أحبها ، وأن فؤادى أسير لديها . وأنى أهفو ، وأميل إليها حيث حنت فى السحر كلُّ إلفٍ إلى إلفها ! .

فضربه أبوه ، فأنشأ يقول :

٥ يارب !!

١ - يـا رَبِّ إِنَّـكَ ذو مَـنٍّ وَمَـغـفِـرَةٍ بَيِّت بِعافِيَةٍ لَيلَ المُحِبّينا
٢ - الذاكِرينَ الهَوى مِن بَعدِما رَقَدوا الساقِطينَ عَلى الأَيدى المُكِبّينا
٣ - يـا رَبِّ لا تَسلُبَنّى حُبَّها أَبَدًا وَيَرحَمُ اللَّهُ عَبدًا قالَ : آمينا

٦ وناديتُ يارَحمٰن !

❁ وقال أيضًا :

١ - دَعا المُحرِمونَ اللَّهَ يَستَغفِرونَهُ بِمَكَّةَ شُعثًا كَى تَمَّحِى ذُنوبُها
٢ - وَنادَيتُ يا رَحمَنُ أَوَّلُ سُؤلَتى لِنَفسِيَ لَيلَىٰ ثُمَّ أَنتَ حَسيبُها
٣ - وَإِن أُعطَ لَيلَىٰ فى حَياتِيَ لَم يَتُب إِلى اللَّهِ عَبدٌ تَوبَةً لا أَتوبُها
٤ - يَقَرُّ لِعَينى قُربُها وَيَزيدُنى بِها عَجَبًا مَن كانَ عِندى يَعيبُها
٥ - وَكَم قائِلٍ قَد قالَ تُب فَعَصَيتُهُ وَتِلكَ لَعَمرى خَلَّةٌ لا أُصيبُها
٦ - وَما هَجَرَتْكِ النَّفسُ يا لَيلَ أَنَّها قَلَتكِ وَلَكِن قَلَّ مِنكِ نَصيبُها
٧ - فَيا نَفسُ صَبرًا لَستِ وَاللَّهِ فَاعلَمى بِأَوَّلِ نَفسٍ غابَ عَنها حَبيبُها

---

(١) ذو مَنّ : الله – سبحانه – هو المنان ، والمن : الإنعام بنعم طيبة . والعافية : الإبراء من العلل والإنعام بالصحة والسلامة .

(٢) المكبينا : المشغولين بمحبوبهم المقبلين عليه . ويقال أكب فلان : صُرِع .

(١/٦) شُعثًا : تغير شعرهم وتلبد ، ويقال : شَعِثَ فلان ، وشعث رأسه وبدنه : اتسخ : فهو أشعث ، وهى شعثاء وهم شُعْث .

(٢) سُؤلَتى : السُؤْلة والسُؤْل ، والسول : ما سألته . حسيبُها : كافيها .

(٥) لعمرى – قسم – خلّة : صفة . لا أصيبها : لا أقع فيها ولا أتصف بها .

(٦) قَلَتك : كرهتك ، وتخلت عنك .

٧ دَعَا باسم ليلى غيرَها !

.. فلما سمع أبوه هذه الأبيات رقّ له ! فأخذه بيده نحو مِنًى ، يُريدُ رَمْيَ الجِمار ، فبَينَما هو بِمِنًى ؛ إذْ سَمِعَ منادِيًا يُنَادِى من بعض تلك الخيام : « يا لَيْلَىٰ » ؛ فَخَرَّ مَغشِيًّا عليه ، واجتمع عليه قومُه ، وأبوه باكٍ حزين ؛ فأفاق ، وهو مصْفَرّ اللون ، وأنشأ يقول :

١ - وَداعٍ دَعا إِذ نَحنُ بِالخَيفِ مِن مِنًى ... فَهَيَّجَ أَحزانَ الفُؤادِ وَما يَدرى

٢ - دَعا بِاسمِ لَيْلَىٰ غَيرَها فَكَأَنَّما ... أَطارَ بِلُبِّى طائِرًا كانَ فى صَدرى

٣ - دَعا بِاسمِ لَيْلَىٰ أَسخَنَ اللَّهُ عَينَهُ ... وَلَيْلَىٰ بِأَرضِ الشامِ فى بَلَدٍ قَفْرِ

٤ - عَرَضتُ عَلى قَلبى العَزاءَ فَقالَ لى ... مِنَ الآنَ فَاجزَع لا تَمَلَّ مِنَ الصَّبرِ

٥ - إِذا بانَ مَن تَهوى وَشَطَّ بِهِ النَّوى ... فَفُرقَةُ مَن تَهوى أَحَرُّ مِنَ الجَمرِ

٨ نَارُ الأَسَىٰ !

❁ وقال :

١ - أَيا لَيلَ زَندُ البَينِ يَقدَحُ فى صَدرى ... وَنارُ الأَسى تَرمى فُؤادِيَ بِالجَمرِ

٢ - أَبَى حَدَثانُ الدَّهرِ إِلَّا تَشَتُّتًا ... وَأَيُّ هَوًى يَبقى عَلى حَدَثِ الدَّهرِ ؟!

٣ - تَعَزَّ فَإِنَّ الدَّهرَ يَجرَحُ فى الصَّفا ... وَيَقدَحُ بِالعَصرَينِ فى الجَبَلِ الوَعرِ

---

(١) الخيف : ما انحدر عن غِلَظ الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء ، وغرة بيضاء فى الجبل الأسود الذى خلف أبى قبيس ، وبها مسجد الخيف .

(٣) أسخن الله عينه : أنزل به ما يبكيه ؛ لأن دموع الحزن تكون ساخنة ، وعكسه : أقر الله عينه ! .

(٤) العزاء : السلو والنسيان والصبر على ما ناله .. اجزع : لا تصبر على ما حَلّ .

(٥) بان : بعد ، وشط : بعد وجاوز الحد ، والنوى : البعد ، ويقال : شطت بهم النوى : أمعنوا فى البعد ، أما استقرت به النوى فمعناه : أقام .

(١/٨) أيا ليل : ينادى ليلاه . البين : الفراق ، و « الزند » : العود الأعلى الذى تقدح به النار والأسفل هو « الزندة » . ولك أن تقول : أيا ليل بفتح اللام وضمها .

(٢) الحدثان – بفتح الحاء والدال – الليل والنهار ، أما حدثان الدهر : فنوائبه وحوادثه ، وهو المراد هنا .

(٣) تعز : تسل ؛ فمن شأن الدهر أن يجرح فى حالة الصفاء ، ويكدر الصفو ، ويقدح : يؤثر . بالعصرين : بالغداة والعشى والليل والنهار .

٤ - وَإِنّـى إذا مـا أَعـوَزَ الـدَّمـعُ أَهـلَـهُ ... فَـزِعـتُ إِلـى دَلـحـاءَ دائِـمَـةِ الـقَـطـرِ

٥ - فَـوَاللَّهِ مـا أَنـسـاكِ مـا هَـبَّـتِ الـصَّـبـا ... وَمـا نـاحَـتِ الأَطيارُ فى وَضَحِ الفَجرِ

٦ - وَمـا نَـطَـقَـت بِـاللَّـيـلِ سـارِيَـةُ الـقَـطـا ... وَمـا صَـدَحَـت فى الصُّبحِ غادِيَةُ الكُدرِ

٧ - وَمـا لاحَ نَـجـمٌ فى السَّـمـاءِ وَمـا بَـكَـت ... مُـطَـوَّقَـةٌ شَـجـوًا عَـلـى فَـنَـنِ الـسَّـدرِ

٨ - وَمـا طَـلَـعَـت شَـمـسٌ لَـدى كُـلِّ شـارِقٍ ... وَمـا هَـطَـلَـت عَـيـنٌ عَـلـى واضِـحِ الـنَّـحـرِ

٩ - وَمـا أَغـطَـوطَـشَ الـغِـربـيـبُ وَأَسـوَدَّ لَـونُـهُ ... وَمـا مَـرَّ طـولَ الـدَّهـرِ ذِكـرُكِ فى صَـدرى

١٠ - وَمـا حَـمَـلَـت أُنـثـى وَمـا خَـبَّ ذِعـلِـبٌ ... وَمـا طَـفَـحَ الآذِيُّ فـى لُـجَـجِ الـبَـحـرِ

١١ - وَمـا زَحَـفَـت تَـحـتَ الـرِّجـالِ بِـرَكـبِـهـا ... قِـلاصٌ تَـؤُمُّ الـبَـيـتَ فـى الـبَـلَـدِ الـقَـفـرِ

١٢ - فَـلا تَـحـسَـبِـى يـا لَـيـلَ أَنّـى نَـسِـيـتُـكُـم ... وَأَن لَـسـتِ مِـنّـى حَـيـثُ كُـنـتِ عَـلـى ذُكـرِ

١٣ - أَيَـبـكـى الـحَـمـامُ الـوُرقُ مِـن فَـقـدِ إِلـفِـهِ ... وَتَـسـلـو وَمـا لـى عَـن أَلـيـفِـيَ مِـن صَـبـرِ ؟!

---

(٤) أعوز الدمع أهله : جف ، ولم يطاوعهم . دلحاء : سحابة ، دائمة القطر : لا ينقطع ماؤها ، يقصد عينيه .

(٥) الصَّبا : ريح باردة منعشة تحمل أنفاس المحبين قادمة من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . عكس « **الدَّبُور** » الساخنة القادمة من المغرب . وضح الفجر : الوضح : الضوء ، وبياض الصبح .

(٦) القطا : جمع قطاة ، نوع من اليمام يفضل حياة الصحراء ، ويطير جماعات ، ويقطع مسافات شاسعة ، وسارية القطا : القطا المسافر ليلا . أما غادية الكدر ، فهى الطيور الغادية صباحًا تميل ألوانها إلى الكدرة .

(٧) مطوقة : حمامة . شجوا : حنينا وشوقا ، والفنن : الغصن ، والسدر : شجر النبق الواحدة بالهاء .

(٨) الشارق : الجانب الشرقى .

(٩) اغطوطش : يقال : غطش الليل غطشًا : أظلم ، وكذلك اغطش ، والغربيب : الشديد السواد ، وكثيرًا ما يجىء تأكيدًا ، فيقال : أسود غربيب .

(١٠) خَبَّ ذِعْلِبٌ : خب : عدا . ويقال : خب الفرس خبيبًا : نقل أيامنه وأياسره جميعا فى العَدْو . والذعلبة :- بالكسر - الناقة السريعة ، كالذعلب ، والآذىّ : موج البحر .

(١١) قلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة ، وتؤم : تقصد ، والبيت : المراد به البيت الحرام حاملة حجاج بيت الله ، والبلد القفر : هو المراد بقوله سبحانه : ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ [إبراهيم :٣٧] .

(١٢) الذُّكر - بضم الذال - يقال : ذكر الشىء ذِكْرًا وذُكْرًا ، وذكرى وتَذكارًا : حفظه ، واستحضره ، وجرى على لسانه .

(١٣) الوُرْق : جمع ورقاء وهى الحمامة ، والإلْف : الأليف .

١٤ - فَأُقسِمُ لا أَنساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ وَما خَبَّ آلٌ فى مُعْلَمَةٍ قَفرِ
١٥ - أَلا لَيتَ شِعرى هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً أُناجيكُمُ حَتّى أَرى غُرَّةَ الفَجرِ ؟!
١٦ - لَقَد حَمَلَت أَيدى الزَّمانِ مَطِيَّتى عَلى مَركَبٍ مُستَعطِلِ النابِ وَالظُّفرِ

٩ أتوب إليك يا رحمٰنُ !

... فلما سمع أبوه هذه الأبيات أخذ بيده إلى مَحْفِل من النَّاس ، فسألهم أن يدعوا الله تعالى له بالفرج ، فلما أخذَ النَّاسُ فى الدعاء أنشأ يقول :

١ - ذَكَرتُكِ وَالحَجيجُ لَهُم ضَجيجٌ بِمَكَّةَ وَالقُلوبُ لَها وَجيبُ
٢ - فَقُلتُ وَنَحنُ فى بَلَدٍ حَرامٍ بِهِ وَاللَّهِ أَخلَصَتِ القُلوبُ
٣ - أَتوبُ إِلَيكَ يا رَحمَنُ مِمّا عَمِلتُ فَقَد تَظاهَرَتِ الذُّنوبُ
٤ - فَأَمّا مِن هَوى لَيلَىٰ وَتَركى زِيارَتَها فَإِنّى لا أَتوبُ
٥ - وَكَيفَ وَعِندَها قَلبى رَهينٌ أَتوبُ إِلَيكَ مِنها أَو أُنيبُ ؟

١٠ الحُبُّ لِلمَرءِ قاتِل !

❁ وعن أبى مِسكين قال :

خرج رجلٌ مِنَّا حتى إذا كان بموضع يقال له : « **بئر ميمون** »؛ إذْ هو بجماعة فى ذُرَىٰ جبل ، وإذا فتًى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم ، يريدُ أن

(١٤) ذَرّ شارق : الشارق : الشمس ، وذَرّ : انتشر ضوؤها ، وخب : سار وتحرك ، والآل : السحاب والمعلمة : الصحراء ، والقفر : التى لا نبات فيها ولا ماء .
(١٥) ليت شعرى : ليتنى أعرف الإجابة عن ذلك السؤال الذى يتردد على لسانه ، وأتمنى أن أجد الجواب . وغرة الفجر : بياض الصبح .
(١٦) يقودنى الزمان إلى حيث يريد ، ولا حيلة لى فى مواجهته ! .
(١/٩) الوجيب : الصوت الصادر عن القلب . يقال : وجب القلب وجيبًا : خفق ، واضطرب ، ورجف .
(٣) تظاهرت الذنوب : تجمعت .
(٥) أنيب : أرجع مرة بعد أخرى ، ورهن : بمعنى مرهون ومحبوس لديها ، وما دام الأمر كذلك فكيف يتوب إلى الله منها وقلبه عندها مرهون ؟ ! .

يرمىَ بنفسه من أعلى الجبل ، غير أنه مصفرّ اللون ، ناحل البدن ، وهو يقول :

١ - لَقَد هَمَّ قَيسٌ أَن يَزُجَّ بِنَفسِهِ ... وَيَرمي بِها مِن ذَروَةِ الجَبَلِ الصَّعبِ

٢ - فَلا غَروَ أَنَّ الحُبَّ لِلمَرءِ قاتِلٌ ... يُقَلِّبُهُ ما شاءَ جَنبًا إِلى جَنبِ

٣ - أَناخَ هَوى لَيلَى بِهِ فَأَذابَهُ ... وَمَن ذا يُطيقُ الصَّبرَ عَن مَحمَلِ الحُبِّ ؟

٤ - فَيَسقيهِ كَأسَ المَوتِ قَبلَ أَوانِهِ ... وَيورِدُهُ قَبلَ المَماتِ إِلى التُّرْبِ

(١١) ألا حَبَّذا نجدٌ وطِيبُ تُرابِها !

... قال : فسألت عنه فقيل : هذا مجنون بنى عامر ، أخرجه أبوه إلى هذا الجبل ؛ يستقبل الريحَ التى تهُبُّ من ناحية نجد ، ويكره أن يُخَلِّيَه ؛ فيرمى بنفسه من الجبل ، فلو شئتَ دنوتَ منه ، فأخبرتَه أنك قدمت من ناحية نجد ؛ فتقدّمْ إليه ، فلعله ينزل من الجبل !

قلت : نعم ، فدنوتُ منه ؛ فقالوا : يا أبا المهدىّ ؛ هذا رجلٌ قَدِمَ من ناحية نجد ، قال : فتنفّس الصَّعْداء ، حتى ظننْت أن كبِدَه تصدعت ، ثم جلس يسألنى عنها ، عن بلاد نجد ، فأقبلتُ أُحَدِّثُه ، وأصف له ، وهو يبكى أشدَّ البكاء ، وأوجعَه للقلب ، ويقول :

١ - أَلا حَبَّذا نَجدٌ وَطيبُ تُرابِها ... وَأَرواحُها إِن كانَ نَجدٌ عَلى العَهدِ

٢ - أَلا لَيتَ شِعرى عَن عُوارِضَتَى قَنا ... لِطولِ التَّنائى هَل تَغَيَّرتا بَعدى ؟!

٣ - وَعَن أُقحُوانِ الرَّملِ ما هُوَ فاعِلٌ ... إِذا هُوَ أَمسى لَيلَةً بِثَرَى جَعدِ ؟!

---

(١) الذروة : مثلثة الذال : أعلى الجبل ، وقمته . والصعب : صعب المرتقى عسر .

(٢) لا غرو : الغرو : العجب ، ولا غرو : لا عجب .

(٣) أناخ : حطّ رحاله وأقام ، وجثم على صدره وقلبه حتى أذابه ! وصبر عن الشىء : حبس نفسه عنه ومنعها .

(١/١١) الروح - بفتح الراء المشددة - نسيم الريح ، وبرد النسيم ، والجمع أرواح .

(٢) قال صاحب الأغانى : عوارضتى قنا : عوارضة وقنا : جبلان لبنى فزارة ، وفى الأصل « قبا » بالباء ، وهو تحريف . انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٤ من الجزء الأول من الأغانى .

(٣) الأقحوان : اسم يطلق على أنواع نباتية ، ومنها البابونج الأبيض . وزهر الأقحوان أصفر أو أبيض ، وورقه مؤلل كأسنان المنشار ، وكثر فى الأدب العربى تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه . قال البحترى :

كأنما يبسم عن لُؤلُؤ ... مُنَضَّدٍ ، أو بَرَدٍ ، أو أقاح =

٤ - وَعَن جارَتَينا بِالبَتيلِ إِلى الحِمى عَلى عَهدِنا أَم لَم تَدوما عَلى عَهدِ ؟!

٥ - وَعَن عُلْوِيّاتِ الرِّياحِ إِذا جَرَت بِريحِ الخُزامى هَل تَهُبُّ إِلى نَجدِ ؟!

٦ - وَهَل تُنْفِضَنَّ الرِّيحُ أَفنانَ لِمَّتى عَلى لاحِقِ الإِطْلِينِ مُنْزَلِقِ الوَخْدِ ؟!

٧ - وَهَل أَسمعَنَّ الدَّهرَ أَصواتَ هَجمَةٍ تُطَالِعُ مِن وَهدٍ خَصيبٍ إِلى وَهدِ ؟!

١٢ يقولون : ليلى بالعراق مريضة !!

... قال : فأقبل أبوه ، بعد أن قضى نُسُكَه يُريدُ أهلَه ، فلما قَدِمَ جمع أعمامَه وأخوالَه ، فلاموه ، وعَذَلُوه ! ، وقالوا : لا خيرَ لك فى لَيْلَىٰ ، ولا لها فيك ، وقد رُدِدْنا عنها ، ولك فى بنات عمك مَن هى خيرٌ لك منها ؛ فلو تزوّجت واحدة منهن ، نرجو أن يزولَ عنك بعضُ ما بقلبك من حُبّها ؛ فأنشأ يقول :

١ - لَقَد لامَنى فى حُبِّ لَيْلَىٰ أَقارِبى أَبى وَٱبنُ عَمّى وَٱبنُ خالى وَخالِيا

٢ - يَقولونَ لَيْلَىٰ أَهلُ بَيتِ عَداوَةٍ بِنَفسِيَ لَيْلَىٰ مِن عَدوٍّ وَمالِيا

= والثرى : التراب المبلل بالندى ، والجعد : المجتمع المتقبض الملتوى ، يقال : جعد الخد ، وجعد الثرى ، فهو جعد . والمراد : ندٍ . ولفظ الأغانى : « **إذا هو أسرى** » بدلا من « **إذا هو أمسى** » .

(٤) جاء هذا البيت فى الأغانى بلفظ : وهل جارتانا ... إلخ . والبتيل : جبل بنجد .

(٥) علويات : نسبة إلى « **العالية** » ، وهى ما فوق أرض نجد إلى تهامة ، وهذه النسبة نادرة ، والقياس : عالىّ . و« **الخزامى** » جنس نبات من الفصيلة الشفوية ، أنواعه عطرة ، من أطيب الأفاويه ، واحدته : خزاماة .

(٦) جاء هذا البيت فى الأغانى بلفظ :

وَهَل أنفضن الدهرَ أفنانَ لِمّتى على لاحق المَتنَين مُندَلِقِ الوَخْد؟

ولاحق : ضامر من قولهم : لحق الفرس لحوقا ؛ أى : ضمر ، والمتنان : جنبتا الظهر عن اليمين والشمال ، والواحد « **متن** » يذكر ويؤنث . والأفنان : جمع فنن وهو الغصن المستقيم ، واللِّمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن . والمندلق والمنزلق : السريع ، والوخد : نوع من السير تخطو فيه الخيل والإبل بخطوات فسيحة واسعة .

(٧) جاء هذا البيت فى الأغانى بلفظ :

وهل أسمَعَنّ الدّهرَ أصوات هَجْمَةٍ تحَدّرُ من نَشْزٍ خصيب إلى وَهْدِ

والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، والوهد : المكان المطمئن من الأرض ، ويناسبه : تطالع . والنشز : المكان المرتفع ، ويناسبه : تحدَّر .

(٢/١٢) بنفسى لَيْلَىٰ ، أفديها بنفسى ، ومالى .

٣ - أَرى أَهلَ لَيْلَىٰ لا يُريدُونَنِى لَها ... بِشَيءٍ وَلا أَهلى يُريدونَها لِيا

٤ - قَضى اللَّهُ بِالمَعروفِ مِنها لِغَيرِنا ... وَبِالشَّوقِ وَالإِبعادِ مِنها قَضى لِيا

٥ - قَسَمتُ الهَوى نِصفَينِ بَينى وَبَينَها ... فَنِصفٌ لَها ، هَذا لِهَذا ، وَذا لِيا

٦ - أَلا يا حَماماتِ العِراقِ أَعِنَّنى ... عَلى شَجَنى وَٱبكينَ مِثلَ بُكائِيا

٧ - يَقولونَ لَيْلَىٰ بِالعِراقِ مَريضَةٌ ... فَيا لَيتَنى كُنتُ الطَّبيبَ المُداوِيا

٨ - فَشابَ بَنو لَيْلَىٰ وَشابَ ٱبنُ بِنتِها ... وَحُرقَةُ لَيْلَىٰ فى الفُؤادِ كَما هِيا

٩ - عَلَيَّ لَئِنْ لاقَيتُ لَيْلَىٰ بِخَلوَةٍ ... زِيارَةُ بَيتِ اللَّهِ رَجْلانَ حافِيا

١٠ - فَيا رَبِّ إِذ صَيَّرتَ لَيْلَىٰ هِيَ المُنى ... فَزِنّى بِعَينَيها كَما زِنتَها لِيا

١١ - وَإِلَّا فَبَغِّضها إِلَيَّ وَأَهلَها ... فَإِنّى بِلَيْلَىٰ قَد لَقيتُ الدَّواهِيا

١٢ - يَلومونَ قَيسًا بَعدَ ما شَفَّهُ الهَوى ... وَباتَ يُراعى النَّجمَ حَيرانَ باكِيا

١٣ - فَيا عَجَبًا مِمَّن يَلومُ عَلى الهَوى ... فَتًى دَنِفًا أَمسى مِنَ الصَّبرِ عارِيا

١٤ - يُنادى الَّذى فَوقَ السَّمَواتِ عَرشُهُ ... لِيَكشِفَ وَجدًا بَينَ جَنبَيهِ ثاوِيا

١٥ - يَبِيتُ ضَجيعَ الهَمِّ ما يَطعَمُ الكَرى ... يُنادى ، إِلَهى قَد لَقيتُ الدَّواهِيا

١٦ - بِساحِرَةِ العَينَينِ كَالشَّمسِ وَجهُها ... يُضيءُ سَناها فى الدُّجى مُتَسامِيا

---

(٣) إن أهل لَيْلَىٰ ليسوا على استعداد لتقديمها لى مهما غلا الثمن ! ولا أهلى يوافقون عليها ، وهذا سر شقائى !

(٤) غريب أمرى وأمرها ، فنصيب غيرى منها المعروف ، أما نصيبى منها فالشوق والإبعاد ، وهذا قدرى !

(٦) شجنى : حزنى .

(٨) حُرْقة : حرارة .

(١٠) زنى : زيِّنى ، واجعلنى جميلا فى عينيها .

(١١) الدواهيا : جمع داهية ، وهى الأمر المنكر العظيم ، ودواهى الدهر : ما يصيب الناس من عظيم نُوَبِه .

(١٢) شفه الهوى : نحل ودق من هَمٍّ أو مرض ، ويقال شفه الحب أو الهم .

(١٣) الدّنف : من اشتد مرضه ، وأشفى على الموت .

(١٤) وجدا : حبا . ثاويا : مقيما .

(١٥) ضجيع الهم : ملازما له لا يفارقه ، ما يطعم الكرى : ما يذوق النوم .

(١٦) بساحرة العينين : بسببها . والسنا : الضياء ، متساميا : يعلو الظلام .

١٣ أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعَا !

... قال : فلما سمعوا مقالَتَه أسمَعُوهُ ما يكره ، فَمَرّ - على وجهه - آسيًا مهمومًا حزينًا متفكّرًا ، يتفكّر فى أمرها ، حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة النّاس ، وصار فى حَدٍّ يرحمه من رآه من عدوٍّ وصديق ؛ فقال :

١ - ما بالُ قَلبِكَ يا مَجنونُ قَد هَلِعا ... فى حُبِّ مَن لا تَرى فى نَيلِهِ طَمَعا

٢ - الحُبُّ وَالعشْقُ سِيطَا بِالفُؤادِ لَها ... فَأَصبَحا فى فُؤادى ثابِتَينِ مَعا

٣ - طوبى لِمَن أَنتِ فى الدُّنيا قَرينَتُهُ ... لَقَد نَفى اللَّهُ عَنهُ الهَمَّ وَالجَزَعا

٤ - بَل ما قَرَأتُ كِتابًا مِنكِ يَبلُغُنى ... إِلَّا تَرَقرَقَ ماءُ العَينِ أَو دَمَعا

٥ - أَدعو إِلى هَجرِها قَلبى فَيَتبَعُنى ... حَتَّى إِذا قُلتُ هَذا صادِقٌ نَزَعا

٦ - لا أَستَطيعُ نُزوعًا عَن مَوَدَّتِها ... وَيَصنَعُ الحُبُّ بى فَوقَ الَّذى صَنَعا

٧ - كَم مِن دَنىءٍ لَها قَد كُنتُ أَتبَعُهُ ... وَلَو صَحا القَلبُ عَنها كانَ لى تَبَعا

٨ - وَزادَنى كَلَفًا فى الحُبِّ أَن مُنِعَت ... أَحَبُّ شَيءٍ إِلى الإِنسانِ ما مُنِعا

٩ - أَقرَ السَّلامَ عَلى لَيْلَىٰ وَحَقَّ لَها ... مِنّى التَّحيَّةُ إِنَّ المَوتَ قَد نَزَعا

١٠ - أَماتَ أَم هُوَ حَىٌّ فى البِلادِ فَقَد ... قَلَّ العَزاءُ وَأَبدى القَلبُ ما جَزَعا

---

(١) هلع : جزع جزعًا شديدًا فهو هلع ، وهى هلعة . وفى إحدى الروايات « خلعا » .

(٢) سِيطَا من دمى : يقال : سيط دُمُّك بدمى ، ومن دمى : خلط ومزج . (٣) طوبَىٰ : منزلة رفيعة . ونَفَى : أَبْعَد .

(٤) ترقرق : تحرك واضطرب ، أو جرى جريا سهلا وتسلسل ، ويقال : ترقرق الدمع فى العين : دار فى باطنها .

(٥) نَزَعَ : حَنَّ ومال .

(٦) نزوعًا عن مودتها : يقال : نزع إلى أهله نزوعًا : حن ومال كما فى البيت السابق ، ونزع عن الأمر : كفّ وانتهى . وهو هنا لا يستطيع نزوعا عن مودتها وليفعل الحب به أكثر مما نزل به !

(٧) والدنىء : الخسيس الدون . ولكن من أجل الورد يكرم غيره من النباتات المتسلقة . ولو صحا القلب : تيقظ من هوى لما رضى بأمثاله تبعا له . قال صاحب القاموس المحيط : الدَّنِىّ : كغِنِىّ - الساقط الضعيف وما كان دنيًّا .

(٨) الكلف : الحب ، والولع ، والتعلق .

(٩) نزع المريض نزعًا : أشرف على الموت .

(١٠) ما جزعًا : ما قطع الأكباد حزنا وشفقة .

١٤ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّه .....!(*)

... وقيل : كان المجنون بموضعٍ يُسَمّى : « **الوَادِيَيْن** » ، وكان يجلس بينهما ، ويخلو فى بيته ، فخرج يومًا يريدهما ، فلما صار قريبًا من الواديين أنشأ يقول :

١ - أَلا لا أَرى وادى الـمِـيـاهِ يُـثـيـبُ ... وَلا النَّفسُ عَن وادى المِياهِ تَطيبُ

٢ - أُحِـبُّ هُـبـوطَ الـوادِيَـيـنِ وَإِنَّـنـى ... لَـمُـشـتَـهِـرٌ بِـالـوادِيَـيـنِ غَـريـبُ

٣ - أَحَـقًّـا عِـبـادَ الـلَّـهِ أَن لَـسـتُ وارِدًا ... وَلا صـادِرًا إِلَّا عَـلَـيَّ رَقـيـبُ ؟!

٤ - وَلا زائِـرًا فَـردًا وَلا فـى جَـمـاعَـةٍ ... مِـنَ الـنَّـاسِ إِلَّا قـيـلَ أَنـتَ مُـريـبُ

٥ - وَهَـل ريـبَـةٌ فـى أَن تَـحِـنَّ نَـجـيـبَـةٌ ... إِلـى إِلـفِـهـا أَو أَن يَـحِـنَّ نَـجـيـبُ

٦ - وَإِنَّ الكَثيبَ الفَردَ مِن جانِبِ الحِمى ... إِلَـيَّ وَإِن لَـم آتِـهِ لَـحَـبـيـبُ ؟!

٧ - وَلا خَيرَ فى الدُّنيا إِذا أَنتَ لَم تَزُر ... حَبيبًا وَلَم يَطرَب إِلَيكَ حَبيبُ

♥ ♥ ♥

(*) ذكر صاحب الحماسة هذه الأبيات ما عدا السابع مع أربعة أخرى ، ونسبها إلى ابن الدمينة يعرض بحب ابنة عمه .

(١) وادى المياه : موضع بسماوة كلب بين الشام والعراق . والإثابة : المجازاة ، وطاب عنه : أعرض . والمعنى لا أرى وادى المياه يجعل لى ثوابا ، ولا أرى النفس ترضى عنه .

(٢) المعنى : إنى مشتهر بحب هذه المحبوبة فى الواديين غريب لا يساعدنى أحد على طلابها ، وإن أريد بى سوء من أجلها لم أجد ناصرا .

(٣) أفى الحق يا عباد الله أنى لا أرد إلى الوادى ، ولا أصدر عنه إلا والرقيب على أثرى لا يفارقنى ؟ ! .

(٤) فردًا : منصوب على الحال . والمعنى : لا أجتمع مع أحد إلاويظن بى الريب ، ويسىء الظن بى .

(٥) النجيبة : مؤنث النجيب : وهو الفاضل على مثله فى نوعه ، ويقال : نجائب الإبل : خيارها ، ونجائب الأشياء : لُبابُها وخالصها . والبيت لفظته استفهام ، ومعناه النفى - والمعنى : لا ريبة فى حنين أحد المتآلفين إلى الآخر .

(٦) الكثيب : التل من الرمل . والمعنى : إنى أحب التلّ المنفرد بجانب حمى حبيبتى ، لأنه موطئها ، فأحبه لحبى لها ، وإن كان الوصول إليه ممتنعًا .

(٧) طرب منه أو له طربا : خفّ واهتز من فرح وسرور .

١٥ تمتّع من ذرَىٰ هَضَباتِ نَجْد !

وَذُكِر أن أباه المُلَوّح أتاه ، وحمله إلى بابل ليعالجه ، وذلك قبل نزول ما نزل به من الحُبّ الشديد ، وسَوْرَةِ(*) العشق ؛ فحَمَله على ناقتِه ، فلما أمْعَنَا فى السّير ، ذكر المجنون لَيْلَىٰ ؛ فلم يتمالك أن قال :

١ - تَمَتَّع مِن ذُرى هَضَباتِ نَجدٍ ... فَإِنَّكَ مُوشِكٌ أَلَّا تَراها

٢ - أُوَدِّعُها الغَداةَ فَكُلُّ نَفسٍ ... مُفارِقَةٌ إذا بَلَغَت مَداها

١٦ لَكِ اللّه .. إنّى وَاصِلٌ .. !

... قال : فبكى أبوه رحمةً له ، وقال : يا بُنَيَّ ؛ هل لك أن تَسْلُوَ بغيرها ؟! فقال : واللهِ ما أَجِدُ إلى السُّلُوِّ سبيلًا ؛ وإنّى لفى أعظمِ الكربِ والبَلاءِ ، وأنشأ يقول :

١ - وَكَم قائِلٍ لى اُسلُ عَنها بِغَيرِها ... وَذَلِكَ مِن قَولِ الوُشاةِ عَجيبُ

٢ - فَقُلتُ وَعَينى تَستَهِلُّ دُموعُها ... وَقَلبى بِأَكنافِ الحَبيبِ يَذوبُ

٣ - لَئِن كانَ لى قَلبٌ يَذوبُ بِذِكرِها ... وَقَلبٌ بِأُخرى إِنَّها لَقُلوبُ

٤ - فَيا لَيلَ جودى بِالوِصالِ فَإِنَّنى ... بِحُبِّيكِ رَهنٌ وَالفُؤادُ كَئيبُ

٥ - لَعَلَّكِ أَن تُروَىْ بِشُربٍ عَلى القَذى ... وَتَرضَىْ بِأَخلاقٍ لَهُنَّ خُطوبُ

(*) سورة العشق : حِدّته واشتداده و « بابل » مدينة قديمة فى أواسط ما بين النهرين : تقع على أنقاضها الفرات قرب الحِلّة ، وهى الآن اسم محافظة فى العراق .

(١) الذُّرى : جمع ذروة ، وذروة كل شىء أعلاه . وأوشك على الشىء : اقترب منه .

(٢) الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس . مداها : نهايتها .

(١/١٦) الوُشاة : جمع واشٍ : وهو من ينم به ويسعى بينه وبين محبوبه ليفرق بينهما . واسْلُ : انْسَ وتَعزّ عنها بغيرها فالنساء كثير ! .

(٢) تستهلّ دموعها : تنهل وتسح . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب . وكنفا الرجل : حِضناه عن يمينه ويساره . وإنه لقلب واحد !

(٤) بِحُبِّيك : بحبى لك وإياك .

(٥) يقال : هو يغضى على القذى : إذا سكت على الذل والضيم ولم يَشْكُ . يقول لها : ربما سبب لك وصلك إياى متاعب تتقبلينها على رغمك ، والخطوب : جمع خَطْب ، وهو الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب .

٦ - وَتَبلِي وِصالَ الواصِلينَ فَتَعلَمي ... خَلائِقَ مَن يُصفي الهَوى وَيَشوبُ

٧ - لَقَد شَفَّ هَذا القَلبَ أَن لَيسَ بارِحًا ... لَهُ شَجَنٌ ما يُستَطاعُ قَريبُ

٨ - فَلا النَّفسُ تُخليها الأَعادي فَتَشتَفي ... وَلا النَّفسُ عَمّا لا تَنالُ تَطيبُ

٩ - لَكِ اللَّهُ إِنّي واصِلٌ ما وَصَلتِني ... وَمُثنٍ بِما أَوليتِني وَمُثيبُ

١٠ - وَآخِذُ ما أَعطَيتِ صَفوًا وَإِنَّني ... لَأَزوَرُّ عَمّا تَكرَهينَ هَيوبُ

١١ - فَلا تَترُكي نَفسي شَعاعًا فَإِنَّها ... مِنَ الوَجدِ قَد كادَت عَلَيكِ تَذوبُ

١٢ - وَأَلقَىٰ مِنَ الحُبِّ المُبَرِّحِ سَورَةً ... لَها بَينَ جِلدي وَالعِظامِ دَبيبُ

١٣ - وَإِنّي لَأَستَحيِيكِ حَتّى كَأَنَّما ... عَلَيَّ بِظَهرِ الغَيبِ مِنكِ رَقيبُ

♡ ♡ ♡

---

(٦) أصفى الهوى : أخلص فى وده وحبه . وتبلى : تختبرى . ويشوب : يخدع ولا يصفى لك الحب .

(٧) شفّ هذا القلبَ : أرَقّه ، وضَمّره عدم مبارحة الشجن له .

(٨) إنه بين نارين ؛ فالأعادى لا يُخَلّون بينه وبين محبوبته ، ونفسه لا تهدأ إذا حيل بينها وبين من تحب ، ولا تطيب ، ولا ترضى بغيرها بديلا .

(٩) إنه يبادلها وصلا بوصل ، ولا ينسى لها ما توليه من عطف وحنان . بل ويثيبها عليه ، ويشكر لها هذا الجميل . وقد ذكر صاحب ديوان الحماسة هذا البيت والأبيات (رقم ١٠، ١١، ١٣) ضمن مقطوعة أولها :

*** ألا لا أرى وادى الـمـيـاه يُـشـيـب ***

ونسبها إلى ابن الدمينة يعرض بحب ابنة عمه ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا فى المقطوعة (رقم ١٤) وعنوانها : (أحقا عباد الله ؟ !) .

ولك الله : يجوز أن يكون دعاءً لها – والمعنى : إحسان الله لك ، ويجوز أن يكون قسما وجوابه : إنى واصل ، فكأنه دعا لها ، أو أقسم لها بأنه يبقى على العهد لها مدة دوام مواصلتها وبقائها على المصافاة .

(١٠) ازوَرّ عنه : مال وانحرف . هَيُوبُ ، شديد التباعد عما تكرهه : فهو لا يفعل إلا ما يرضيها ، يحب ما تحب ، ويكره ما تكره . والمعنى : إنى أقبل كل ما صدر عنك ، وأعرض عما تكرهينه هيبة .

(١١) ألا يستحق هذا منها أن تُنْهِيَ حالة التمزق النفسى التى يعيشها . والشَّعَاعُ : المتفرق المنتشر . والمعنى : لا تتركى نفسى تقاسى الهم والقلق فإنها كادت من الشوق أن تذوب عليك .

(١٢) المبَرّح : الذى يجهد النفس ويشق عليها . والسَّورة : الحدة والشدة .

(١٣) أستحييك : يقال : استحيا منه ، واستحاه ، واستحى منه : خجل . ويقال : تكلّم عن ظهر الغيب ، وسمعت صوتا من وراء الغيْب : من موضع لا أراه . والمعنى : إنى دائم الحياء منك كأنما جعلت منك رقيبا علىّ بظهر الغيب .

١٧ دَعُونِي .. دَعُونِي .. !!

❁ قال الوالبى : بلغنى أنه دخل بابل ، واجتمع إليه المطَبّبون(*) ، وأقبلوا يَسْقُونَه شربَةً بعد شَرْبَة ، ويَكْوُونه ، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول :

١ - دَعونى دَعونى قَد أَطَلتُم عَذابِيا ... وَأَنضَجتُمُ جِلدى بِحَرِّ المَكاوِيا

٢ - دَعونى أَمُت غَمًّا وَهَمًّا وَكُربَةً ... أَيا وَيحَ قَلبى مَن بِهِ مِثلُ ما بِيا ؟!

٣ - دَعونى بِغَمّى وَٱنهَدوا فى كَلاءَةٍ ... مِنَ اللَّهِ قَد أَيقَنتُ أَن لَستُ باقِيا

٤ - وَراءَكُمُ إِنّى لَقيتُ مِنَ الهَوى ... تَباريحَ أَبْلَتْ جِدَّتى وَشَبابِيا

٥ - بَرانِيَ شَوقٌ لَو بِرَضوى لَهَدَّهُ ... وَلَو بِثَبيرٍ صارَ رَمسًا وَسافِيا

٦ - سَقى اللَّهُ أَطلالًا بِناحِيَةِ الحِمى ... وَإِن كُنَّ قَد أَبدَينَ لِلناسِ ما بِيا

٧ - مَنازِلُ لَو مَرَّت عَلَيها جَنازَتى ... لَقالَ الصَّدى يا حامِلَيَّ ٱنزِلا بِيا

٨ - فَأُشهِدُ بِالرَّحمَنِ مَن كانَ مُؤمِنًا ... وَمَن كانَ يَرجو اللَّهَ فَهْوَ دَعا لِيا

٩ - لَحى اللَّهُ أَقوامًا يَقولونَ إِنَّنا ... وَجَدنا الهَوى فى النَّأيِ لِلصَّبِّ شافِيا

١٠ - فَما بالُ قَلبى هَدَّهُ الشَّوقُ وَالهَوى ... وَأَنضَجَ حَرُّ البَينِ مِنّى فُؤادِيا ؟!

(*) من يمارسون الطب والعلاج . يسقونه ماء السُّلوان ، ويكوونه ، وآخر الدواء الكى !

(١) المكاويا : جمع مكواة ، وهى الكاوياء ، والمراد : أحرقتم جلدى بتلك الحديدة المحماة .

(٢) ويح : كلمة ترحّم وتعجب . والمراد : أيا هؤلاء ويح قلبى !

(٣) وانهدوا : انهضوا وامضوا ، فى كلاءة من الله : فى حفظ الله ورعايته .

(٤) وراءكم : ارجعوا عنى واتركونى فقد آذيتمونى !

(٥) « رضوى » و« ثبير » جبلان ، والرمس : القبر ، وسافيا : ترابا يذهب مع الرياح السافيات ، وبرانى : أنحل جسمى ، وأذاب قلبى .

(٦) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار ، ويقصد دار المحبوبة ، وما بقى بها من ذكريات ! ويدعو لها بالسُّقْيا لتستعيد نضارتها وبهجتها على عادة العرب فى دعائهم لمن يحبون .

(٧) الصّدى : رجع الصوت يرده الجبل ونحوه .

(٩) لحا الله : قبح ولعن أولئك الذين يقولون : إن البعد للمحب يشفيه مما به ، ويرون أن البعيد عن العين بعيد عن القلب ! .

(١٠) وإنى أسائل أولئك الذى يرون البعد شافيا : ما دام الأمر كذلك فما لى - وقد بَعُدتُ - هدنى الشوق والهوى ، وأحرق البعد قلبى ؟ ! .

١١ - أَلا لَيتَ عَينى قَد رَأَت مَن رَآكُمُ ... لَعَلِّيَ أَسلو ساعَةً مِن هُيامِيا

١٢ - وَهَيهاتَ أَن أَسلو مِنَ الحُزنِ وَالهَوى ... وَهَذا قَميصى مِن جَوى البَينِ بالِيا

١٣ - فَقُلتُ : نَسيمَ الريحِ أَدِّ تَحِيَّتى ... إِلَيها وَما قَد حَلَّ بى وَدَهانِيا

١٤ - فَأَشكُرُهُ إِنّى إِلى ذاكَ شائِقٌ ... فَيا لَيتَ شِعرى هَل يَكونُ تَلاقِيا ؟!

١٥ - مُعَذِّبَتى لَولاكِ ما كُنتُ هائِمًا ... أَبيتُ سَخينَ العَينِ حَرّانَ باكِيا

١٦ - مُعَذِّبَتى قَد طالَ وَجدى وَشَفَّنى ... هَواكِ فَيا لِلنّاسِ قَلَّ عَزائِيا

١٧ - مُعَذِّبَتى أَوَرَدتِنى مَنهَلَ الرَّدى ... وَأَخلَفتِ ظَنّى وَاختَرَمتِ وِصالِيا

١٨ - خَليلَيَّ إِنّى قَد أَرِقتُ وَنِمتُما ... لِبَرقٍ يَمانٍ فَاجلِسا عَلِّلانِيا

١٩ - خَليلَيَّ لَو كُنتُ الصَّحيحَ وَكُنتُما ... سَقيمَينِ لَم أَفعَل كَفِعلِكُما بِيا

٢٠ - خَليلَيَّ مُدّا لى فِراشِيَ وَارفَعا ... وِسادى لَعَلَّ النَّومَ يُذهِبُ ما بِيا

٢١ - خَليلَيَّ قَد حانَت وَفاتِيَ فَاطلُبا ... لِيَ النَّعشَ وَالأَكفانَ وَاستَغفِرا لِيا

---

(١١) ليتنى كنت قد رأيت من رأته محبوبتى لأجد السلوى من حبى ساعة !

(١٢) ولكن السلوّ من الحزن والهوى بعيد ! وكيف أسلو وقد فعل الحب بى ما فعل وأصبح قميصى باليا من تطاول مرضى ، واشتداد وجدى وحزنى وعشقى ؟ ! هيهات !

(١٣) وسلواى وعزائى أن أبعث مع نسيم الريح إليها بتحياتى ، وشكواى مما حلّ بى ودهانى بسبب حبى لها وبعدها عنى !

(١٤) شائق : مشتاق . ياليت شعرى : ليتنى أعلم ما يخبئه لى القدر ؟ ! وهل نلتقى ؟ !

(١٥) هذه الأبيات تمثل رسالة يحملها النسيم . يناديها : معذبتى فى أبيات ثلاثة ، ثم يخاطب خليليه على عادة العرب ، ويناديهما شاكيا باكيا طالبا العون منهما . فلولا محبوبته ما هام على وجهه حزينا باكيا ..

(١٦) وقد طال وجده وشفه الهوى ، والعجب أن أحدًا لم يُنصفه ، فقد قل من يعزيه عما هو فيه !

(١٧) لقد عرّضته للهلاك والموت ، وأخلفت ظنه فيها ، وقطعت وصاله !

(١٨) لقد أرق بينما نام من حوله ، فهلّا جلسا يمرضانه ، ويداويانه ؟ !

(١٩) إنه لا يستحق أن يتجاهلاه ، فلو كان مكانه سقيمين لأسرع إلى مساعدتهما ! !

(٢٠) وإنه ليطلب من خليليه تهيئة فراش مريح لعله يساعده على النوم حتى تستريح أعصابه وتهدأ نفسه ، ويطمئن باله !

(٢١) ولكنه يشعر باقتراب أجله ، فيطلب منهما إعداد النعش والكفن ، والاستغفار له ، لعل الله يتوب عليه ويرحمه ، فيسعد فى الآخرة بعدما شقى فى الدنيا !

٢٢ - وَإِن مِتُّ مِن داءِ الصَّبابَةِ أَبلِغا شَبيهَةَ ضَوءِ الشَّمسِ مِنّى سَلامِيا

١٨ وذكّرنى مَنْ لا أبوحُ بذكره !

❁ وقال بعضهم : بينما أنا أدور فى صحراء بنى تميم إذ مَرَرْت بقَانصين قد قَنَصَا ظَبْيًا ، وعَقلَاه(*) ، فوقفت أنظر إليهما ؛ إذا أنا بغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر ، عليه ضفيرتان تضربان خَصْرَه ، فدنا منهما ، وتأمّل الظّبْىَ ، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول :

١ - وَذَكَّرَنى مَن لا أَبوحُ بِذِكرِهِ مَحاجِرُ خِشفٍ فى حَبائِلِ قانِصِ

٢ - فَقُلتُ وَدَمعُ العَينِ يَجرى بِحُرقَةٍ وَلَحْظِى إِلى عَينَيهِ لَحظَةُ شاخِصِ

٣ - أَلا أَيُّهَذا القانِصُ الخِشفَ خَلِّهِ وَإِن كُنتَ تَأباهُ فَخُذ بِقَلائِصى

٤ - خَفِ اللَّهَ لا تَقتُلْهُ إِنَّ شَبيهَهُ حَياتى وَقَد أَرعَدتَ مِنّى فَرائِصى

فوالله ما بَرِحَ حتى اشتراهُ ، وخَلّى سبيلَه .

♡ حوار بين عبد الملك وكُثَيِّر حول أعشق الشعراء !!

❁ وقيل : دخل كُثَيِّر(**) بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان ، وقد قعد للسَّمَر ، فقال : يا كُثَيِّر ، هل رأيتَ أعشق منك ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين . قال : وكيف وأنت القائل :

(٢٢/١٧) وهو فى لحظاته الأخيرة لا ينسى أن يحمل خليليه سلامه إلى محبوبته المشرقة المضيئة « **نتيجة ضوء الشمس** » إن هو مات بداء الحب !

(*) قنصا : صادا ، وعقلاه : أوثقاه وربطاه . والقنص : الصيد ، والقانصان : صيادان .

(١/١٨) الخِشف : ولد الظبى ، والمحاجر : جمع مَحْجِر ، وهو ما أحاط العين . إن هذا المنظر ذكرهُ بمحبوبته التى لا يبوح بسرها !

(٢، ٣) لم يتمالك نفسه أن بكى وهو شاخص إلى عينى ذاك الخِشف وعرض على القانص أن يخليه إلى حال سبيله ، وإن أبى فله مقابله الفَتِىّ من إبله ، والقلائص : جمع قلوص .

(٤) ويذكره بالله لعله يخاف الله ويخلّى بينه وبين هذا الخشف ، فلا يقتله ، ولا يذبحه ، فما أشبهه بمن يحب ! ! ومن أجل هذا ارتعدت فرائص المجنون رحمة وشفقة على هذا الخِشف .

والفرائص : جمع فريصَة ، وهى لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، وهما فريصتان .

(**) كثير هو : عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الشهير بكثير عزة ، كان غاليا فى التشيع ، وله أخبار ونوادر مع مروان (ابن خلكان رقم الترجمة ٥١٩) . وهو أحد عشاق العرب المشهورين .

١٩ لو يسمعون كما سمعت كلامها !

[لكثير]

١ - رُكْبَانُ مَكّةَ والذين أراهُمُ يَبْلُونَ من حَرِّ الفُؤادِ هُمُودَا

٢ - لو يَسمَعونَ كَما سَمِعتُ كَلامَها خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وَسُجودا

٣ - اللهُ يَعْلَمُ لو أردْتُ زيادَةً فى حُبِّ عَزَّةَ ما وَجَدْتُ مَزيدًا

قال : أخبرك يا أميرَ المؤمنين ...

إنسِىّ أنت أم جِنّىّ ؟!

... بينما أنا أسير فى بعض البوادى ، فى ساعة الهاجرة ، فى يوم شديد الحر ، إذ رفع لى شخص فى مفازة ليس بها أنيس ، فذُعِرْتُ منه ، ثم مِلْت إليه؛ فإذا هو شابٌّ حسن الوجه ، جَعْد الشعر؛ فقلت : إنسىّ أنت أم جِنّىّ ؟ قال : بل إنسِىّ ! فقلت : ما أخرجك فى هذه الساعة إلى هذه البرية ؟! قال : نصبت شَرَكًا للظِّباء ! قلت - وقد قَرِمْتُ(*) إلى اللّحم - يا أمير المؤمنين؛ : تجعل لى نصيبًا إن أقمت عليك ؟ قال : نَعَم ، ونَعْمَةُ عَيْنٍ ! فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية ، كأحسن ما يكون من الظباء ! ، ثم قَبَضَ على قَرْنها ، وأقبلَ ينظر فى محاسنها ، ويقول :

(١/١٩) ورد البيت « يبكون » بدلا من « يبلون » . ويروى : « رُهْبَانُ مدين » .

(٢) فى البيت الثانى مبالغة من مبالغات الشعراء ، وهذا رأيهم ، فالحب يعمى ، ويصمّ ، وهم من أجل هذا « يقولون مالا يفعلون » كما وصفهم ربنا سبحانه وليس فى الكون من يستحق السجود ، فالسجود لله وحده !

وقد ذكر النحويون البيتين الأول والثانى فى شواهدهم النحوية ذاكرين أن « لو » لا يليها فى الغالب إلا ما كان ماضيا فى المعنى ، وذكروا أنه إن وقع بعدها مضارع فإنها تقلب معناه إلى المضّى ، فلو يسمعون : أى لو سمعوا .

ويروى البيت الأول :

رُهبان مدين والذين عهدتهم يكون من حذر العذاب قُعُودَا

وهو يتحدث عن تأثير عزة عليه ومنشئه .

والرهبان : جمع راهب ، وهو عابد النصارى . مدين : قريَة بساحل الطور ، قعودًا : جمع مأخوذ من قعد للأمر : أى اهتم له واجتهد فيه .

(*) قَرِم اللحم وإليه : اشتدت شهوته إليه . ونعمة عين : أى أفعل ذلك إنعامًا لعينك وإكرامًا .

٢٠ أيا شبه ليلى :

١ - أَيا شِبهَ لَيْلَىٰ لا تُراعى فَإِنَّنى لَكِ اليَومَ مِن بَينِ الوُحوشِ صَديقُ

ثم أَطْلَقَها ، وجعل ينظر فى أَثَرِهَا ، ويقول :

٢ - أقولُ - وَقَدْ أَطْلَقْتُها من وَثاقِها أ فأنتِ لِلَيْلَىٰ - إن شكرتِ - عَتيقُ

٣ - فَعَيناكِ عَيناها وَجِيدُكِ جِيدُها سِوى أَنَّ عَظمَ الساقِ مِنكِ دَقيقُ

٤ - وَكادَ بِلادُ اللَّهِ يا أُمَّ مالِكٍ بِما رَحُبَت مِنكُم عَلَيَّ تَضيقُ

٢١ ألا يا شبهَ ليلى !

ثم وقفتُ يا أميرَ المؤمنين ساعة؛ فإذا قد عَلِقَتْ أخرى ، فصنع بها ما صنع بالأولى ، وأنشأ يقول :

١ - أَلا يا شِبهَ لَيْلَىٰ لا تُراعى وَلا تَنسَلُّ عَن وِردِ التِّلاعِ

٢ - لَقَد أَشبَهتِها إِلَّا خِلالًا نُشوزَ القَرنِ أَو حَمشَ الكُراعِ

♡ ♡ ♡

(١/٢٠) لا تُرَاعى : لا تفزعى .

(٢) الوَثاق : القيد : عتيق : حرة من أجل لَيْلَىٰ .

وقد ذكر هذين البيتين الأولين ابن خلّكان نقلًا عما حكاه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء .

(٣) الجِيدُ : العنق .

(٤) « **أم مالك** » كُنْيَة لَيْلَىٰ . وجاء هذا البيت فى الأغانى كما رواه الأصفهانى .

تكاد بلاد الله يا أمَّ مالك بما رحبت يومًا علىّ تضيق

(١/٢١) لا تَنْسَل : لا تُمنع ، ولا يحال بينها وبين ورود التّلاع : جمع التَّلعة؛ ما ارتفع من الأرض ، ومسيل الماء من أعلى إلى أسفل ، وهو المراد هنا ، ويراد بها أيضًا ما اتسع من فم الوادى .

(٢) إنها تشبه لَيْلَىٰ إلا فى بعض الخلال والصفات ، منها بروز وظهور القرون ، وحُموش الكُراع : والكُراع : مُستَدَقّ الساق العارى من اللحم وهذا كما قال فى البيت السابق :

سوى أن عظم الساق منك دقيق

والحُموش : الدّقة . لقد دخلته عليها رقة لشبهها بلَيْلَىٰ فأطلقها من وثاقها .

٢٢ تَرَوَّح سالماً يا شبه لَيلى !

قال : فتعجبت يا أميرَ المؤمنين من صُنعه ؛ فما كان إلا هُنَيْهَة حتى عَلِقَتْ أخرى ، فأطلقها من وَثاقها ، وجعل يبكى ويقول :

١ - تَـرَوَّح سـالِـمًـا يـا شِـبـهَ لَـيْـلَـىٰ قَـريـرَ الـعَـيـنِ وَٱسـتَـطِـبِ الـبُـقـولا

٢ - فَـلَـيْـلَـىٰ أَنـقَـذَتـكَ مِـنَ الـمَـنـايـا وَفَـكَّـت عَـن قَـوائِـمِـكَ الـكُـبـولا

فغاظنى - يا أميرَ المؤمنين - غيظًا شديدًا ، وقلت فى نفسى : ستعلم !

ثم مكثنا ساعة ، فعلقت أخرى ، فوثَبْتُ إليها ، فكسرْتُ يدَها طمعًا فى لحمها؛ فبكى بُكاءً عاليًا ، ثم قال :

وَيْحَكَ ! ما دعاك إلى أنْ أفسَدْت موضِعًا يوافقنى ، وكنتُ أَلِفْتُه ؟!

ثم اغتفلنى(*)؛ فأتى ماءً كان قريبًا منه ، فغمَسَ فيه كِسَاءَه فبَلّه ، ثم أتَى « نُوَيْرَةَ » فأطفأها ، ثم قال : أفسدت حالى ! ما أراه إلا أنه مات !

٢٣ أيا عَـزَّ ... !

[لكثير عزة]

فقال عبد الملك بن مروان : فأين أنت من قولك حيث تقول :

١ - أَيا عَزَّ لَو أَشكو الَّذى قَد أَصابَنى إِلى مَيِّتٍ فى قَبرِهِ لَبَكى لِيا

(١/٢٢) تَرَوَّح : سِرْ آمنا فى العَشِىِّ - كما كنت . قرير العين : سعيدًا بحريتك وانطلاقك ، وانعم بتناول ما لذ وطاب من المرعى ! .

(٢) المنايا : جمع مَنِيّة ، ويراد بها الموت ، والمنايا ، المهالك . والكبول : القيود جمع كَبْل ، وهو القَيْد من أى شىء كان . وجمعه أكْبُل ، وكُبول ، وأكبال .

(*) اغتفلنى : انتهز فرصة غفلتى عنه ، و« نويرة » نارا صغيرة ضعيفة .

(١) عَزّ : منادى مرخم : محذوف الآخر تخفيفًا؛ فهى عزة بنت جميل بن حفص ولكثير معها - كما يقول ابن خلكان - حكايات ونوادر ، وأمور مشهورة ، وأكثر شعره فيها ، والأبيات تنساب فى سهولة ويسر ، وتعبر عن تجربة صادقة ، وحب دفين صادف قلبًا خاليًا فتمكن منه !

٢ - وَيا عَزَّ لَو أَشكو الَّذى قَد أَصابَنى إِلى راهِبٍ فى دَيْرِهِ لَرَثىٰ لِيا
٣ - وَيا عَزَّ لَو أَشكو الَّذى قَد أَصابَنى إِلى جَبَلِ صَعبِ الذُّرَىٰ لانحَنى لِيا
٤ - ويا عَزّ لو أشكو الذى قد أصابنى إلى « ثَعْلَبٍ » فى جُحْرِهِ لانْبَرَى لِيَا
٥ - وَيا عَزَّ لَو أَشكو الَّذى قَد أَصابَنى إِلى مُوثَقٍ فى قَيدِهِ لَعَدا لِيا

٢٤ إن الظّباءَ التى فى الدُّورِ تُعجِبُنى !!

❁ قال : أشعر منى - يا أمير المؤمنين - الذى يقول :

١ - إِنَّ الظِّباءَ الَّتى فى الدورِ تُعجِبُنى تِلكَ الظِّباءُ الَّتى لا تَأكُلُ الشَّجَرا
٢ - لَهُنَّ أَعناقُ غِزلانٍ وَأَعيُنُها وَهُنَّ أَحسَنُ مِن أَبدانِها صُوَرا
٣ - وَلى فُؤادٌ يَكادُ الشَّوقُ يَصدَعُهُ إِذا تَذَكَّرَ مِن مَكنونِهِ الذِّكْرى
٤ - كانَت كَدُرَّةِ بَحرٍ غاصَ غائِصُها فَأَسلَمَتها يَداهُ بَعدَ ما قَدَرا

٢٥ أشلّ اللّه كَفّىْ من رماها

❁ ويقول :

١ - إِذا نَظَرَتْ عَرَفتُ الجيدَ مِنها وَعَينَيها وَلَم نَعرِف سِواها
٢ - كَرِهنا أَن نُفَزِّعَها فَقُلنا أَشَلَّ اللَّهُ كَفَّىْ مَن رَماها

(١/٢٤) البيت الأول كناية عن النساء ، ويعنى لَيْلَىٰ . والظباء : جمع ظبى ، ويقال له : الغزال الأخضر .
(٢) فى ظباء الدور من ظباء البادية الأعناق والعيون .
(٣) يصدعه : يشقه ، ويمزقه ، ويحطمه .
(٤) يعود إلى شبهِ لَيْلَىٰ تلك التى أطلقها من عقالها بعدما قدر عليها ، فما أشبهه فى هذا الصنيع بغواصٍ وجد درة ثمينة ، ولكن يداه أسلمتها بعد أن قدر عليها ! إنه الحب .. حُبّ لَيْلَىٰ وكل ما يشبه لَيْلَىٰ !
(١/٢٥) الجِيدُ : العُنق ، جيدُها وعيناها تذكران المجنون بمن يحب ويهوى ، وليس فى الغزال ما يشبهها سواهما .
(٢) لقد جرّب ترويع من يحب ، ولهذا لم يشأ أن يفزعها ، وراح يدعو بشلل الكفين لمن يرميها ! إنه الحِسُّ المرهف ، والقلب الخفاق !

٢٦ وكنت كذبّاح العصافير !

قال : فمن هذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين هو الذى يقول فى قصيدته :

١ - وَكُنتُ كَذَبّاحِ العَصافيرِ دائِبًا ... وَعَيناهُ مِن وَجْدٍ عَلَيهِنَّ تَهمِلُ

٢ - فَلا تَنظُرى لَيْلَىٰ إِلى العَينِ وَٱنظُرى ... إِلى الكَفِّ ماذا بِالعَصافيرِ تَفعَلُ

قال : ويحك ! عَسَاهُ المجنون ! قلت : نعم !

٢٧ نارُ الهَوَى فى القلب تلتهِبُ !!

قال : فزدنى من شعره ! فقلت : قال :

١ - لَو سِيلَ أَهلُ الهَوى مِن بَعدِ مَوتِهِمُ ... هَل فُرِّجَت عَنكُمُ مُذ مِتُّمُ الكُرَبُ

٢ - لَقالَ صادِقُهُم أَن قَد بَلى جَسَدى ... لَكِنَّ نارَ الهَوى فى القَلبِ تَلتَهِبُ

٣ - جَفَّت مَدامِعُ عَينِ الجِسمِ حينَ بَكى ... وَإِنَّ بِالدَّمعِ عَينَ الروحِ تَنسَكِبُ

٢٨ أَحِنّ إلى الحِجَاز !!

❁ وقال :

١ - أَحِنُّ إِلى أَرضِ الحِجازِ وَحاجَتى ... خِيامٌ بِنَجدٍ دونَها الطَّرفُ يَقصُرُ

(١/٢٦) تَهمِلُ : تَسِحُّ ، وتسيل ، وما أشبه هذا البيت وما بعده ، بقصة الطفل والصياد ، حين هبت عاصفة فدخل شىء من الرمل فى عينى الصياد وهو يصوب بندقيته إلى العصافير ، فدمعت عيناه ، فرثى الطفل الصغير لحاله ، فقال له أبوه : « لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى السلاح الذى فى يديه ! » .

(١/٢٧) سيل فعل ماض مبنى للمجهول ، وأصله سُئِل ، فخففت همزتها كما نقول فى الأمر : سَلْ ما بدا لك بدلًا من اسأل . والكُرَب جمع كُرْبة ، وهى الحُزن والغم الذى يأخذ بالنفس .

(٢) بَلِى : فنى وذاب .

(٣) وما أبعد الفرق بين : عين الجسم ، وعين الروح ، إن عينَ الروح لا تكف عن الأحزان والدموع ، كما تظل نار الهوى مشتعلة فى القلب حتى وإن فنى الجسم !

(١/٢٨) الحِجاز : ما بين تِهامة ونجد من بلاد العرب؛ أما نجد ، فقسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق ، أكْثَر شعراءُ العربية القول فى طيب ترابه ، وجودة هوائه ، وحسن نباته . وقُصُور الطرف والنظر دونها كناية عن بعدها ، ولكن البعيد عن العين ليس بعيدًا عن القلب؛ فما أكثر ما يراوده الحنين إلى نجد ومحبوبته التى بنجد ! .

٢ - وَما نَظَرى مِن نَحوِ نَجدٍ بِنافِعى ... أَجَلْ ، وَلَكِنّى عَلى ذاكَ أَنظُرُ

٣ - أَفى كُلِّ يَومٍ عَبرَةٌ ثُمَّ نَظرَةٌ ... لِعَينِكَ يَجرى ماؤُها يَتَحَدَّرُ ؟!

٤ - مَتى يَستَريحُ القَلبُ إِمّا مُجاوِرٌ ... حَزينٌ وَإِمّا نازِحٌ يَتَذَكَّرُ

٥ - يَقولونَ كَم تَجرى مَدامِعُ عَينِهِ ... لَها الدَّهرَ دَمعٌ واكِفٌ يَتَحَدَّرُ

٦ - وَلَيسَ الَّذى يَجرى مِنَ العَينِ ماؤُها ... وَلَكِنَّها نَفسٌ تَذوبُ وَتَقطُرُ

٢٩ وعندكم عقلى !

❁ وقال :

١ - وَشُغِلتُ عَن فَهمِ الحَديثِ سِوى ... ما كانَ مِنكِ وَحُبُّكُم شُغلى

٢ - وَأُديمُ نَحوَ مُحَدِّثى لِيَرى ... أَن قَد فَهِمتُ وَعِندَكُم عَقلى

٣٠ هل يَقْتُلُ الرجُلَ الحبُّ ؟!

❁ وقال : واجتمع قوم على « جرير بن الخطفىّ » فقال لهم جرير : ما بيت نصفُه كأنه أَعْرَابِىّ على قَعُود ، ونصفُه كأنه جالينوسُ بحكمته ؟ قالوا : لا ندرى ! قال : قد أجّلتُكُمْ .. قالوا : لو أجَّلْتَنَا حولين لم نَدرِ ، ولكن عَرِّفنا ، فأنشأ يقول :

---

(٢) ويعود فيقول مستدركا – إن النظر إلى هناك ليس بنافع .. نعم ليس بنافع .. ولكنه مع ذلك لا يكف عن النظر لعل وعسى !

(٣) وإلى متى تتساقط دموعه وعبراته كل يوم . ويتحدّر : ينزل .

(٤) نازح : راحلٌ غير مقيم ، ولا راحة للمحب ، فهو حزين إن جاور محبوبه لصَدّه ، ولا راحة لقلبه فى البعد والنزوح عن ديار الأحبة؛ فالذكرى تؤرقه وتوجع قلبه ! مسكين من يحب فى البعد والقرب ! وهل هناك أمل فى أن يستريح القلب على الحالين؟ !

(٥) واكف : سائل يتقاطر .

(٦) وهم يتساءلون ، ويستكثرون تلك الدموع التى تنحدر من عينه ، وآه لو عرفوا أنها ذوْبُ نفسه وقلبه ! !

(١/٢٩) إنه مشغول بلَيْلَىٰ؛ وحبها شغله الشاغل ، فلا يكاد يفهم مما يسمعه شيئًا اللهم إلا حديثها ! كل كلمة بدرت منها كانت حكمة ، وكل لفظة كانت حنانًا !

(٢) ولا عجب فعقله عند لَيْلَىٰ ، وإن أدام النظر نحو مُحدثه ليُريَه أنه قد فهم ، والواقع أنه لم يفهم ولم يعقل منه شيئًا .

١ - أَلا أَيُّـهـا الـنـوّامُ وَيْـحَـكُـمُ هُـبّـوا
كلمةُ أعرابِيّ على قَعُودٍ له ، ثم أدركه اللينُ ، ووضوحُ الحُبِّ ، فقال :
أُسائِلُكُم هَل يَقتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

٢ - فَقالوا نَعَم حَتّى يَرُضَّ عِظامَهُ وَيَترُكَهُ حَيرانَ لَيسَ لَهُ لُبُّ
٣ - فَيا بَعلَ لَيْلَىٰ كَيفَ يُجمَعُ شَملُنا لَدَيَّ وَفيما بَينَنا شَبَّتِ الحَربُ ؟!
٤ - لَها مِثلُ ذَنبي اليَومَ إِن كُنتُ مُذنِبًا وَلا ذَنبَ لي إِن كانَ لَيسَ لَها ذَنبُ

٣١ قَيسٌ يُرَحِّبُ بالجَرَاد !

❁ وعَن رَجُلٍ مِن بنى أَسَدٍ قال : خرجت فى عام أشهب[١] ، أمسكت السماءُ فيه مَطَرَها ، والأرضُ نَبْتَها ، فرحلت ناقتى[٢] ، وركبتُ الصَّعْبَ والذَّلول؛ ترفعنى أرضٌ ، وتخفضنى أخرى ؛ فلما صِرْتُ لماء لبنى حنيفة ، وقعت لى روضة مُعْشِبة كثيرة الأَنْوَارِ[٣] والزَّهْرِ؛ فدعتنى نفسى إلى الإلمام بها ، فنزلتُ فى أرجاء تلك الأزاهير المونِقَة[٤] ، والأنوار البديعة المورقة ، وأنختُ ناقتى إلى قِنْوان نخلة[٥] صغيرة ، وجلستُ هنيهةً ، فبينما أنا كذلك ، إذ سقطَ رِجْلٌ[٦] من جراد ، فافترشت جنباتها ، وأخذت طولَها وعرضها ، فظَلْتُ متعجّبًا مِمّا أرى !

ثم نظرت فى نواحيها فإذا أنا بشخصٍ أقبلَ ما على جسده غير شعرٍ مُنْسَدِلٍ على

(١/٣٠) كلمة أعرابى على جمل له فيها خشونة البداوة ، وجفوتها ، وفيها ذلك التنبيه المفاجئ ، والاستثارة المفزعة ، كأنما قد وقعت الحرب ! ويأتى الشطر الثانى ليمثل الحكمة بما فيه من مساءلة توحى بما يعانيه من الحب !
(٢) فقالوا نعم يقتله ، ولا يتركه حتى يَرُضّ عظامه ، ويدقها دقًا عنيفًا أو يكسرها ، ويتركه بلا عقل حَيران ذاهلًا .
(٣) لا أملَ منذ الآن فى جمع الشمل بعد أن تزوجت وأصبح لها بعل .. وكيف يلتئم الشمل ، وقد شبت الحرب بينه وبين بعلها؟ !
(٤) إن كنت قد أذنبت فلها مثل ذنبى ، وإن كانت غير مذنبة فلا ذنب لى !
(١/٣١) عام أشهب : يقال : أشهبت السَّنةُ القوم : أصابت أموالهم . وعام أشهب : مجدب ، ويوم أشهب : ذو برد وريح .
(٢) رحلت ناقتى : وضعت عليها رحالها . (٣) الأنوار : جمع نوْر وهو الزهر . (٤) المونقة : المعجبة .
(٥) أنخت ناقتى : حططت رحالى ونزلت . قِنْوان نخلة : أعذاق نخلة واحدها قِنو .
(٦) رِجْل - بكسر الراء - الطائفة العظيمة من الجراد .

صدره ، وزغَبَات على عُكَنِه(٧)؛ فراعنى مَنْظَرُه ، واستطار قلبى خوفًا ووجَلًا ، وخَشيتُ أن أكون على شَرَف الهلاك؛ وما شككت أنه شيطان مارد ! ! فلما دنا منى أنشأ يقول :

١ - حَبَّ إِلَينا بِكَ يا جَرادُ ... أَرضٌ وَإِن جاعَت بِكَ الأَكبادُ

٢ - وَضاقَتِ الأَصدارُ وَالأَورادُ ... وَلَم يَكُن قَبلُ لَنا عَتادُ

٣ - وَلَا لأَبْنَاءِ السَّبِيلِ زَادُ

٣٢ كيف السبيل إلى ليلى ؟!

فقلت : إنسِيٌّ أم جنّى؛ فأنشأ يقول :

١ - إِلَيكَ عَنّي فَإِنّي هائِمٌ وَصِبٌ ... أَما تَرى الجِسمَ قَد أَودى بِهِ العَطَبُ

٢ - لِلَّهِ قَلبِيَ ماذا قَد أُتيحَ لَهُ ... حَرُّ الصَّبابَةِ وَالأَوجاعُ وَالوَصَبُ

٣ - ضاقَت عَلَيَّ بِلادُ اللَّهِ ما رَحُبَت ... يا لَلرِّجالِ فَهَل فى الأَرضِ مُضطَرَبُ ؟!

٤ - البَينُ يُؤلِمُنى وَالشَّوقُ يَجرَحُنى ... وَالدارُ نازِحَةٌ وَالشَّملُ مُنشَعِبُ

٥ - كَيفَ السَّبيلُ إِلى لَيلَىٰ وَقَد حُجِبَت ... عَهدى بِها زَمَنًا ما دونَها حُجُبُ

ثم خر مَغشيًّا عليه ! !

---

(٧) زَغَبَات على عُكَنِه : الزَّغَبُ : صغار الريش والشعر ولينه . والعُكن : جمع عُكنة ، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمَنًا .

(١/٣١) جاء فى أساس البلاغة : حَبّ بمعنى حَبَّبَ : على الرغم من المجاعة .

(٢) يقال : طريق وارد صادر : يرد فيه الناس ويصدرون ، وهنا ضاقت الأصدار والأوراد بسبب تكاثر الجراد . والعَتاد : عدة كل شىء .

(٣) أبناء السبيل : من انقطع بهم الطريق ، ولا يجدون ما يتبلغون به .

(١/٣٢) يقال : إليك عنى فى طلب التنحى . وإليك هذا فى عرض الشىء . وهنا يطلب ممن حوله أن يتنحوا عنه . الوَصِبُ : المريض الذى يشكو وجَعًا وألمًا . أودى به : ذهب به وأهلكهُ . والعطب : الفساد والهلاك .

(٢) يتعجب مما حل بقلبه وما أتيح له من حر الشوق والأوجاع والمرض .

(٣) لقد ضاقت عليه بلاد الله ، فهل إلى مكان واسع من سبيل؟ !

(٤) مسكين ! البعد يؤلمه ، والشوق يجرح قلبه ، والدار بعيدة ، والشمل متفرق .

٣٣ بِلَادِى ... !!

... فبادرتُ إلى الماء، ونضحتُ على وجهه؛ فأفاق بعد حين، ثم تنفّس الصَّعْدَاء، فأنشأ يقول :

١ - بِلادى لَو فَهِمتِ بَسَطتُ عُذرى ... إِذا مـا الـقَـلـبُ عـاوَدَهُ نُـزوعُ

٢ - بِـهـا الـحَـيـنُ الـمُـتـاحُ لِـمَـن بَـغـاهُ ... وَجَـزعٌ لِـلـغَـريـبِ بِـهِ مُـريـعُ

٣ - إِلـى أَهـلـى الـكِـرامِ تَـشـاقُ نَـفـسـى ... فَـهَـل يَـومًـا إِلـى وَطَـنـى أُريـعُ

مع المجنون فى مشاهداته وذكرياته !

وقيل : كانت العرب تحفر الرَّكايا، والبرك، وتملؤها ماء، ثم تسقى إبلها، وغنمها، فإذا انتجعت إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية، فطمست آثارها القَسَاطِل؛ فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وَتد مَشْجُوج، ونُؤْى منهدم، وطوًى مثلوم، فيستعبر أَسَفًا وحُزْنًا(*)، ويقول :

٣٤ ألا يا رُكَيّاتِ الرَّسِيسِ

١ - أَلا يا رَكَيَّاتِ الرَّسَيسِ عَلى البِلا ... سُقيتُنَّ هَل فى ظِلِّكُنَّ شُجونُ ؟!

(١/٣٣) بسط عذره : أبداه، وعرضه، والنزوع الميل.

(٢) الحَيْن - بفتح الحاء وسكون الياء - : الهلاك والمِحنة، ويقال : « **إذا حان الحَيْن حارت العين !** » . والجزع نفاد الصبر، ومُريع : مفزع.

(٣) تشاق : تشتاق . أريع : أعود وأرجع ! ، ولكن كيف السبيل؟

(*) الرّكايا : جمع رَكيّة وهى البئر التى لم تبن بالحجارة . انتجعت : ذهبت لطلب الكلأ والمرعى - عَفَتْها الرياح : غَطّتها وطمرتها - القساطل : جمع قَسْطل وهو الغبار . وَتِد مشجوج : الوَتِد : ما يدق فى الأرض وتربط فيه حبال الخيمة، ومشجوج : شُق رأسه بسبب دَقٍّ، والنُّؤْى : مجرى يحفر حول الخيمة أو الخباء يقيها السيل، والجمع نُؤًى . طوى : بئر مطوية بالحجارة . مثلوم : متهدم . يستعبر : يبكى وتسيل عبراته .

(١/٣٤) قال فى القاموس المحيط : الرسيس ابتداء الحُب، ويؤيد هذا تساؤله فى آخر البيت : هل فى ظلكن شجون؟ ويدعو لها بالسقيا بعد أن طمستها الرمال وغيرت معالمها لتعود كما كانت مأوى المحبين . ويجوز أن يكون الرسيس اسم موضع له فيه ذكريات . ويقال : شَجنت الحمامة شجونًا، رددت صوتها واعتبرته العرب نُواحًا . هل فى ظلكن من يبكى الذين رحلوا؟ !

٢ - أَضَرَّ بِكُنَّ العامَ نَوءُ سَحابَةٍ وَمَحْلٌ فَما تَجرى لَكُنَّ عُيونُ
٣ - أَجَنتُنَّ بَعدَ الحَيِّ فَٱنصاحَتِ اللِّوىٰ وَكُنتُنَّ عَهدى ما بِكُنَّ أُجونُ

٣٥ كُلّ المشارب مُذ هُجِرتَ ذَميمُ !

... ثم قعد عند جبل يقال له : الوَشَل بناحية تِهامة ، كأعظم ما يكون من الجبال ، وأنشد يقول :

١ - أَقرَأ عَلى الوَشلِ السَّلامَ وَقُل لَهُ كُلُّ المَشارِبِ مُذ هُجِرتَ ذَميمُ
٢ - جَبَلٌ يَزيدُ عَلى الجِبالِ إِذا بَدا بَينَ الذَّرائِعِ وَالحُثومِ مُقيمُ
٣ - تَسرى الصَّبا فَتَبيتُ فى أَلواذِهِ وَيَبيتُ فيهِ مَعَ الشَّمالِ نَسيمُ
٤ - سُقيًا لِظِلِّكَ بِالعَشِيِّ وَبِالضُّحى وَلِبَردِ مائِكَ وَالمِياهُ حَميمُ
٥ - لَو كُنتُ أَملِكُ مَنعَ مائِكَ لَم يَذُق ما فى فَلاتِكَ ما حَيِيتُ لَئيمُ

٣٦ عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيلَىٰ !!

❁ وقيل : خرج رجل يُريدُ سَفَرًا؛ فبينما هو يَمُرّ بين سباسِبَ وآكام ، إذ رأى رجلًا نحيلَ الجسم كأضوأ ما يكون من الرجال ، وهو على شفير بئر(*) .

(١/٣٥) الوَشَل : المراد به هنا – جبل عظيم بناحية تِهَامة . ويطلق الوشل – فى اللغة – على الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل قطره ، وقيل : لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل ! والمشارب جمع مشرب ، وهو الموضع الذى يُشرب منه ، والمشروب نفسه .

(٢) الذرائع : جمع ذريعة وهى ما يستتر به الصائد . والحثوم : جمع حثمة وهى الأكمة الصغيرة الحمراء أو السوداء من حجارة ، وموضع قرب الحَجُون .

(٣) الصَّبَا : ريح لينة قادمة من الشمال تحمل أنفاس المحبين محملة بالفل والياسمين ، وألواذه ، جوانبه التى كان يلجأ إليها من يلوذ به إليه . ومن المجاز – كما جاء فى أساس البلاغة – أطيب من أنفاس الصّبَا إذا غازلت رياضَ الرُّبا !

(٤) إنه لا يملك إلا الدعاء له بالسقيا آخر النهار وأوله لتعود إليه الحياة ، وليعود إلى مائه برده بعد أن صار حميمًا حارًّا لا يستساغ !

(٥) الفلاة : الصحراء ، والأرض الواسعة المقفرة؛ ولو كان الأمر بيده لمنع اللئام عن ورود مائه !

(*) السّبَاسِب : جمع سَبْسَب ، والسَّبْسَب : المفازة والصحراء المهلكة . والآكام : جمع أكمة ، وهى التل . شفير بئر : حافته .

قال : فدنوت منه ، فإذا هو يقول :

١ - عَفا اللَّهُ عَن لَيْلَىٰ وَإِن سَفَكَت دَمى ... فَإِنّى وَإِن لَم تَجْزِنى غَيرُ عاتِبِ
٢ - عَلَيها ، وَلا مُبدٍ لِلَيْلَىٰ شِكايَةً ... وَقَد يَشتَكى المُشكّى إلى كُلِّ صاحِبِ
٣ - يَقولونَ تُب عَن ذِكرِ لَيْلَىٰ وَحُبِّها ... وَما خَلدِى عَن حُبِّ لَيْلَىٰ بِتائِبِ

٣٧ إلى الله أشكو طولَ هذى الشدائد !

❁ وقال أيضًا :

١ - فَيا قَلبُ مُتْ حُزنًا وَلا تَكُ جازِعا ... فَإِنَّ جَزوعَ القَومِ لَيسَ بِخالِدِ
٢ - هَويتَ فَتاةً كَالغَزالَةِ وَجهُها ... وَكَالشَّمسِ يَسبى دَلُّها كُلَّ عابِدِ
٣ - وَلى كَبِدٌ حَرّى وَقَلبٌ مُعَذَّبٌ ... وَدَمعٌ حَثيثٌ فى الهَوى غَيرُ جامِدِ
٤ - وَآيَةُ وَجدِ الصَّبِّ تَهطالُ دَمعِهِ ... وَدَمعُ الشَّجيِّ الصَّبِّ أَعدَلُ شاهِدِ
٥ - عَلى ما أَنطَوى مِن وَجدِهِ فى ضَميرِهِ ... عَلى الآنِساتِ الناعِماتِ الخَرائِدِ
٦ - فَيا لَيتَ أَنَّ الدَّهرَ جادَ بِرَجعَةٍ ... وَهَيهاتَ إِنَّ الدَّهرَ لَيسَ بِعائِدِ

(١/٣٦) تجزنى : تكافئنى .
(٢) المشكّى : المتوجع من ألم ونحوه .
(٣) خلَدى : بالى ونفسى ، والجمع أخلاد .
(١/٣٦) جازعًا : غير صابر على ما نزل به .
(٢) دَلها : ما هى عليه من سكينة ووقار فى الهيئة والشمائل ، والمنظر ، والشكل الذى تُدِل به ، وما هى عليه من تكسُّر وملاحة . ويسبى : يأسر .
(٣) والحثيث : السريع .
(٤) الصّبّ : المحب العاشق الولهان ، والآية : العلامة : والتهطال : هطول ونزول وانسكابُ الدموع . والوجد : الحزن . والشّجَى : الحزن . ويقال : ما أضمر أحد شيئًا إلا ظهر فى فلتات لسانه ، أو فى عينيه ، ودموع العين أعدل شاهد على ما يعانيه الصب .
(٥) الخرائد : جمع خريدة وهى العَذراء الحيِيَّة .
(٦) رجعة : سمح بأن تعود المياه إلى مجاريها ، وتعود أيام الصفاء واللقاء ، ولكن هيهات ، فما فات لن يعود !

٧ - إِلَيكَ فَعَزِّ النَّفسَ وَٱستَشعِرِ الأَسى ... فَحُبُّكَ يَنمِى زائِدًا غَيرَ بائِدِ

٨ - وَقَد شَسَعَت لَيلَىٰ وَشَطَّ مَزارُها ... وَغَيَّرَها عَن عَهدِها قَولُ حاسِدِ

٩ - فَيا أَسَفا حَتّامَ قَلبى مُعَذَّبٌ ... إِلى اللَّهِ أَشكو طولَ هَذِى الشَّدائِدِ

ثم رجعتُ فتركتُه ، ومضيتُ عنه .

٣٨ يا لَيتَ مَن جَهِلَ الصَّبابَةَ ذاقَها !!

❁ وعن رجلٍ من بنى عامر قال : لَقِيتُ المجنونَ عند قُفُولِه عن البيت الحرام ، فقلت له : ويْحَك ! اسْتَشْعِرِ الصبرَ ، واستبِق مودةَ الحبيبِ بكتمان الحب .

واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالسّتر ، ونَفْيِك الشُّنْعة؛ فإن التهتُّك يقطع موادّ الغبطة ، وليس للمهتوك أُلفة ، والمستور طويل مدة الغبطة(*)؛ فكان من جوابه أن قال :

١ - إِنَّ الغَوانِيَ قَتَّلَت عُشّاقَها ... يا لَيتَ مَن جَهِلَ الصَّبابَةَ ذاقَها

٢ - فى صُدغِهِنَّ عَقارِبٌ يَلسَعنَنا ... ما مَن لَسَعنَ بِواجِدٍ تِرياقَها

٣ - إِنَّ الشِّفاءَ عِناقُ كُلِّ خَرِيدَةٍ ... كَالخَيزُرانَةِ لا تَمَلُّ عِناقَها

٤ - بيضٌ تُشَبَّهُ بِالحِقاقِ ثُدِيُّها ... مِن عاجَةٍ حَكَتِ الثُّدِيَّ حِقاقَها

---

(٧) إن الحُب يزداد يومًا بعد يوم ، ولا أمل فى اللقاء ، فلم يبق إلا العزاء والتسلّى !

(٨) شَسَعت : بَعُدت . وشطّ : بَعُد . (٩) حَتّام : حتى متى؟ !

(*) قُفوله : عودته ، يقال : قفل راجعًا . ويْحك : كلمة ترحم وإشفاق ! ، والشُّنْعة : القبح . والغبطة : السرور . والتهتك : عدم المبالاة فى نشر الفضائح ، وهتك الأستار ، وارتكاب الأخطاء .

(١/٣٨) الغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى استغنت بجمالها عن الزينة .

(٢) المقصود بالعقارب فى الصدغ خصلات الشعر الملتوية التى تشبه العقارب فى تأثيرها ، وكثيرًا ما تغنى الشعراء بواوات الأصداغ فى وجوه الملاح . والتّرياق : الدواء الشافى من السموم ، وما يمنع ميكانيكيًا امتصاص السُّم من الأمعاء كما عرفه المجمع اللغوى بمصر .

(٣) ولا شفاء إلا فى لقاء الأحبة ، وعناق العذارى الجميلات اللاتى يشبهن أعواد الخيزران فى اللين والملاسة والقدّ ، ويقال : كأن قدّها غُصْنُ بان ، أو قضيب (عود) خيزران !

(٤) الحِقاق : جمع حُقّ ، وهو وِعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج ، أو بلّوْر ، وللقدماء وَلع بتشبه الثدى به ، ففى شواهد النحو التى درسناها فى الأربعينات كأن ثدياه حُقّان .

٥ - يُدمى الحَريرُ جُلودَهُنَّ وَإِنَّما ... يُكسَينَ مِن حُلَلِ الحَريرِ رِقاقَها

٦ - زانَت رَوادِفَها دِقاقُ خُصورِها ... إِنّى أُحِبُّ مِنَ الخُصورِ دِقاقَها

٧ - إِنَّ الَّتى طَرَقَ الرِّجالَ خَيالُها ... ما كُنتُ زائِرَها وَلا طَرّاقَها

٣٩ وقالوا: لو تشاءُ سلوتَ عنها !!

❁ وقال أيضًا :

١ - وَقالوا لَو تَشاءُ سَلَوتَ عَنها ... فَقُلتُ لَهُم فَإِنّى لا أَشاءُ

٢ - وَكَيفَ وَحُبُّها عَلِقٌ بِقَلبى ... كَما عَلِقَت بِأَرشِيَةٍ دِلاءُ

٣ - لَها حُبٌّ تَنَشَّأَ فى فُؤادى ... فَلَيسَ لَهُ وَإِن زُجِرَ ٱنتِهاءُ

٤ - وَعاذِلَةٍ تُقَطِّعُنى مَلامًا ... وَفى زَجرِ العَواذِلِ لى بَلاءُ

٤٠ زَرَعن الهوى فى القلب ثم سقينه !

قال : فأقسمتُ عليه أن يُنْشِدَنى أحْسنَ ما قاله فى وصف المحاجر ، والأطراف ، والبَشَر ، والجلد(*)؛ فقال :

---

(٥) يدمى الحرير جلودهن مع أنهن يُكْسَيْن أرق أنواع الحرير كناية عن الرقة المتناهية ، وربما أشبه هذا البيت للمجنون ما درسناه فى البلاغة منذ أكثر من نصف قرن بقول الشاعر :

خطراتُ النسيم تجرح خدَّيه ... ولمس الحرير يدمى بنانه

(٦) العرب يفضلون رقة الخصور ودقتها مع امتلاء العَجُز ، والكفل ، والمؤخرة ،؛ فذلك يزين المرأة فى أعين المحبين !

(٧) إنه يغار حتى على خيالها !

(١/٣٩) سلوت : يقال : سلا عنه : نسيه وطابت نفسه بعد فراقه .

(٢) عَلِقٌ : متمكن من قلبى . والأرشية : جمع رِشاء . وهو الحبل ، والدِّلاء جمع دلو .

(٣) إنه ليس طارئًا حتى يمكن التخلص منه بزجره فهو كما قيل :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

(٤) العاذلة ، اللائمة .

(*) المحاجر جمع مَحْجِر - بكسر الجيم - : ما أحاط بالعين . والبَشَر : جمع بَشَرة وهى ظاهر الجلد .

١ - لَيالِيَ أَصبو بِالعَشِيِّ وَبِالضُّحى ... إِلى خُرَّدٍ لَيسَت بِسُودٍ وَلا عُصلِ

٢ - مُنَعَّمَةِ الأَطرافِ هَيفٍ بُطونُها ... كَواعِبَ تَمشي مِشيَةَ الخَيلِ في الوَحْلِ

٣ - وَأَعناقُها أَعناقُ غِزلانِ رَملَةٍ ... وَأَعيُنُها مِن أَعيُنِ البَقَرِ النُّجْلِ

٤ - وَأَثلاثُها السُّفلى بَرادِيٌّ ساحِلٍ ... وَأَثلاثُها الوُسطى كَثيبٌ مِنَ الرَّملِ

٥ - وَأَثلاثُها العُليا كَأَنَّ فُروعَها ... عَناقيدُ تُغذى بِالدِّهانِ وَبِالغِسلِ

٦ - وَتَرمي فَتَصطادُ القُلوبَ عُيونُها ... وَأَطرافُها ما تُحسِنُ الرَّميَ بِالنَّبلِ

٧ - زَرَعنَ الهَوى في القَلبِ ثُمَّ سَقَينَهُ ... صُباباتِ ماءِ الشَّوقِ بِالأَعيُنِ النُّجْلِ

٨ - رَعابيبُ ما صِدْنَ القُلوبَ وَإِنَّما ... هِيَ النَّبلُ ريشَت بِالفُتورِ وَبِالكُحلِ

٩ - فَفيمَ دِماءُ العاشِقينَ مُطَلَّةٌ ... بِلا قَوَدٍ عِندَ الحِسانِ وَلا عَقلِ ؟!

---

(١) الخُرَّد : جمع خريدة ، وهى الفتاة العذراء الناعمة الحييّة . وعُصْل : جمع عَصلاء وهى اليابسة من النساء التى لا لحم عليها ، والعصلاء أيضًا معوجة الساق .

(٢) منعّمة الأطراف : دليل الترفه وحسن العيش والغذاء ، واكتمال جمال الجسم . والهَيف - محركة - ضَمر البطن ورقة الخاصرة ، ومن اتصفت بالهيف فهى هيفاء . والكواعب : جمع كاعب؛ وهى الفتاة التى نَهَد ثَدْياها .

(٣) النُّجْل : جمع نجلاء ، وهى الواسعة ، وكانوا يشبهون عيون النساء بعيون بقر الوحش فى سعة العيون وسوادها . وما أكثر أولئك الذين قتلتهم عيون المها !

(٤ ، ٥) البرادى قد يكون ذلك النبات المائى الذى تسمو ساقه الهوائية إلى نحو متر أو أكثر وينبت بأعالى النيل . أما الوسطى فهى كثيب من الرمل : والكثيب : الرمل المحدودب . أما القسم الأعلى الذى فيه شعرها ، وضفائرها تتدلى كعناقيد غذيت . والدّهان : ما يدهن به من الأصباغ .

(٦) والعجيب أن عيونها هى التى تصطاد القلوب ، على الرغم من أنّ أطرافها منعمة لا تحسن الرمى بالنَّبل . والأطراف : جمع طرف .

(٧) الصبابات : جمع الصبابة : وهى الشوق أو رقته ، وحرارته .

(٨) الرعابيب : جمع رُعبوب ، وكذلك رُعبوبة ، ورِعْبِيب : الضعيفة التى لا قدرة لها على الصيد ، وكذلك الغضة الطويلة الممتلئة الجسم .

وكما يراش السهم بالريش ليساعده على الانطلاق فيصيب ، كذلك سهام العيون ونبالها ريشت بالفتور وبالكحل ، فكثيرًا ما تحدثوا عن العيون الناعسات !

(٩) مُطَلّة : مُهْدَرَة ، بلا قَوَد : بلا قصاص ، ولا عقل : ولا دية .

١٠ - وَيَقتُلنَ أَبناءَ الصَّبابَةِ عَنوَةً أَما فى الهَوى يا رَبِّ مِن حَكَمٍ عَدلِ !

٤١ أحسن شىء قاله المجنون فى العِفة !

❁ وقال أبو الحسَن العلوى : سألت الوالبى عن أحسن شىء قاله المجنون فى العِفّة ، فأنشدنى :

١ - أَلا يا شِفاءَ النَّفسِ لَو يُسعِفُ النَّوى وَنَجْوىٰ فُؤادى لا تُباحُ سَرائِرُه

٢ - أَثِيبِى فَتًى حَقَّقتِ قَولَ عَدوِّهِ عَلَيهِ وَقَلَّت فى الصَّديقِ مَعاذِرُه

٣ - أُحِبُّكِ يا لَيْلَىٰ عَلى غَيرِ رِيبَةٍ وَما خَيرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ ضَمائِرُه

٤٢ ألا حَبّذا أطلالُ لَيْلَىٰ !

❁ وأنشد :

١ - يَجيشونَ فى لَيْلَىٰ عَلَيَّ وَلَم أَنَل مَعَ العَذلِ مِن لَيْلَىٰ حَرامًا وَلا حِلَّا

٢ - سِوى أَنَّ حُبًّا لَو تَشاءُ أَقَلَّها وَلَو تَبتَغى ظِلًّا لَكانَ لَها ظِلَّا

٣ - أَلا حَبَّذا أَطلالُ لَيْلَىٰ عَلى البِلىٰ وَما بَذَلَت لى مِن نَوالٍ وَإِن قَلَّا

٤ - فَما يَتَمادى العَهدُ إِلَّا تَجَدَّدَت مَوَدَّتُها عِندى وَإِن زَعَمَت أَن لا

---

(١٠) عَنْوَةً : قهرًا .

(١/٤١) النوى : البُعد ، لو يُسعِفُ النوى : أمنية عاشق ، أن يسعفه النوى بحاجته ، فيقضيها ، ويواتينى فيكون القرب والمصافاة ، فلا أتحدث بما فى فؤادى إلا لك ، أبثك ما أسره ، ولا تباح للآخرين سرائرى !

(٢) أما آن لك يا لَيْلَىٰ ، أن تكافئينى ، وتصلى ما انقطع بعد أن حققت ما قاله الأعداء ، وبعد أن أصبح لا يجد ما يعتذر به لدى الأصدقاء !

(٣) لا يخامرنى شك فيك يا لَيْلَىٰ فأنت فوق الشبهات ، ولا خير فى حب لا عفة فيه !

(١/٤٢) يجيشون : يهيجون عَلَىَّ - فى حبى لليْلَىٰ ، ومع لومهم وعذلهم ، فإننى لم أتلْ منها شيئًا .

(٢) أقلَّ الشىء : حمله ورفعه . كان لها ظِلًّا ، يتبعها ولا يفارقها .

(٣) ما زلت الوفى لأطلالها ، وما بذلت لى من عطاءٍ وإن كان قليلًا .

(٤) ولا تمر الأيام على حبنا إلا وتزداد مودتها ، وإن زعمت أن مودتى لها تقل وتتناقص مع الأيام ! فطول العهد يُنسى كما يقولون .

٤٣ المجنون وغُراب !

❁ وقال بعضهم : بينما المجنون ذات يوم جالس؛ إذ مَرّ به غُرابٌ فأنشأ يقول :

١ - أَلا يا غُرابَ البَينِ إن كُنتَ هابِطًا بِلادًا لِلَيْلَىٰ فَٱلتَمِس أَن تَكَلَّما

٢ - وَبَلِّغ تَحِيّاتى إِلَيها وَصَبوَتى وَكُن بَعدَها عَن سائِرِ النّاسِ أَعجَما

٤٤ المجنون وقد لاح له البرق !

❁ وقال بعضهم :

بينما المجنون ذات يوم فى خطرات جنونه وحَيرَتِه ، لا يدرى أين يتوجه؛ إذ لاح البرق له ، فوقف ساعة ، ثم قال :

١ - أَلا لا أُحِبُّ السَّيرَ إِلَّا مُصَعِّدًا وَلا البَرقَ إِلَّا أَن يَكونَ يَمانِيا

٢ - عَلى مِثلِ لَيْلَىٰ يَقتُلُ المَرءُ نَفسَهُ وَإِن كُنتُ مِن لَيْلَىٰ عَلى اليَأسِ طاوِيا

٣ - إِذا ما تَمَنّى النّاسُ رَوحًا وَراحَةً تَمَنَّيتُ أَن أَلقاكِ يا لَيلَ خالِيا

٤ - أَرى سَقَمًا فى الجِسمِ أَصبَحَ ثاوِيًا وَحُزنًا طَويلًا رائِحًا ثُمَّ غادِيا

٥ - وَنادى مُنادى الحُبِّ أَينَ أَسيرُنا لَعَلَّكَ ما تَزدادُ إِلَّا تَمادِيا

٦ - حَمَلتُ فُؤادى إِن تَعَلَّقَ حُبَّها جَعَلتُ لَهُ مِن زَفرَةِ المَوتِ فادِيا

(١/٤٣) البين : البعد والفراق . والتمس : اطلب أن تتكلم ، أى : اطلب الكلمة ليُسمح لك بها .

(٢) صبوتى : حنينى وشوقى . أعجما : لا تنطق .. لا تتكلم مع غيرها !

(١/٤٤) يقال : صَعّد فى الجبل ، واليمانى : المنسوب إلى اليمن - كما جاء فى القاموس - ما عن يمين القبلة من بلاد الغور ، ومن بين ذات عِرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مُغَرِّبًا عن تهامة . والمراد : برق محبوبته حيث كانت تقيم .

(٢) طاويًا : يقال : طوى نفسه على الأمر : لم يُظهره .

(٣) الرَّوْح : الراحة ، ونسيم الريح ، تقول : وجدت روح الشّمال : برد نسيمها .

(٤) ثاويًا : مقيمًا وملازمًا .

(٥) أسيرنا : يعنى نفسه !

(٦) تعلق حُبَّها : تمكن حبها من قلبه .

٤٥ فيا كَبِدًا أخشى عليها !

❁ وقال أيضًا :

١ - لَقَد طَرَقَتنى أُمُّ خِشفٍ وَإِنَّها ... إذا صَرَعَ القَومَ الكَرى لَطَروقُ

٢ - أَقامَ فَريقٌ مِن أُناسٍ بِوُدِّهِم ... بِذاتِ الشَّرى عِندى وَبانَ فَريقُ

٣ - بِحاجَةِ مَحزونٍ كَئيبٍ فُؤادُهُ ... رَهينٌ بِبَيضاتِ الحِجالِ صَديقُ

٤ - تَخَيَّلنَ أَن هَبَّت لَهُنَّ عَشِيَّةً ... جَنوبٌ وَأَن لاحَت لَهُنَّ بُروقُ

٥ - فَيا كَبِدًا أَخشى عَلَيها وَإِنَّها ... مَخافَةَ هَضْباتِ اللِّوى لَخَفوقُ

٦ - كَأَنَّ فُضولَ الرَّقمِ حينَ جَعَلتُها ... غَديًّا عَلى أُدْمِ الجِمالِ عُذوقُ

٧ - وَفيهِنَّ مِن نُجلِ النِّساءِ نَجيبَةٌ ... تَكادُ عَلى غُرِّ السَّحابِ تَروقُ

٨ - هِجانٌ فَأَمّا الدِّعْصُ مِن أُخرَياتِها ... فَوَعثٌ وَأَمّا خَصرُها فَدَقيقُ

(١/٤٥) طرقتنى : زارتنى ليلًا . كما يبدو من آخر البيت - حيث حدد زمن طروقها عندما يصرع القوم الكرى وهو النوم ، و« أم خِشف » كناية عن الغزال فابنها الصغير يسمى « خِشفًا » والعرب تشبه المحبوبة بالغزالة ذات الخشف فى حنانها ورقتها . طَرُوق : كثيرة التردد عليه ليلًا حيث يأتيه طيفها .

(٢) الشرى جبل بنجد لِطَيِّئ : وجبيل بتهامة كثير السباع ، ووادٍ بين كبكب ونعمان على ليلة من عرفة . وبان : بَعُد . أى من هؤلاء الأناس من أقام عنده بما له من الود ، ومنهم مَنْ بان وبعد .

(٣) بيضات الحجال : النّساء ، والعرب تشبه المرأة بالبيضة فى لونها وصيانتها ، والحجال : جمع حَجَلة : سِتْر يضرب للعروس فى جوف البيت ، وهو رهينهن وأسيرهن .

(٤) تخيّلن الخ يقال ريحهما جنوب : إذا كانا متصافيين ، ولاح البرق : أومض . والعشية : آخر النهار من زوال الشمس إلى المغرب ، أو من صلاة المغرب إلى العشاء .

(٥) هضبات : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض ، أو الطريق الممتنع فى الجبل ، واللّوى : ما التوى من الرمل أو مسترقّه .

(٦) فضول الرقم : ما بقى منه ، ويقال : دابة مرقومة ، فى قوائمها خطوط ، والغَدِيّ كالغداةِ . أول النهار . والأُدْم : جمع أَدْمَاء . شديدة السمرة . والعُذُوق : جمع عِذق؛ وهو القِنْو من النخلة ، والعنقود من العنب إذا أكل ما عليه .

(٧) نُجُل : جمع نجلاء ، وهى واسعة العينين ، وكان العرب يمدحون فى المرأة العينين والجيد . غر السحاب : ما كان منه أبيض صافيًا . تروق : تزيد عليه فضلًا وصفاء .

(٨) الهِجان من الأشياء : أجودها وأكرمها أصلًا ، ومن الإبل : البيض الكرام ، ويقال : امرأة هِجانٌ : عقيلة قومها . والدّعص : قطعة من الرمل مستديرة . الوعث : كل لين سهل .

٤٦ سقى الله حيّا

❁ وقال أيضًا :

١ - أَقولُ لِقَمقامِ بنِ زَيدٍ أَلا تَرى ... سَنا البَرقِ يَبدو لِلعُيونِ النَّواظِرِ

٢ - فَإِن تَبكِ لِلبَرقِ الَّذى هَيَّجَ الهَوى ... أُعِنكَ وَإِن تَصبِر فَلَستُ بِصابِرِ

٣ - سَقى اللَّهُ حَيًّا بَينَ ضارَةَ وَالحِمى ... حِمى الرَّشفِ صَوبَ المُدجِناتِ المَواطِرِ

٤ - أَمينَ وَأَدّى اللَّهُ مَن كانَ مِنهُمُ ... إِلَيهِم ، وَوَقّاهُم صُروفَ المَقادِرِ

٤٧ لَقَد هَتَفَت فى جُنحِ لَيلٍ حَمامَةٌ (*)

❁ وقيل : إنه مَرّ ذات يَوْمٍ بدَوْحَةٍ مديدةِ الظِّل ، باسِقةِ الأغصان ، وَريقَةِ الأفنان فى يوم عليل ، شديد القيظ ، فاستند إلى ساقها ، واستظل بظلها ، وقد خامرته الهموم ، وعلاه الجُنون ، فرقدت عيناه ، فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة ، فانتبه فزعًا مرعوبًا ، فأنشأ يقول :

١ - لَقَد هَتَفَت فى جُنحِ لَيلٍ حَمامَةٌ ... عَلى فَنَنٍ وَهنًا وَإِنّى لَنائِمُ

٢ - فَقُلتُ اُعتِذارًا عِندَ ذاكَ وَإِنَّنى ... لِنَفسِيَ فيما قَد أَتَيتُ لَلائِمُ

(١/٤٦) سنا البرق : إضاءته .

(٢) إن المحب يرى محبوبته فى كل شىء حوله ، يراها فى سنا البرق وضيائه فيهيج هواه ، ويحرك أشجانه .

(٣) أجمل الدعوات عند العرب للأحباء الدعاء بالسّقيا . وضارة والحِمَى : موضعان ، والرشف : موضع ، والمدجنات : السحب الممطرة .

(٤) الصروف : جمع صَرف؛ نوائب الدهر وحِدْثانُه .

(*) ذكر صاحب ديوان الحماسة هذه الأبيات الأربعة ونسبها إلى إلى نصيب الأكبر مولى بنى مروان .

(١/٤٧) جُنح ليل : فى ظلامه ، أو فى طائفة منه . والفَنَن : الغصن ، الوهن : الضعف وذبول الحيوية ، ونحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . هتفت : نادت ، والمعنى : لقد نادت الحمامة فى ظلمة الليل على غصن ، وأنا غير يقظان من نومى .

(٢) رواه صاحب الحماسة « مما قد رأته » بدلًا من « فيما قد أتيت » . والواو للحال .

٣ - أَأَزعُمُ أَنّى عاشِقٌ ذو صَبابَةٍ بِلَيْلَىٰ وَلا أَبكى وَتَبكى البَهائِمُ
٤ - كَذَبتُ وَبَيتِ اللَّهِ لَو كُنتُ عاشِقًا لَما سَبَقَتنى بِالبُكاءِ الحَمائِمُ

٤٨ وَيْلِى على العُذّال !!

❁ وقال أيضًا :

١ - هَوى صاحِبى ريحُ الشَّمالِ إِذا جَرَت وَأَهوى لِنَفسى أَن تَهُبَّ جَنوبُ
٢ - فَوَيلى عَلى العُذّالِ ما يَترُكونَنى بِغَمّى أَمَا فى العاذِلينَ لَبيبُ ؟!
٣ - يَقولونَ لَو عَزَّيتَ قَلبَكَ لَارْعَوى فَقُلتُ وَهَل لِلعاشِقينَ قُلوبُ ؟!
٤ - دَعانى الهَوى وَالشَّوقُ لَمّا تَرَنَّمَت هَتوفُ الضُّحى بَينَ الغُصونِ طَروبُ
٥ - تُجاوِبُ وُرقًا قَد أَصَخنَ لِصَوتِها فَكُلٌّ لِكُلٍّ مُسعِدٌ وَمُجيبُ
٦ - فَقُلتُ حَمامَ الأَيكِ ما لَكَ باكِيًا أَفارَقتَ إِلفًا أَم جَفاكَ حَبيبُ ؟!

---

(٣) رواه صاحب الحماسة بلفظ :

أأزعم أنى هائم ذو صبابة لِسُعْدَى ولا أبكى وتبكى الحمائم

ومعنى البيتين على هذا : إنى لما سمعت حنين تلك الحمامة قلت معتذرًا ولائمًا لنفسى على ما قد أبصرته : كيف أدعى أنى متحير صاحب صبابة ، وتبكى الحمامة على أليفها ، وأنا لا أبكى على أليفتى؟ !

هذا وقد كانت رواية الديوان : « وتبكى البهائم » .

(٤) المعنى : فإذن أكون كاذبًا فيما ادعيته - وبيتِ الله لو كنت عاشقًا لم تركت البكاء حتى سبقتنى إليه الحمائم .

(١) ريح الشمال : الريح التى تهب من تلك الجهة ، ويقال : شمال ، وشامل . ومقابلها ريح الجنوب ، وهو يحب الجنوب التى تأتيه من حيث تقيم لَيْلَىٰ .

(٢) الويل : كلمة عذاب . والعُذّال : جمع عاذل ، وهو اللائم .

(٣) عزّيت قلبك : صَبَّرته . ارعوى : كفّ ، وانزجر ورجع .

(٤) ترنّمتْ : غنت وغردت وطرّبت بصوتها ، هَتُوف الضّحى : يعنى الحمامة .

(٥) تجاوب وُرْقا : الوُرْق جمع ورقاء ، وهى الحمامة المطوقة . أَصَخْن : أصغين مُسْعِدٌ : مساعد ، ومجيب : يرد كل منهما على الآخر .

(٦) الأَيْك : جمع أيكة : الشجر الكثير الملتف . وهو ينادى حمام الأيك ، وحرف النداء « يا » محذوف ، فكأنه قال : يا حمام الأيك .

٧ - تُذَكِّرُنى لَيْلَىٰ عَلى بُعدِ دارِها ... وَلَيْلَىٰ قَتولٌ لِلرِّجالِ خَلوبُ

٨ - وَقَد رابَنى أَنَّ الصَّبا لا تُجيبُنى ... وَقَد كانَ يَدعونى الصَّبا فَأُجيبُ

٩ - سَبى القَلبَ إِلَّا أَنَّ فيهِ تَجَلُّدًا ... غَزالٌ بِأَعلى الماتِحينَ رَبيبُ

١٠ - فَكَلِّم غَزالَ الماتِحينِ فَإِنَّهُ ... بِدائى وَإِن لَم يَشفِنى لَطَبيبُ

١١ - فَلَو أَنَّ ما بى بِالحَصا فَلَقَ الحَصا ... وَبِالرِّيحِ لَم يُسمَع لَهُنَّ هُبوبُ

١٢ - وَلَو أَنَّنى أَستَغفِرُ اللَّهَ كُلَّما ... ذَكَرتُكِ لَم تُكتَب عَلَيَّ ذُنوبُ

١٣ - فَدُومى عَلى عَهدٍ فَلَستُ بِزائِلٍ ... عَنِ العَهدِ مِنكُم ما أَقامَ عَسيبُ

٤٩ من أجل ليلى !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَموتُ إِذا شَطَّتْ وَأَحيا إِذا دَنَت ... وَتَبعَثُ أَحزانى الصَّبا وَنَسيمُها

٢ - فَمِن أَجلِ لَيْلَىٰ تولَعُ العَينُ بِالبُكا ... وَتَأوى إِلى نَفسٍ كَثيرٍ هُمومُها

٣ - كَأَنَّ الحَشا مِن تَحتِهِ عَلِقَت بِهِ ... يَدٌ ذاتُ أَظفارٍ فَتَدمَىٰ كُلومُها

---

(٧) إن صوت الحمام يذكره بلَيْلَىٰ على الرغم من بعد دارها ، وما يفعله جمالها فى الرجال فقتلاها كثيرون ! وهى خلُوب : تفتن العقول !

(٨) رابنى : جعلنى شاكًّا . الصَّبَا : الريح القادمة من عند لَيْلَىٰ .

(٩) سبى القلبَ : أسره ، والتجلّد : التصبّر والتحمل والتعزى . « الماتحين » : جبل ، وربيب : تربّى ونشأ فى هذا المكان .

(١٠) وفى هذا البيت يتوجه إلى « حمام الأيك » أن يكلم « غزال الماتحين » لعل وعسى !

(١١-١٢) لقد بلغ العشق به المدى ، وفى البيتين يصور ما فعل الحب به .

(١٣) ويطلب منها أخيرًا أن تحافظ على العهد فهو باق عليه مقيم . والعسيب : جبل ، وهو أيضًا عظم الذّنب .

(١/٤٩) شطّت : بعدت ، عكس دنت . وفى بعدها موته ، وفى قربها حياته ، ولا يملك إلا أن يبعث بأحزانه إليها مع « الصَّبَا » ونسيمها .

(٢) تُولَع : تتعلق به تعلّقًا شديدًا . وتأوى : ترق وترحم ، يقال : أوَى له وإليه أوْيًا : رق له ورحمه « المعجم الوسيط » .

(٣) الحَشَا : ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكَبِد والطِّحال والكَرِش ، وما تبع ذلك . والكُلوم : جمع كَلْم وهو الجُرح .

٥٠ يَامُوقِدَ النَّارِ !!

❁ قيل : إن المجنون صحبَ يومًا أصحابَ إبِل ، واستروحَ(*) إليهم ، فنزلوا منزلًا لم يجدوا لإبِلِهم فيه ماء ، قد أجهدهم الكَلال؛ فباتوا ليلتهم ، فلما نوّر الصباح ، قدحَ أحدهم نارًا ، فكلّما التهبتْ أطفأها الريح والمطر ، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون يقول :

١ - يا مُوقِدَ النارِ يُذكيها وَيُخمِدُها ... قَرُّ الشِّتاءِ بِأَرياحٍ وَأَمطارِ

٢ - قُم فَاصطَلِ النارَ مِن قَلبى مُضَرَّمَةً ... فَالشَّوقُ يُضرِمُها يا مُوقِدَ النارِ

٣ - وَيا أَخا الذَّودِ قَد طالَ الظَّماءُ بِها ... لَم تَدرِ ما الرِّيُّ مِن جَدْبٍ وَإِقتارِ

٤ - رُدَّ المَطِيَّ عَلى عَينى وَمَحجِرِها ... تَروِ المَطِيَّ بِدَمعٍ مُسبَلٍ جارى

٥ - يا مُزمِعَ البَيْنِ إِن جَدَّ الرَّحيلُ فَلا ... كانَ الرَّحيلُ فَإِنّى غَيرُ صَبّارِ

٥١ أقول لأصحابى ...

❁ وقال :

١ - أَقولُ لِأَصحابى وَقَد طَلَبوا الصِّلَىٰ ... تَعالَوْا اصطَلوا إِن خِفتُمُ القُرَّ مِن صَدرى

٢ - فَإِنَّ لَهيبَ النَّارِ بَينَ جَوانِحى ... إِذا ذُكِرَت لَيْلَىٰ أَحَرُّ مِنَ الجَمرِ

(*) استروح إليهم : سكن واطمأن . والكلال : التعب .

(١/٥٠) يُذكيها : يشعلها عكس يخمدها ، وقَرّ الشتاء : برده .

(٢) اصطلى النار ، وبها : استدفأ بها . مُضَرّمَة : مشتعلة متأججة .

(٣) الذَّوْد : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر ، وأخوها : صاحبها . والرِّىّ : الارتواء من الماء عكس الظمأ والعطش . والجَدْب : اليبس و« التصحر » بسبب احتباس الماء ، والإقتار : ضيق العيش .

(٤) مَحجِر العين : ما أحاط بها .

(٥) يا مزمع البين : يا عازمًا على الفراق والرحيل إنى لا أطيق الفراق فلا كان فراقك !

(١/٥١) الصِّلا : - بكسر الصاد - الاستدفاء . والقُرّ : - بضم القاف - البرد . ويفتح مع الحر وجوبًا .

(٢) الجوانح : جمع جانحة ، وهى الضّلع الصغيرة مما يلى الصدر .

٣ - فَقالوا : نُريدُ الماءَ نَسقى وَنَستَقى ... فَقُلتُ : تَعالَوْا فَٱستَقوا الماءَ مِن نَهرى

٤ - فَقالوا وَأَينَ النَّهرُ ؟ قُلتُ : مَدامِعى ... سَيُغنيكُمُ دَمعُ الجُفونِ عَنِ الحَفرِ

٥ - فَقالوا : وَلِم هَذا ؟ فَقُلتُ : مِنَ الهَوى ... فَقالوا: لَحاكَ اللَّهُ قُلتُ: ٱسمَعوا عُذرى

٦ - أَلَم تَعرِفوا وَجهًا لِلَيلَىٰ شُعاعُهُ ... إِذا بَرَزَت يُغنى عَنِ الشَّمسِ وَالبَدرِ

٧ - يَمُرُّ بِوَهمى خاطِرٌ فَيَؤُدُّها ... وَيَجرَحُها دونَ العِيانِ لَها فِكرى

٨ - مُنَعَّمَةٌ لَو قابَلَ البَدرَ وَجهُها ... لَكانَ لَهُ فَضلٌ مُبينٌ عَلى البَدرِ

٩ - هِلالِيَّةُ الأَعلى مُطَلَخِمَّةُ الذُّرا ... مُرَجرَجَةُ السُّفلَىٰ مُهَفهَفَةُ الخَصرِ

١٠ - مُبتَّلَةٌ هَيفاءُ مَهضومَةُ الحَشا ... مُوَرَّدَةُ الخَدَّينِ واضِحَةُ الثَّغرِ

١١ - مُدَمْلَجَةُ الساقَينِ بَضٌّ بَضيضَةٌ ... مُفَلَّجَةُ الأَنيابِ مَصقولَةُ الخَمرِ

١٢ - فَقالوا: أَمَجنونٌ؟ فَقُلتُ: مُوَسوِسٌ ... أَطوفُ بِظَهرِ البيدِ قَفرًا إِلى قَفرِ

(٣، ٥) نسقى الحيوان والنبات : نرويه . وتستقى : نأخذ لأنفسنا منه .

وفى هذا البيت وما بعده حوار جميل رائع . لحاك الله : قبّحك ولعنك !

(٦، ١٠) فى هذه الأبيات الخمسة يبدى لهم عذره ، وتصادفك فى الأبيات الكلمات الآتية ، وسأضع معانيها إلى جانبها حتى لا تحول بينك وبين المتعة الروحية .

(٧) خاطر : ما يخطر بالقلب من أمر ، أو رأى ، أو معنى . يؤدّها : يشتد عليها . دون العيان : لا يُرى ، فهى جراح نفسية وقلبية .

(٩) هلالية الأعلى : ذات وجه مضىء كالهلال . مُطْلَخِمّة الذرى : جاء فى القاموس المحيط اطلخمّ كاطرخمّ ، ويقال : اطرخمّ الليل : اسودّ ، وذُرى كل شىء : أعلاه ، والمراد : أن شعرها ليل ، ووجهها هلال وبدرٌ . مرجرجة السفلى : جاء فى المعجم الوسيط : جارية رجراجة : يترجرج ردفها ولحمها . والمرجرجة : المهتزة . مهفهفة الخصر : دقيقة الوسط ، والمهفهف : ضامر البطن .

(١٠) مبتّلة : مُمَيّزة عن غيرها لها طابع خاص؛ فهى تفوق غيرها . هيفاء : دقيقة الخصر ، ضامرة البطن . مهضومة الحشا : الحشا : ما دون الحجاب مما يلى البطن كله ، ومهضومة الحشا : والهضيم أيضًا : اللطيفة الكشحين (وهما ما بين الخاصرة والضلوع) . واضحة الثغر : حسنة الثغر مبيضة الأسنان .

(١١) مُدَمْلَجَةُ الساقين : مكتنزة باللحم . بضٌّ . يقال : بضَّ البدن : امتلأ ونضُر ، ويقال : بشرة بضّة وبضيضة : رقيقة نضرة . مفلّجة : تباعدت أسنانها بعضها عن بعض ، والمراد بالأنياب : الأسنان . مصقولة الخمر : المصقول المصمت المدْمج ، والخَمْرُ : السّتر ، كناية عن تَصَوّنها حتى لا تكاد تُرَى .

(١٢) البيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء . يَسْتَنّ : يسيل وينساب ما نقع من ماءٍ آتٍ بين حجارة معرضة للشمس ، فسبحان الله واهب الحياة .

١٣ - فَلا مَلَكُ المَوتِ المُريحِ يُريحُنى ... وَلا أَنا ذو عَيشٍ وَلا أَنا ذو صَبرِ

١٤ - وَصاحَت بِوَشْكِ البَينِ مِنها حَمامَةٌ ... تَغَنَّت بِلَيلٍ فى ذُرا ناعِمٍ نَضرِ

١٥ - عَلى دَوحَةٍ يَستَنُّ تَحتَ أُصولِها ... نَواقِعُ ماءٍ مَدَّهُ رَضَفُ الصَّخرِ

١٦ - مُطَوَّقَةٌ طَوقًا تَرى فى خِطامِها ... أُصولَ سَوادٍ مُطمَئِنٍّ عَلى النَّحرِ

١٧ - أَرَنَّت بِأَعلى الصَّوتِ مِنها فَهَيَّجَت ... فُؤادًا مُعَنّى بِالمَليحَةِ لَو تَدرى

١٨ - فَقُلتُ لَها : عودى ، فَلَمّا تَرَنَّمَت ... تَبادَرَتِ العَينانِ سَحًّا عَلى الصَّدرِ

١٩ - كَأَنَّ فُؤادى حينَ جَدَّ مَسيرُها ... جَناحُ غُرابٍ رامَ نَهضًا إِلى الوَكرِ

٢٠ - فَوَدَّعتُها وَالنارُ تَقدَحُ فى الحَشا ... وَتَوديعُها عِندى أَمَرُّ مِنَ الصَّبرِ

٢١ - وَرُحتُ كَأَنّى يَومَ راحَت جِمالُهُم ... سُقيتُ دَمَ الحَيّاتِ حينَ ٱنقَضى عُمرى

٢٢ - أَبيتُ صَريعَ الحُبِّ دامٍ مِنَ الهَوى ... وَأُصبِحُ مَنزوعَ الفُؤادِ مِنَ الصَّدرِ

٢٣ - رَمَتنى يَدُ الأَيّامِ عَن قَوسِ غِرَّةٍ ... بِسَهمَينِ فى أَعشارِ قَلبى وَفى سَحرى

٢٤ - بِسَهمَينِ مَسمومَينِ مِن رَأسِ شاهِقٍ ... فَغودِرتُ مُحمَرَّ التَّرائِبِ وَالنَّحرِ

---

(١٤) بوَشْك – بفتح الواو وسكون الشين . اقتراب . والبين : الفراق . فى ذُرى ناعم نضْر : فى أعلى غصن . وتتابع الأبيات فى وصف تلك الحمامة المطوقة وقد آذنت برحيل إلى أن ودعها فى البيت رقم ٢٠.

(١٥) دوحة : شجرة عالية والعظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة . يستنّ : يسيل وينساب ما نقع من ماء آتٍ بين حجارة معرضة للشمس فسبحان الله واهب الحياة

(١٦) يعود إلى وصف الحمامة بعد أن وصف الشجرة . إنها ذات طوق فى عنقها؛ أى دائرة من الشعر تخالف سائر لونها ، ويعنى بالخطام : الخطْم والمنقار وبه أصول سواد . مطمئن : ثابت ومستقر ونازل حتى النحر (أعلى الصدر) .

(١٧) أرنت : رنّتَ . يقال : أرنت الحمامة فى سجعها : صوتت وصاحت . مُعَنًّى : كُلّف من الهموم والمكابدة والمقاساة ما يشق عليه !

(١٩) رام : قصد وأراد . نهضًا : نهوضًا وطيرانًا إلى عشه . تقدح : تؤثر .

(٢١) سُقيت دم الحياة : استوفيت أجلى وانتهى عمرى .

(٢٣) عن قوس غِرّة : فى غفلة منى . ويقال : رمى عن القوس : أطلق سهمها . وسُحْرى بفتح السين وضمها : الرئة .

(٢٤) من رأس شاهق : الشاهق : الجبل المرتفع . الترائب : جمع تربية وهى عظام الصدر ، والنحر : موضع القلادة من الصدر وكذلك المنحر . والمراد : أصابنى فى مقتل .

٢٥ - مُنايَ دَعينى فى الهَوى مُتَعَلِّقًا ... فَقَدْ مِتُّ إلَّا أَنَّنى لَم يُزَر قَبرى

٢٦ - فَلَو كُنتِ ماءً كُنتِ مِن ماءِ مُزنَةٍ ... وَلَو كُنتِ نَومًا كُنتِ مِن غَفوَةِ الفَجرِ

٢٧ - وَلَو كُنتِ لَيلًا كُنتِ لَيلَ تَواصُلٍ ... وَلَو كُنتِ نَجمًا كُنتِ بَدرَ الدُّجى يَسرى

٢٨ - عَلَيكِ سَلامُ اللَّهِ يا غايَةَ المُنى ... وَقاتِلَتى حَتّى القِيامَةِ وَالحَشرِ

٥٢ أَلَا أَيُّهَا الطَّيرُ المُحَلِّقُ غَادِيًا

❁ قال : ونظر ذات يوم إلى طير يُحَلِّق فى جَوّ السّماء ، فأَتْبَعَهُ بَصرَه ، وأنشأ يقول :

١ - أَلا أَيُّها الطَّيرُ المُحَلِّقُ غادِيًا ... تَحَمَّل سَلامى لا تَذَرنى مُنادِيا

٢ - تَحَمَّل - هَداكَ اللَّهُ - مِنّى رِسالَةً ... إلى بَلَدٍ إن كُنتَ بِالأَرضِ هادِيا

٣ - إلى قَفرَةٍ مِن نَحوِ لَيْلَىٰ مَضَلَّةٍ ... بِها القَلبُ مِنّى مُوثَقٌ وَفُؤادِيا

٤ - أَلا لَيتَ يَومًا حَلَّ بى مِن فِراقِكُم ... تَزَوَّدتُ ذاكَ اليَومَ آخِرَ زادِيا

٥٣ وهل للرحمٰن حين رآنى !

❁ قال موسى بن جعفر : خرج المجنون - لمّا أصابه ما أصابه - حتى أتى الشامَ ، فسأل عن أرضِ بنى عامر؛ فقيل : وأين أنت من أرض بنى عامر ؟! عليك بنجم كذا؛ فرجع إلى أرض بنى عامر ، ووقف عند جبل يقال له : « ثَوْبَان » فقال :

---

(٢٥) مت .. إلخ . أى مات على الحياة .

(٢٦) مُزنة : المزْنة : السحابة البيضاء ، وهى أصفى وأطهر . غفوة الفجر : نومته .

(٢٧) الدُّجى : الظلام .

(١/٥٢) غاديًا : فى الغُدوّ والصباح . تحَمّل سلامى : احمله عنى . لا تذرنى : لا تدعنى : لا تتركنى أنادى فلا يستجيب لى أحد .

(٢) هاديًا : مهتديًا ومسترشدًا ، والمراد : أرض من يهوى حيث تقيم لَيْلَىٰ .

(٣) قفرة : القفر من الأرض ، وهو الخلاء لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ ، والمَضِلّة : التى تضل الناس .

١ - وَأَجهَشتُ لِلتَّوْبادِ حينَ رَأَيتُهُ ... وَهَلَّلَ لِلرَّحمَنِ حينَ رَآنى

٢ - وَأَذرَيتُ دَمعَ العَينِ لَمّا رَأَيتُهُ ... وَنادى بِأَعلى صَوتِهِ وَدَعانى

٣ - فَقُلتُ لَهُ أَينَ الَّذينَ عَهِدتُهُم ... حَوالَيكَ فى خِصبٍ وَطيبِ زَمانِ

٤ - فَقالَ مَضَوا وَٱستودَعونى بِلادَهُم ... وَمَن ذا الَّذى يَبقى مَعَ الحَدَثانِ

٥ - وَإِنّى لَأَبكى اليَومَ مِن حَذَرى غَدًا ... فِراقَكِ وَالحَيّانِ مُؤتَلِفانِ

٦ - سِجالًا وَتَهتانًا وَوَبلًا وَدِيمَةً ... وَسَحًّا وَتَسجامًا إِلى هَمَلانِ

♡ محاولة ثانية لإعادة المجنون إلى حَيِّه وأهله !!

قال الوالبى : ذُكِرَ أن أباه « الملَوَّح » وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ، ويردوه إلى الحى ، وأهل بيته ، وذلك بعدما نحل جسمُه ، واسوَدّ وجهُه ، وجفّ جلدُه على عظامه ، فلما وردوا عليه لقوه قاعدًا على تَلٍّ من رَمْل ، وهو يخط بأصبعه ، فلما دَنَوْا منه نَفَر ، فناداه أبوه : يا قيس ! أنا أبوك الملوَّح ، وهذا أخوك ، فطِبْ نفسًا ، وأَبشِر ، فقد وعدنى أبوها أن يُزوّجَكها ويَرُدّك من نِفارِك[1] ويَنْزِلَ عند حكمك ورضاك ! فأقبلَ إليهم ، وأَنِسَ بهم ، فقال له أبوه : يا قيسُ ، أما تَتَّقى اللَّه ، وتراقبه ؟! كم تطيع هواك

(١/٥٣) أجْهَش : هم بالبكاء ، ويقال : أجهش للبكاء وبالبكاء .

وهلّل : قال : لا إله إلا الله ! تعجبًا من حالى ! وإشفاقًا علىّ !

(٢) أذْرَتِ العين دمعَها : أسالته .

(٣) سؤال إلى الجبل عمن كانوا حوله من الأهل والأحباب ، يؤنسونه ، وينعمون بحياة خصبة طيبة ! وكيف أصبح وحيدًا مثله .

(٤) وجواب بلسان الحال : مَضَوْا ، واستودعوا الجبل بلادهم ، وهكذا الدنيا ، فمن الذى يبقى مع نوائب الدهر وحوادثه .

(٥) إنه يظل يبكى طولَ يومه حَذَرَ الفراق فى غده بينما الحيّان مؤتلفان !

(٦) ونعود إلى البيت السابق : وإنى لأبكى اليوم .. سِجَالًا : بكاء متواصلًا كثيرًا كأن عينى دلو مملوءة مطرًا شديدًا ضخم القطر . وديمة : مطرًا يطول زمانه فى سكون . وتَسْجَامًا : - بفتح التاء - يقال سجم الدمع والمطر سُجومًا وسِجَامًا : سال قليلًا أو كثيرًا . هملان : يقال : هملت العين هَمْلًا وهَملانًا ، وهُمولًا : فاضت وسالت .

(١) يقال : نفَر من الشىء نفورًا ونِفارًا : فزع وانقبض غير راضٍ به .

وتعصينى ! ! فقد كنتَ أرجى[٢] ولدى ! ، أُفَضّلك عليهم وأُوثِرك[٣]؛ فأخلفتَ ظنى ، ولم تحقق أملى ، فليت شعرى ، ما أراها مِمّن يوصَف بالجمال والحُسْن ، وقد بلغنى أنها فَوْهاء[٤] قصيرة ، جاحظة[٥] العينين ، شَهْلةٌ[٦] سمجة[٧] ، فعُدْ عن ذكرها ، ولك فى قومك من هو خير لك منها .

فلما سمع ثَلْبَه[٨] فيها أنشأ يقول :

٥٤ يقول لى الواشون !

١ - يَقولُ لِيَ الواشونَ لَيْلَىٰ قَصيرَةٌ ... فَلَيتَ ذِراعًا عَرضُ لَيْلَىٰ وَطولُها

٢ - وَإِنَّ بِعَينَيها - لَعَمرُكَ - شُهلَةٌ ... فَقُلتُ كِرامُ الطَّيرِ شُهلٌ عُيونُها

٣ - وَجاحِظَةٌ فَوهاءُ لا بَأسَ إِنَّها ... مُنَى كَبِدى بَل كُلُّ نَفسى وَسُولُها

٤ - فَدَقَّ صِلابَ الصَّخرِ رَأسُكَ سَرمَدًا ... فَإِنّى إِلى حينَ المَماتِ خَليلُها

فلما سمعوا هذه الأبيات تركوه ، وانصرفوا قانطين ! .

♡ ♡ ♡

---

(٢) أرجى ولدى : أعلق عليك الأمل والرجاء أكثر من غيرك .

(٣) أوثرك : أفضلك .

(٤) فوهاء : واسعة الفم والعرب يكرهونه فى المرأة ، بينما يحبونه فى الرجل ليكون خطيبًا وشاعرًا مفوّهًا .

(٥) جاحظة العينين : بارزتهما .

(٦) شَهْلَة : قال الزمخشرى فى أساس البلاغة؛ مادة « شهل » : هو أشهل العينين ، وفى عينه شُهْلَة : يشوب سوادها زُرقة ، وتقول : شَهْلَة فى عينها شُهْلة : وهى العجوز .

(٧) سمجة : قبيحة .

(٨) ثلبه : قدحه وذمّه وذكر مَعايبها ومثالبها !

(٥٤/١) الواشون : جمع واشٍ وهو الساعى بالفساد بين المتواصلين . والذّراع : مقياس أشهر أنواعه الذراع الهاشمية وهى ٣٢ إصبعًا ، أو ٦٤ سنتيمترًا .

(٢) لعَمْرُك : وحياتك . وهو هنا يرد على ما قاله ابوه له لينفره منها .

(٣) سُولها : سُؤْلُها - خففت همزتها - أى منتهى أمل نفسى ومناها ومطلوبها من الله ، ولا أسأل الله سواها .

(٤) سَرْمَدًا : دائمًا بلا انقطاع .

٥٥ ألا إنَّ لَيلَىٰ بالعراقِ مريضةٌ !

❁ فبينما هو ذات يوم نائمًا إذْ مَرّ به رَجُلٌ فقال :

١ - أَلا إِنَّ لَيْلَىٰ بِالعِراقِ مَريضَةٌ وَأَنتَ خَلِيٌّ البالِ تَلهو وَتَرقُدُ

٢ - فَلَو كُنتَ يا مَجنونُ تَضْنَى مِنَ الهَوى لَبِتَّ كَما باتَ السَّليمُ المُسَهَّدُ

فخر المجنون مغشيًّا عليه لما سمع ذلك .

٥٦ يقولون ليلى بالعراق مريضة !

فلما أفاق أنشأ يقول :

١ - يَقولونَ لَيْلَىٰ بِالعِراقِ مَريضَةٌ فَما لَكَ لا تَضْنَى وَأَنتَ صَديقُ ؟!

٢ - شَفى اللَّهُ مَرضَى بِالعِراقِ فَإِنَّني عَلى كُلِّ مَرضَى بِالعِراقِ شَفيقُ

٣ - فَإِن تَكُ لَيْلَىٰ بِالعِراقِ مَريضَةً فَإِنِّيَ في بَحرِ الحُتوفِ غَريقُ

٤ - أَهيمُ بِأَقطارِ البِلادِ وَعَرضِها وَما لي إِلى لَيْلَىٰ الغَداةَ طَريقُ

٥ - كَأَنَّ فُؤادي فيهِ مورٍ بِقادِحٍ وَفيهِ لَهيبٌ ساطِعٌ وَبُروقُ

٦ - إِذا ذَكَرَتها النَّفسُ ماتَت صَبابَةً لَها زَفرَةٌ قَتّالَةٌ وَشَهيقُ

٧ - سَقَتنِيَ شَمسٌ يُخجِلُ البَدرَ نورُها وَيَكسِفُ ضَوءَ البَرقِ وَهْوَ بَروقُ

(٢/٥٥) تضنى : يشتد مرضُك وَينحَلُّ جسمك . السليم : الملدوغ ، وهو من أسماء الأضداد ، المسَهّد : الذى بعد النوم عن عينه وحلّ به الأرق والسُّهاد .

(٢/٥٦) شفيق : مشفق وخائف عليهم أن يحل بهم مكروه .

(٣) الحُتُوف : جمع حَتْف وهو الهلاك .

(٤) أقطار : جمع قُطر ، والقُطْر : الناحية .

(٥) يصور ما فى فؤاده من لهيب الشوق ونار الفراق . مُور : مُوقِد ومُشْعِل ، يقال : أورى الزّند وأورى النار : أوقدها . والقادح : يقال : قدح بالزّند : ضرب به حجرَهُ لتخرج النار منه ، وقدح الزند : ضربه بحجره ليخرجَ النارَ منه ، والبُروق : جمع برق .

(٧) بَروق : قوي اللمعان شديد الضوء .

٨ - غُرابيَّةُ الفَرعَينِ بَدرِيَّةُ السَّنا ... وَمَنظَرُها بادى الجَمالِ أَنيقُ

٩ - وَقَد صِرتُ مَجنونًا مِنَ الحُبِّ هائِمًا ... كَأَنِّيَ عانٍ فى القُيودِ وَثيقُ

١٠ - أَظَلُّ رَزيحَ العَقلِ ما أُطعَمُ الكَرَىٰ ... وَلِلقَلبِ مِنّى أَنَّةٌ وَخُفوقُ

١١ - بَرى حُبُّها جِسمى وَقَلبى وَمُهجَتى ... فَلَم يَبقَ إِلَّا أَعظُمٌ وَعُروقُ

١٢ - فَلا تَعذِلونى إِن هَلَكتُ تَرَحَّموا ... عَلَيَّ فَفَقدُ الرُّوحِ لَيسَ يَعوقُ

١٣ - وَخُطّوا عَلى قَبرى إِذا مِتُّ وَاكتُبوا ... قَتيلُ لِحاظٍ ماتَ وَهوَ عَشيقُ

١٤ - إِلى اللَّهِ أَشكو ما أُلاقى مِنَ الهَوى ... بِلَيلَىٰ فَفى قَلبى جَوًى وَحَريقُ

٥٧ أيا شِبْه ليلى ...!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَقولُ لِظَبيٍ مَرَّ بى وَهوَ راتِعٌ ... أَأَنتَ أَخو لَيلَىٰ ؟ فَقالَ : يُقالُ

٢ - أَيا شِبهَ لَيلَىٰ إِنَّ لَيلَىٰ مَريضَةٌ ... وَأَنتَ صَحيحٌ إِنَّ ذا لَمُحالُ

♡ ♡ ♡

(٨) غُرابية الفرعين : شديدة سوادهما كالغراب والمراد بالفرعين ضفيرتاها وهى كالبدر لمعانًا وضياءً . ومنظرها بادى الجمال : ظاهره . أنيق : حسن مُعْجب .

(٩) عانٍ : أسير وثيق قيده .

(١٠) رزيحَ العقل : ضعيفَه ، ما أطعمُ الكرى : ما أذوق طعم النوم .

(١١) المهجة : دم القلب ، والروح ، يقال : خرجت مهجتُه ، وبذلت له مهجتى .

(١٢) لا تعذلونى : لا تلومونى . هلكت : مت . ليس يعوق : لا يحول دون وصول الرحمة .

(١٣) اللِّحاظ : مُؤْخِر العين مما يلى الصُّدغ .

(١٤) الجَوَى : اشتداد الوَجد من عشق أو حزن فهو جَوٍ ، ويوصف أيضًا بالمصدر فيقال : هو ، وهى ، وهما ، وهُمْ ، وهن جَوًى .

(٥٧/١) راتِعٌ : يرعى كيف شاء فى خِصب وسَعَة .

٥٨ فَوَاللَّهِ ما أدرى إذا أنا جئتُها ... !!

❁ وقال أيضًا :

١ - يَقولونَ لَيْلَىٰ بِالعِراقِ مَريضَةٌ فَأَقبَلتُ مِن مِصرٍ إِلَيها أَعودُها

٢ - فَوَاللَّهِ ما أَدرى إِذا أَنا جِئتُها أَأُبرِئُها مِن دائِها أَم أَزيدُها ؟!

♡ المجنون ورَهْطٌ من بنى أسد !

ورُوِىَ أن رهطًا من بنى أسد خرجوا إلى بِلاد الشام فى بعض تجارتهم؛ فعَثَروا بالمجنون فقالوا : يا قيس ، ما منَع أبا لَيْلَىٰ أن يتلافَى أمرك ، ويتداركَه إلا أن قد صار مشهورًا فى الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرَّفَثِ والفُسُوق ، فهلاّ كَفَفْتَ نفسَك عن المعاصِى ، وزَجَرْتَها عن القذع ، والأمور الفظيعة ، حتى يدومَ لك صفاءُ المَوَدّةِ ، وغضارَةُ النعمةِ خاليًا عما أنت بصدده ؟! فلما سَمِعَ مَقَالَتهم بكى بُكَاءَ مُتَوجِّع ، وأنشأ يقول :

٥٩ ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا !!

١ - أَلا أَيُّها القَومُ الَّذينَ وَشَوْا بِنا عَلى غَيرِ ما تَقوى الإِلٰهِ وَلا بِرِّ

٢ - أَلا يَنهَكُم عَنّا تُقاكُم فَتَنتَهوا أَمَ انتُم أُناسٌ قَد جُبِلتُم عَلى الكُفرِ

٣ - تَعالَوا نَقِف صَفَّينِ مِنّا وَمِنكُمُ وَنَدعو إِلٰهَ النّاسِ فى وَضَحِ الفَجرِ

(١/٥٨) مِصْر : يراد بالمِصْر : الحاجز بين الشيئين ، أو بين الأرضَين . أو البلد .

(٢) أأُبرئها : أأشفيها؟ .

قلت : هذان البيتان بديوان الحماسة بلفظ :

ونُبِّئْتُ سوداءَ الغُمَيم مريضةً فأقبلت من مِصْر إليها أعودها

ورواية البيت الثانى مثل رواية الديوان ، ونسب البيتان للعوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سُلمى شاعر إسلامى فى عهد بنى العباس وكان قد كلف بامرأة من بنى عبد الله بن عطفان ، وكانت تحبه كذلك فخرج إلى مصرَ فى مسيرة ، فبلغه أنها مريضة فترك مِيرَتَه وكرَّ راجعًا نحوها ، وهى سبعة أبيات وقع اختيار أبى تمام منها على بيتين .

(١/٥٩) على غير ما تقوى .. إلخ وقد تجردوا من التقوى والبر . (٢) جُبِلتم : طُبِعتُم .

(٣) وضح الفجر : الوضوح ، وهو هنا يدعو الذين وشوا به وكذبوا على الحق إلى المباهلة مستأنسًا بما جاء فى الآية الكريمة [آل عمران : ٦١] وهى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

٤ - عَلى مَن يَقولُ الزورَ أَو يَطلُبُ الخَنا ... وَمَن يَقذِفُ الخَوْدَ الحَصانَ وَلا يَدرى

٥ - حَلَفتُ بِمَن صَلَّت قُرَيشٌ وَجَمَّرَت ... لَهُ بِمِنًى يَومَ الإِفاضَةِ وَالنَّحرِ

٦ - وَما حَلَقوا مِن رَأسِ كُلِّ مُلَبِّيءٍ ... صَبيحَةَ عَشْرٍ قَد مَضَينَ مِنَ الشَّهرِ

٧ - لَقَد أَصبَحَت مِنّى حَصانًا بَريئَةً ... مُطَهَّرَةً لَيْلَىٰ مِنَ الفُحشِ وَالنُّكرِ

٨ - مِنَ الخَفِراتِ البيضِ لَم تَدرِ ما الخَنا ... وَلَم تُلفَ يَومًا بَعدَ هَجعَتِها تَسْرِى

٩ - وَلا سَمِعوا مِن سائِرِ النَّاسِ مِثلَها ... وَلا بَرَزَت فى يَومِ أَضحى وَلا فِطرِ

١٠ - بَرَهرَهَةٌ كَالشَّمسِ فى يَومِ صَحوِها ... مُنَعَّمَةٌ لَم تَخطُ شِبرًا مِنَ الخِدرِ

١١ - هِيَ البَدرُ حُسنًا وَالنِّساءُ كَواكِبٌ ... فَشَتّانَ ما بَينَ الكَواكِبِ وَالبَدرِ

١٢ - يَقولونَ مَجنونٌ يَهيمُ بِذِكرِها ... وَوَاللَّهِ ما بى مِن جُنونٍ وَلا سِحرِ

١٣ - إِذا ما قَرَضْتُ الشِّعرَ فى غَيرِ ذِكرِها ... أَبَىٰ - وَأَبيكُم - أَن يُطاوِعَنى شِعرى

١٤ - فَلا نَعِمَتْ بَعدى وَلا عِشتُ بَعدَها ... وَدامَت لَنا الدُّنيا إِلى مُلتَقى الحَشرِ

١٥ - عَليها سَلامُ اللَّهِ مِن ذى صَبابَةٍ ... وَصَبٍّ مُعَنًّى بِالوَساوِسِ وَالفِكرِ

١٦ - لَيالِيَ أَعطَيتُ البِطالَةَ مِقوَدى ... تَمُرُّ اللَّيالى وَالسُّنونُ وَلا أَدرى

---

(٤) الخَنا : الفُحش فى المنطق . الخَوْدُ؛ وهى الشابّة الناعمة الحسنة الخلق . والجمع خُودٌ . والحَصَان : العفيفة الشريفة المحْصنَة .

(٥، ٧) يحلف برب البيت الذى صلّت له قريش ، وأدت مناسك الحج ابتغاء مرضاته أن لَيْلَىٰ عفيفة شريفة بريئة من الفحش والمنكر !

(٨) وأنها من الخَفِرات : الحَيِيّات - التى لا تعرف فحش القول .. وأنها تلازم بيتها بعد الهجوع !

(٩) ولم تُرَ فى الأعياد والمناسبات كغيرها .

(١٠) البَرهْرَهة : المرأة البيضاء الشابة والناعمة ، أو التى تُوعد رُطُوبةٌ ونعومة . والخِدْر : الخباء والسِّتر .

(١١) شتانَ : بعد .

(١٣) قَرَضْتُ الشعر : قلته وأنشأته . يقول : إن شعرى وقف عليها ، ولا يطاوعنى فى غير ذكرها .

(١٥) ذى صبابة : ذى شوق ، وهو صَبٌ وهى صَبّة كلاهما مشوق ذو رقة . مُعَنًّى : كلّف ما يشق عليه . الوساوس : يقال : وسوس الشيطان إليه ، وله ، وفى صدره حدثه بما لا نفع فيه ، واعترته الوساوس والأوهام وغُلب على عقله .

(١٦) لقد أسلم نفسه للبطالة والعبث فلا يدرى إلى أين يقاد؟

١٧ - مَضى لي زَمانٌ لَو أُخَيَّرُ بَينَهُ وَبَينَ حَياتي خالِدًا أَبَدَ الدَّهرِ
١٨ - لَقُلتُ ذَروني ساعَةً وَكَلامَها عَلى غَفلَةِ الواشينَ ثُمَّ اقطَعوا عُمري

٦٠ أَلَا يا عُقابَ الوكرِ ... !

... ثم جعل يدور هائمًا ، قد اشتدّ وَسْوَاسُه وجُنونه ، إذْ مَرّ بعُقابٍ ساقطٍ على وَكْرِهِ ، فدنا منه وأنشأ يقول :

١ - أَلا يا عُقابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ سُقيتِ الغَوادي مِن عُقابٍ عَلى وَكْرِ
٢ - أَبِيني لَنا لا زالَ ريشُكِ ناعِمًا وَلا زِلتِ في صَيدٍ مُخَضَّبَةَ الظُّفرِ
٣ - أَبِيني لَنا قَد طالَ ما قَد تَرَكتِنا بِعَمياءَ لا نَدري أَنُصبِحُ أَم نَسري ؟!
٤ - وَقَفتُ عَلى مَرّانَ أَنشُدُ ناقَتي وَما هَلَكَت لي مِن قَلوصٍ وَلا بَكرِ
٥ - وَما أَنشُدُ البُعرانَ إِلَّا صَبابَةً بِواضِحَةِ الخَدَّينِ طَيِّبَةِ النَّشرِ

(١/٦٠) الوكر : عشُّ الطائر الذى يبيض فيه ويُفرخ . والعُقاب - بضم العين - طائر من كواسر الطير ، قوى المخالب ، حادّ البصر ، وفى المثل « أَبْصَرُ من عُقاب » . « لفظه » مؤنث للذكر والأنثى . ضَرِيّة : مكان كما جاء فى كتاب أسماء الجبال لعرام بن الأصبغ السلمى وهو من نوادر المخطوطات . الغوادى : جمع غادية : السحابة تنشأ فتمطر غُدْوة . والغادية أيضًا مطرة الغداة .

(٢ ، ٣) إنّه يطلب منها أن تبين له ما خفى عليه أمره ، ويدعو لها أن تظل فى موفور صحتها ناعمة الريش ، محققة الآمال مخضبة الظفر ، قادرة على الاصطياد . لقد تركتهم وقد خفيت عليهم الأمور والتبست فلا يدرون أهم مصبحون فى هذا المكان أم سيسيرون ليلًا ، فهل لديها من بيان ، وقد أعطاها الله حدة البصر فترى ما لا يرون؟ !

(٤) فى نوادر المخطوطات - كتاب أسماء الجبال - « مَرّان » : قرية غنّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع ، وهى على طريق البصرة لبنى هلال ، وجَسْر ، ولبنى ماعز ، وبها حصن ومنبر ، وبها ناس كثير وفيها يقول الشاعر :

أَبَعْدَ الطَّوَالِ الشُّمِّ من آلِ مَاعِزٍ يُرَجّى بِمَرّانَ القِرى ابنُ سبيل؟ !

لقد وقف على « مَرّانَ » ينشد ناقَتَه ، ويطلبها ، ويسأل عنها الغادين والرائحين حيث تقيم لَيْلَىٰ ، وفى الحقيقة أنه لم يهلك له قَلوص (فتية من الإبل) ، ولا بَكْر : (فتى من الإبل) .

(٥) وما دام الأمر كذلك فإنه لا ينشد البُعران (جمع بعير) إلا حيلة للسؤال عن « لَيْلَىٰ » واضحة الخدين؛ طيبة النشر . ووضوح الخدين : حسنهما ، والنَّشْر : الريح الطيبة .

٦ - مُفَلَّجَةِ الأَنيابِ لَو أَنَّ ريقَها ... يُداوَى بِهِ المَوتى لَقاموا مِنَ القَبرِ
٧ - إِذا ذُكِرَت لَيلَىٰ أُسَرُّ بِذِكرِها ... كَما ٱنتَفَضَ العُصفورُ مِن بَلَلِ القَطرِ
٨ - فَقالَ جَميعُ النّاسِ لَمّا نَشَدتُها ... بَلى وَفَريقٌ قالَ وَاللّهِ ما نَدرى
٩ - تَداوَيتُ مِن لَيلَىٰ بِلَيلَىٰ عَنِ الهَوى ... كَما يَتَداوى شارِبُ الخَمرِ بِالخَمرِ
١٠ - أَلا زَعَمَت لَيلَىٰ بِأَن لا أُحِبُّها ... بَلىٰ وَلَيالِي العَشرِ وَالشَّفعِ وَالوَترِ
١١ - بَلى وَالَّذى لا يَعلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ ... بِقُدرَتِهِ تَجرى السَّفائِنُ فى البَحرِ
١٢ - بَلىٰ وَالَّذى نادىٰ مِنَ الطُّورِ عَبدَهُ ... وَعَظَّمَ أَيامَ الذَّبيحَةِ وَالنَّحرِ
١٣ - لَقَد فُضِّلَت لَيلَىٰ عَلى النّاسِ مِثلَما ... عَلى أَلفِ شَهرٍ فُضِّلَت لَيلَةُ القَدرِ

♡ ♡ ♡

(٦) مفلجة الأنياب : تباعد ما بين أسنانها ، وهو من الأمور المحبوبة عند المحبين .

(٧) القطر : المطر ، ومن شواهد النحو التى درسناها ونحن فى الصغر .

وإنّى لتعرونى لذكراك هِزّةٌ ... كما انتفض العصفور بلّله القطر

(٩) وهذا على مذهب من يقول :

*** فداونى بالتى كانت هى الداء ***

والدواء الناجع هو الابتعاد عن أسباب الداء فلن يأتى الخير من الشر ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

(١٠) المراد بليالى العشر والشفع والوتر تلك التى أقسم الله - سبحانه - بها فى سورة الفجر؛ لشرفها وعظمها ، ولما فيها من الفوائد الدينية والدنيوية ، فأقسم بالليالى لشرفها بما يقع فيها ، والمراد : عشر ذى الحجة ، وقيل : المراد : العشر الأول من المحرم وفيها يوم عاشوراء ، وروى عن ابن عباس : العشر الأواخر من رمضان . والشفع والوتر : شفع الأشياء ووترها ، أو بشفع الصلاة ووترها ، أو يوم النحر وهو شفع ، ويوم عرفة وهو وتر ، وقد كثرت فيها الأقوال ، والله أعلم بالحال . - التفسير الوسيط .

(١١) السفائن : جمع سفين .

(١٢) من الطور عبده : موسى عليه السلام .

(١٣) هذا البيت من مبالغات الشعراء ، وهل على المجنون حرج إن هو بالغ؟ !

obeikandl.com

٦١ فصَبرًا لأمرِ اللَّه ...

❁ وقال :

١ - فَوَاللَّهِ ما أَبكى عَلى يَومِ ميتَتى ... وَلَكِنَّنى مِن وَشْكِ بَينِكِ أَجزَعُ

٢ - فَصَبرًا لِأَمرِ اللَّهِ إِن حانَ يَومُنا ... فَلَيسَ لِأَمرٍ حَمَّهُ اللَّهُ مَدفَعُ

♡ أبوعيسى والمجنون

❁ قال علىّ بن صالح : حَجَجْتُ مع أبى عيسى بن الرشيد ، فبينما نَسْرِى ليلًا إذْ نحن بأعرابى يترنّم بأبياتٍ ما سمعت - واللَّه - أحسن منها ، ونغماتٍ ما كدتُ أسمعُ مثلها ، وهى :

٦٢ أحدث عنك النفس !

١ - أَلا هَل إِلى شَمِّ الخُزامى وَنَظرَةٍ ... إِلى قَرْقَرَى قَبلَ المَماتِ سَبيلُ ؟!

٢ - فَأَشرَبَ مِن ماءِ الحُجَيلاءِ شَربَةً ... يُداوَى بِها قَبلَ المَماتِ عَليلُ

٣ - فَيا أَثْلاتِ القاعِ قَد مَلَّ صُحبَتى ... مَسيرى فَهَل فى ظِلِّكُنَّ مَقيلُ ؟!

٤ - وَيا أَثْلاتِ القاعِ ظاهِرُ ما بَدا ... بِجِسمى عَلى ما فى الفُؤادِ دَليلُ

٥ - وَيا أَثْلاتِ القاعِ مِن بَينِ تُوضِحٍ ... حَنينى إِلى أَفيائِكُنَّ طَويلُ

(١/٦١) وَشك - بفتح الواو وسكون الشين - أقرب . والبين : البعد والفراق والتنائى بعد التدانى . أجزع : لا أستطيع الصبر ! .

(٢) ولا حيلة إلا الصبر ، وقضاء الله نافذ ، ولا رادَّ لقضائه . وحمّه الله : قضاه . مَدْفع : مصدر ميمى ؛ أى : دفع .

(١/٦٢) الخُزَامَى : جنس نبات من الفصيلة الشفوية ، أنواعه عطرة ، من أطيب الأفاويه ، واحدته : خُزَاماة . وَقَرْقَرَى : موضع إقامة لَيْلَى ، والقرقرة : ماء سماء لا تنقطع هذه المياه لكثرة ما يجتمع فيها ، وسبيل : طريق . هل من سبيل إلى وقفة أشم فيها ريح الخزامى ، وألقى نظرة قبل الممات؟

(٢) الحجيلاء : كما جاء فى القاموس المحيط - الماء الذى لا تصيبه الشمس .

(٣) يسائل الأثلات : جمع أثلة ، والأثل : شجر ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم .. هل فى ظلكن مأوى ومكان يحميه وقت القيلولة من حر الشمس بعد أن تخلى عنه المسير ، ولم يعد يقوى عليه؟ !

(٤) ويشكو للأثلاث ما حَلّ بجسمه ، وما هو إلا دليل على ما يعانيه قلبه !

(٥) قال فى القاموس المحيط : و« توضِح » موضع - بالضم وكسر الضاد - والأفياء : جمع فىء : الظل .

obeikandl.com

٦ - وَيا أَثْلاتِ القاعِ قَلبى مُوَكَّلٌ بِكُنَّ وَجَدْوَىٰ خَيرِكُنَّ قَليلُ
٧ - أَرومُ ٱنحِدارًا نَحوَها فَيَرُدُّنى وَيَمنَعُنى دَينٌ عَلَيَّ ثَقيلُ
٨ - أُحَدِّثُ عَنكِ النَّفسَ إِذ لَستُ راجِعًا إِلَيكِ فَحُزنى فى الفُؤادِ دَخيلُ

٦٣ أُحُجّاج بيتِ الله ..!

❁ وقال :

١ - أَحُجّاجَ بَيتِ اللَّهِ فى أَيِّ هَودَجٍ وَفى أَيِّ خِدرٍ مِن خُدورِكُمُ قَلبى
٢ - أَأَبقى أَسيرَ الحُبِّ فى أَرضِ غُربَةٍ وَحاديكُمُ يَحدو بِقَلبِيَ فى الرَّكبِ

٦٤ ومُغْتَرِبٍ بالمَرْج يبكى ...!

وقال :

١ - وَمُغتَرِبٍ بِالمَرجِ يَبكى بِشَجوِهِ وَقَد غابَ عَنهُ المُسعِدونَ عَلى الحُبِّ
٢ - إِذا ما أَتاهُ الرَّكبُ مِن نَحوِ أَرضِهِ تَنَفَّسَ يَستَشفى بِرائِحَةِ الرَّكبِ

---

(٦) على الرغم من تعلق قلبى بكن فإننى لا أعلق أملًا كبيرًا عليكن .
(٧) أروم : أبغى وأقصد وأريد .
(٨) دخيل : مُداخل مباطن .
(١/٦٣) فى البيت الأول نداء بالهمزة بدلًا من يا .. إنه ينادى الحجاج - وقد صَفَتْ قلوبُهم فيسألهم عن قلبه الذى يرافق محبوبه أنَّى سار وحيثما حَلّ ! ترى فى أى هودج هو؟ بل فى أى خِدر؟
والهودج : قبة على ظهر الجمل لتركب فيها النساء ، أما الخِدر فهو سِتْر يمدّ للمرأة فى ناحية البيت .
(٢) إنه يستنكر فى حيرة ودهشة من أمره وأمرهم .. أيجوز أن يبقى فى أرض الغربة أسيرًا لحبه ، بينما الإبل وسائقها يحثها على السير بحُدائه ، وهى تحمل محبوبه ، وقلبه مع من يحب فى ركبهم .. هل من ينصفه؟ ويفكّ أسره ، ويجمع شمله؟ !
(١/٦٤) إنه هنا مغترب .. غريب عن أهله ومحبوبه .. وحيد بتلك الأرض الواسعة ذات النبات والمرعى للدواب .. يبكى بسبب حزنه ، وقد شجاه تذكر أليفه وشوقه ، وهيّج حزنه ، وقد غاب عنه من يساعدونه على ما حل به !
(٢) ويظل هكذا يرقب الطريق .. طريق الغادين والرائحين .. لعل وعسى ! حتى إذا ما أتاه الركب من جهة أرضه وأهله ، وناسه ، ومحبوبه راح يستنشق عبيرهم ويستشفى مما هو فيه برائحة الركب !

٦٥ أنا الوامِقُ المشغوف والله ناصرى(*)!

... فقال أبو عيسى : عَلَىّ بالرّجُل؛ فتفرقتِ الخيلُ فى طلبه ، يمنةً ويَسْرَة ، فما كان إلا هنيهة حتى أُتِىَ برجل ضئيل الجسم ، ناحل البدن ، عُريان ، فقال له : مَنْ أنت لأُمّك الهَبلُ ؟! فوالله ما تنهنَه أن قال - أسرعَ من مَخْرَجِ نَفَسِه ، وارتداد طَرْفه :

١ - أَنا الوامِقُ المَشغوفُ وَاللَّهُ ناصِرى ... وَمُنتَقِمى مِمَّن يَجورُ وَيَظلِمُ

٢ - أَنا النّاحِلُ المَهمومُ وَالقائِمُ الَّذى ... أُراعى الثُرَيّا وَالخَلِيّونَ نُوَّمُ

٣ - أَظَلُّ بِحُزنٍ دائِمٍ وَتَحَسُّرٍ ... وَأَشرَبُ كَأسًا فيهِ سُمٌّ وَعَلقَمُ

٤ - فَحَتّامَ يا لَيْلَىٰ فُؤادى مُعَذَّبٌ ... بِروحِيَ تَقضى ما تُحِبُّ وَتَحكُمُ

٥ - لَعَمرِيَ ما لاقى جَميلُ بنُ مَعمَرٍ ... كَوَجدى بِلَيْلَىٰ لا وَلَم يَلقَ مُسلِمُ

٦ - وَلَم يَلقَ قابوسٌ وَقَيسٌ وَعُروَةٌ ... وَلَم يَلقَهُ قَبلى فَصيحٌ وَأَعجَمُ

٧ - صَبا يوسُفُ وَٱستَشعَرَ الحُبَّ قَلبُهُ ... وَلا كادَ داوُدُ مِنَ الحُبِّ يَسلَمُ

٨ - وَبِشرٌ وَهِندٌ ثُمَّ سَعدٌ وَوامِقٌ ... وَتَوبَةُ أَضناهُ الهَوى المُتَقَسِّمُ

(*) الوامق : المحب ، والمشغوف : الذى بلغ الحب شغاف قلبه ! (١) يجور : يظلم ويعتدى عليه .

(٢) إنه ناحل الجسم مهموم ، يسهر الليل مع النجوم ، بينما ينام الخَلِيُّون ملء جفونهم من فراغ بالهم من الهم ، وفى المثل : « ويل للشّجِىّ من الخَلِىّ » . والثريا مجموعة من النجوم ، وكلمة النجم علَم عليها .

(٤) فحتام يا لَيْلَىٰ؟ حتى متى يظل فؤادى معذَّبًا يا لَيْلَىٰ؟

(٥) يقول « الوشّاء » فى كتابه « الموَشّى » أو « الظرف والظرفاء » وأما من عشق من الشعراء . فما يحصرهم عدد ، ولا يحصيهم أحد ، فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصبوة والغزل : فقيس مجنون بنى عامر عشق لَيْلَىٰ ، وقد ساق قيس منهم فى هذا البيت : جميل بن معمر عشق بثينة ، ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى .

(٦) وفى هذا البيت : قابوس عشق مُنية ، وقيس بن ذَريح عشق لُبنى ، وعروة بن حزام عشق عفراء . كما فى المقدمة .

(٧) عصمة الأنبياء تقتضى تنزيههم عما نُسِجَ حولهم من قصص وتسربت إلى كتب التفسير ويقول الإمام القاضى عياض « ليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت » وذهب المحققون إلى ما ذهب إليه القاضى عياض .

أما يوسف - عليه السلام - السيد العفيف الكريم ابن الكريم فكل ما روى عن حبه لزليخا مرويات غثة مكذوبة يأباها النظم القرآنى الكريم ، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء - عليهم السلام - ويكفى فى الرد على هؤلاء وأولئك قول بطلة المراودة : ﴿ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] .

(٨) وبِشر عشق هند ، وسعد أحب وامق . وتَوبة بن الحُمَيِّر عشق لَيْلَىٰ الأخيلية .

٩ - وَهاروتُ لاقى مِن جَوى الحُبِّ سَطوَةً ... وَماروتُ فاجَاهُ البَلاءُ المُصَمَّمُ

١٠ - وَلَم يَخلُ مِنهُ المُصطَفى سَيِّدُ الوَرى ... أَبو القاسِمِ الزاكى النَّبيُّ المُكَرَّمُ

١١ - أَبيتُ صَريعَ الحُبِّ أَبكى مِنَ الهَوى ... وَدَمعى عَلى خَدّى يَفيضُ وَيَسجُمُ

١٢ - وَلَولا طُروقُ اللَّيلِ أَودَت بِنَفسِهِ ... مُنَعَّمَةُ اللَّحظَينِ تَبرى وَتُسقِمُ

١٣ - إِذا هِيَ زادَت فى النَّوى زادَ فى الهَوى ... فَلا قَلبُهُ يَسلو وَلا هِيَ تَرحَمُ

١٤ - أَعارَتهُ أَنفاسُ الصَّبا بِكِ صَبوَةً ... لَها بَينَ جَنبَيهِ سَعيرٌ مُضَرَّمُ

١٥ - أَلا إِنَّ دَمعَ الصَّبِّ عَمّا يُجِنُّهُ ... وَإِن لَم يَفُه يَومًا بِهِ مُتَكَلِّمُ

١٦ - لِسانى عَيِيٌّ فى الهَوى وَهوَ ناطِقٌ ... وَدَمعى فَصيحٌ فى الهَوى وَهوَ أَعجَمُ

١٧ - وَكَيفَ يُطيقُ الصَّبُّ كِتمانَ سِرِّهِ ... وَهَل يَكتُمُ الوَجدَ اَمرُؤٌ وَهوَ مُغرَمُ ؟!

١٨ - عَذيرَيَ مِن طَيفٍ أَتى بَعدَ مَوهِنٍ ... بَرامَةِ حِزوى عَرفُهُ يَتَقَدَّمُ

١٩ - تَنَفَّسَ رَوضٍ جادَهُ ماءُ مُزنَةٍ ... وَأَطرافُهُ تَبكى النَّدى ثُمَّ تَبسِمُ

---

(٩) جاء فى التفسير الوسيط – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – وما قلنا من أن الملكين (هاروت وماروت) رجلان صالحان شبها بالملائكة لصلاحهما ، هو الرأى الحق ، وتؤيده قراءة « الملِكين » بكسر اللام . أما من قال : إنهما من الملائكة بعثهما الله لتحذير الناس من السحر فقد جانبه الصواب لأن سنة الله أن يجعل رسله من البشر لا من الملائكة . ومادام الإنسان صاحب قلب وعقل ، فلا عليه إن خفق قلبه بالحب الطاهر ، والنبى بشر رسول يخفق قلبه بالحب الطاهر . وجاء فى كتاب الإسرائيليات فى كتب التفسير أن هاروت وماروت أحبا امرأة حسنها كحسن الزهرة إلخ فكل ما جاء بها من خرافات بنى إسرائيل وأكاذيبهم وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام ابن الجوزى .

(١٠) فقد أحب ﷺ عائشة رضى الله عنها .

(١٢) ولولا طروق الليل ، وزيارة الطيف لهلك ، ففى قربها البُرء ، وفى بعدها الهلاك .

(١٣) إن زيادة البعد تؤجج نيران هواه وتزيده هَوى فلا هو ينسى ، ويسلو ، ولا هى ترحم !

(١٥) يُجنُّه : يخفيه ويستره .

(١٦) عَيِىٌّ : لا يكاد يفصح . أعجم : لا ينطق .

(١٨) عَذِيرى من فلان : من يَعْذِرنى فى أمره إذا جازيته على صنعه ، ولا يلومنى على ما أفعله؟ ! الموهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . عَرْفه : رائحته الطيبة العطرة ، برامة حِزوى : موضع .

(١٩) جاده : أسقاه ورواه . مُزْنة : سحابة بيضاء صافية .

٦٦ تَعَزَّ بِصَبرٍ !

❁ وقيل له : أما تَحِنّ إلى أكْنافِ الحِمَى ، ويرتاح قلبُك إلى أقطار نجد ، وبلاد لَيْلَىٰ ؟! فزَفَرَ زفرةً ، ثم رَنّ بعدها(*) وقال :

١ - تَـعَـزَّ بِـصَـبـرٍ لا وَجَـدِّكَ لا تَـرى ... بشام الحِمى أُخرى اللَّيالى الغَوائِرِ

٢ - كَـأَنَّ فُـؤادى مِـن تَـذَكُّـرِهِ الـحِـمـى ... وَأَهلِ الحِمى يَهفو بِهِ ريشُ طائِرِ

قال على : فوالله لقد أبكانا جميعًا ! !

٦٧ أَظَلُّ أُمَنِّى النفسَ إيّاكِ خَالِيًا !!

... قال عَلِىّ : ثم أمَرَ له أبو عيسى بأثوابٍ شريفةٍ ، ودراهمَ كثيرةٍ ، فقلنا : أيّد الله الأمير – إنه لمجنون !؛ ما يَلْبَس ثوبًا إلا قَدّه ورماه !؛ فعَدِّ عَنْه إلى ما سِواه ، وسَلْه أن يُنْشِدَك بعضَ أشعارِه ! . فقلنا له : هَلْ لَك أن تَروى لمولانا الأمير شيئًا من شعرك ؟ فطَفِق يبكى ويقول :

١ - وَإِنّـى وَإِن لَـم آتِ لَـيْـلَـىٰ وَأَهـلَـهـا ... لَـبـاكٍ بُـكـا طِـفـلٍ عَـلَـيـهِ الـتَّـمـائِـمُ

٢ - بُـكًـا لَـيـسَ بِـالـنَّـزرِ الـقَـلـيـلِ وَدائِـمٌ ... كَما الهَجرُ مِن لَيْلَىٰ عَلى الدَّهرِ دائِمُ

٣ - هَـجَـرتُـكِ أَيّـامًـا بِـذى الـغَـمـرِ إِنَّـنـى ... عَـلـى هَـجـرِ أَيّـامٍ بِـذى الـغَـمـرِ نـادِمُ

(*) الحِمَى : ما يجب على الإنسان أن يحميه من مال وأرض وعرض . والأكناف : جمع كنَف ، وهو جانب الشيء ، ومثلها الأقطار : جمع قُطْر ، وهو الناحية . ورَنّ : صَوّت وصاح .

(١) تَعَزّ : تَسَلَّ . والليالى الغوائر : التى غارت وغابت نجومها وأظلمت ، وليس فيها إشراق كما هو حاله ، ومثل تلك الليالى لا وجود لها فى شام الحمى حيث لَيْلَىٰ محبوبته .

(٢) ألا ما أجمل الذكريات ! إنه يشعر أن فؤادهُ حين يذكر لَيْلَىٰ كأنما هو طائر يخفق بجناحيه ويطير حيث محبوبته ، فهناك منتهى سعادته !

(١/٦٧) التمائم : جمع تميمة ، وهى ما يعلق فى العنق لدفع العين .

(٢) إنه بكاء دائم يناسب ذلك الهجر الدائم من لَيْلَىٰ .

(٣) الغِمار ككتاب وادٍ بنجد ، وذو الغمر : موضع . شتان بين هجره لها ، وهجرها له ! إن هجرها دائم ، أما هو فقد هجرها أيامًا بذى الغمر ، وسرعان ما عاد نادمًا على ذلك الهجر !

٤ - فَلَمّا مَضَت أَيّامُ ذى الغَمرِ وَٱرتَمى ... بِيَ الهَجرُ لامَتنى عَلَيكِ اللَّوائِمُ

٥ - وَإِنّى وَذاكِ الهَجرُ ما تَعلَمينَهُ ... كَعازِبَةٍ عَن طِفلِها وَهْىَ رائِمُ

٦ - أَلَم تَعلَمى أَنّى أَهيمُ بِذِكرِها ... عَلى حينِ لا يَبقى عَلى الوَصلِ هائِمُ ؟!

٧ - أَظَلُّ أُمَنّى النَّفسَ إِيّاكِ خالِيًا ... كَما يَتَمَنّى بارِدَ الماءِ صائِمُ

٦٨ ألا أيها القلب !!

❁ وقال :

١ - أَلا أَيُّها القَلبُ اللَّجوجُ المُعَذَّلُ ... أَفِق عَن طِلابِ البيضِ إِن كُنتَ تَعقِلُ

٢ - أَفِق قَد أَفاقَ الوامِقونَ وَإِنَّما ... تَماديكَ فى لَيلَىٰ ضَلالٌ مُضَلِّلُ

٣ - سَلا كُلُّ ذى وُدٍّ عَنِ الحُبِّ وَٱرعَوى ... وَأَنتَ بِلَيلَىٰ مُستَهامٌ مُوَكَّلُ

٤ - فَقالَ فُؤادى ما ٱجتَرَرتُ مَلامَةً ... إِلَيكَ وَلَكِن أَنتَ بِاللَّومِ تَعجَلُ

---

(٤) لقد ظل يعانى بعد انقضاء أيام الهجر من ذلك اللوم الذى عاش فيه !

(٥) وما كان أشبهه - فى ذلك الهجر الذى حدث منه - بأم غابت عن طفلها ، وهى تحبه من أعماق قلبها . يقال رئمت الأنثى ولدها : رأمًا ، ورأمانًا ، ورِئمانًا : أحبته وعطفت عليه ولزمته؛ فهى رائم . وَرءُوم .

(٦) إنه يهيم بذكرها على وجهه لا يدرى أين توجه ، ويظل على الوصل مهما تخلى الهائمون عن وصال من يحبون !

(٧) إنه يعيش على الأمل الحلو ، ويظل فى انتظاره كما يتمنى الصائم بارد الماء !

(١/٦٨) اللّجوج : الذى يلازم ما هو فيه ، ويأبى أن ينصرف عنه ، المُعذّل : المبالغ فى عذله ولومه على ما هو ملازمه . وطِلاب : طَلَب . والبيض : يقال للمرأة بيضة الخِدر ، وهن بَيضات الحِجال . كما جاء فى أساس البلاغة ، وفى مفردات الراغب ، وكنى عن المرأة بالبيض تشبيها بها فى اللون ، وكونها مصونة تحت الجناح ، أو المراد : النساء .

(٢) الوامقون : المحبون .

(٣) ارعوى : عدل وكفّ وارتدع - مستهام : هائم . ويقال : وكّل همّه بكذا فهو موَكّل ، كما يقال : هو مُوَكّلٌ برعى النجوم . وهو من المجاز كما جاء فى أساس البلاغة .

(٤) ومن يتابع هذا الحوار الداخلى بينه وبين قلبه يجد أن قلبه يتنصّل من جريرة ما حدث له ، ويرى أنه أسرع وتعجل فى إلقاء اللوم عليه .

٥ - فَعَينَكَ لُمْها إنَّ عَينَكَ حَمَّلَت ... فُؤادَكَ ما يَعيا بِهِ المُتَحَمِّلُ

٦ - لَحا اللَّهُ مَن باعَ الخَليلَ بِغَيرِهِ ... فَقُلتُ نَعَم حاشاكَ إن كُنتَ تَفعَلُ

٧ - وَقُلتُ لَها بِاللَّهِ يا لَيلَ إنَّني ... أَبَرُّ وَأَوفى بِالعُهودِ وَأَوصَلُ

٨ - هَبي أَنَّني أَذنَبتُ ذَنبًا عَلِمتِهِ ... وَلا ذَنبَ لي يا لَيلَ فَالصَّفحُ أَجمَلُ

٩ - فَإِن شِئتِ هاتي نازِعيني خُصومَةً ... وَإِن شِئتِ قَتلًا إنَّ حُكمَكِ أَعدَلُ

١٠ - نَهاري نَهارٌ طالَ حَتّى مَلِلتُهُ ... وَلَيلِي إِذا ما جَنَّني اللَّيلُ أَطوَلُ

١١ - وَكُنتِ كَذِئبِ السَّوءِ إِذ قالَ مَرَّةً ... لِبَهمٍ رَعَت وَالذِّئبُ غَرثانُ مُرمِلُ

١٢ - أَلَستِ الَّتي مِن غَيرِ شَيءٍ شَتَمتِني ... فَقالَت مَتى ذا ؟ قالَ ذا عامُ أَوَّلُ

١٣ - فَقالَت وُلِدتُ العامَ بَل رُمتَ كِذبَةً ... فَهاكَ فَكُلني لا يَهنِيكَ مَأكَلُ

١٤ - وَكُنتَ كَذَبّاحِ العَصافيرِ دائِبًا ... وَعَيناهُ مِن وَجدٍ عَلَيهِنَّ تَهمِلُ

١٥ - فَلا تَنظُري لَيلَى إِلى العَينِ وَانظُري ... إِلى الكَفِّ ماذا بِالعَصافيرِ تَفعَلُ

♡ ♡ ♡

---

(٥) وفى هذا البيت يحدد القلب من هو أحق باللوم؛ إن العين هى التى تستحق اللوم لأنها حَمَّلت قلبه فوق ما يتحمل .

(٦) لحا الله : لام وعذل ، وهو من المجاز كما جاء فى أساس البلاغة . وهو دعاء من القلب على من يبيع الخليل بغيره ! ويرد عليه الشاعر مشاركًا له فى الرأى ، منزهًا له عن بيع خليله بغيره ، و« إنْ » بمعنى « ما » أى : حاشاك ما كنت تفعل ذلك !

(٧) ويؤيد هذا بقوله : إنه أبر ، وأوفى ، وَأَوْصَلُ لها من غيره .

(٨) ويواصل الدفاع عن نفسه ، وتبرئة ساحته ، فيسألها الصفح .

(٩) ويكل الأمر إلى حكمها فهو أعدل ، والأمر إليها ، وهو راض بمشيئتها .

(١٠) لقد ملّ نهاره وليله ، فَليل العاشقين طويل .

(١١) قصة الذئب مع الحَمَلِ مشهورة معروفة تناولها الشاعر فى الأبيات رقم ١١، ١٢؛ ١٣، وغرثان : جائع ، ومرمل : لا يجد شيئًا . وذئب السوء : الذئب اللئيم . البهم : صغار الماعز والخراف .

(١٤) وقصة صائد العصافير الذى استلفت نظر الصغير بتلك الدموع التى سالت من جراء عاصفة رملية ، فقال له أبوه : لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى السلاح الذى فى يديه ! – هذه القصة ذكرها الشاعر فى البيتين ١٤، ١٥ وهو يرى أنه يشبه ذئب السوء ، وذباح العصافير . وانظر ص ٣٦ حيث تكرر البيتان الأخيران .

٦٩ تمتّع من شميم عَرَار نجد !!

❁ وقال :

١ - أَقولُ لِصاحِبى وَالعِيسُ تَهوى ... بِنا بَينَ المُنيفَةِ فَالضِّمارِ
٢ - تَمَتَّع مِن شَميمِ عَرارِ نَجدٍ ... فَما بَعدَ العَشيَّةِ مِن عَرارِ
٣ - أَلا يا حَبَّذا نَفَحاتُ نَجدٍ ... وَرَيَّا رَوضِهِ غِبَّ القِطارِ
٤ - وَأَهلُكَ إِذ يَحِلُّ الحَيُّ نَجدًا ... وَأَنتَ عَلى زَمانِكَ غَيرُ زارى
٥ - شُهورٌ يَنقَضينَ وَما شَعَرنا ... بِأَنصافٍ لَهُنَّ وَلا سَرارِ
٦ - فَأَمّا لَيلُهُنَّ فَخَيرُ لَيلٍ ... وَأَطوَلُ ما يَكونُ مِنَ النَّهارِ

٧٠ عَلامَ تخاف البَينَ ؟!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَمِن أَجلِ سارٍ فى دُجى اللَّيلِ لامِعِ ... جَفَوتَ حِذارَ البَينِ لينَ المَضاجِعِ
٢ - عَلامَ تَخافُ البَينَ وَالبَينُ نافِعٌ ... إِذا كانَ قُربُ الدارِ لَيسَ بِنافِعِ

(١/٦٩) العِيس : الجمال . تهوى : تسرع . المنيفة : ماء لبنى تميم بين نجد واليمامة . والضّمال : مكان .

(٢) العَرار : نبات طيب الرائحة . الواحدة عَرارة ، وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة . ومعنى البيتين : أقول لصاحبى والإبل تسير بنا سريعًا بين هذين الموضعين : تمتع من طِيبِ رائحة عرار نجد فهذا أوانه ، وهو لا يوجد بعد العشية .

(٣) ألا يا هؤلاء نفحات نجد : تنبيه ونداء ومدح لتلك النسمات التى تفوح طيبًا ، وتنتشر رائحتها ، ويقال : رَوِىَ الشجر والنبت : تنعم ، فهو ريّا ، وهى ريّا وريانة وبخاصة عقب نزول القطر والمطر . إنه يقول : حبّب إلى من الأشياء نفحات نجد ، وفوحان رائحة روضه عقب المطر .

(٤) وما أجمل أن يلتقى الإنسان مع من يحب حيث يجتمع الشمل ، ويكون المرء راضيًا عن زمانه ! . وغير زارٍ : غير عائب ولا عاتب على زمانه !

(٥) إنه لم يكن آنذاك يدرى بالزمن ، فتنقضى الشهور دون أن يعرف منتصفها ولا آخر ليلة فيها .. يقال : سَرَارُ الشهر : آخر ليلة فيه . والمعنى : أن الزمان المذكور شهور مضت ، وما علمنا بأنصافها ، ولا بأواخرها ، لما كنا فيه من اللذة وطيب العيش !

(١/٧٠) يقف الشاعر مع نفسه يسائلها : لما جَفَتِ الفِراشَ الليِّن؟ ! أمن أجل ذلك السارى الذى يضيء ظلام الليل أملًا فى لقائه ، وخوفًا من البين والفراق؟ !

(٢) ولكن علام يخاف الفراق؛ ما دام قرب الديار ليس بنافع فى لقاء من يحب؟ !

٣ - إذا لَم تَزَل مِمَّن تُحِبُّ مُرَوَّعًا بِغَدرٍ فَإِنَّ البَينَ لَيسَ بِرائِعِ

٧١ سأبكي على ما فات مِنّي صبابةً !!

❁ وقال أيضًا :

١ - سَأَبكي عَلى ما فاتَ مِنّي صَبابَةً وَأَندُبُ أَيّامَ السُّرورِ الذَّواهِبِ
٢ - وَأَمنَعُ عَيني أَن تَلَذَّ بِغَيرِكُم وَإِنّي وَإِن جانَبتِ غَيرُ مُجانِبِ
٣ - وَخَيرُ زَمانٍ كُنتُ أَرجو دُنُوَّهُ رَمَتني عُيونُ النّاسِ مِن كُلِّ جانِبِ
٤ - فَأَصبَحتُ مَرحومًا وَكُنتُ مُحَسَّدًا فَصَبرًا عَلى مَكروهِها وَالعَواقِبِ
٥ - وَلَم أَرَها إِلّا ثَلاثًا عَلى مِنًى وَعَهدي بِها عَذراءُ ذاتُ ذَوائِبِ
٦ - تَبَدَّت لَنا كَالشَّمسِ تَحتَ غَمامَةٍ بَدا حاجِبٌ مِنها وَضَنَّت بِحاجِبِ

٧٢ وأبكي إن سمعت لها حنينًا !!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَحِنُّ إِذا رَأَيتُ جِمالَ قَومي وَأَبكي إِن سَمِعتُ لَها حَنينا

---

(٣) إن البيْنَ أجدى عليه وأنفع له ، فليس فيه ما يروّعه ، ومادام فى القرب توقع الغدر ، وخوف الهجر ، فالبين فيه الأمان . والبين : البعد .

(١/٧١) يستعيد المجنون أيامًا مضت ، وذكريات جميلة ذهبت ، ويبكى على ما فات منه ، ويندب أيام السرور التى ذهبت مع الريح ، ولن تعود ! والصبابة : الشوق ، أورقته ، وحرارته .

(٢) وسيظل وفيًّا حتى ولو جانبته ، وتباعدت عنه ، ولن يسمح لعينه أن تنظر إلى غيرها على الرغم من مجانبتها له !

(٣) إن عيون الحسّاد كم حالت بين الإنسان ومُناه ، وحين يُرْمى الإنسان بعيون الحساد من كل جانب يتغير حاله !

(٤) فبعد أن كان محسودًا على ما هو فيه من نعمة القرب ، ومتعة اللقاء ، يصبح محرومًا يستحق الترحم والشفقة والرّثاء لحاله . إنها عيون الحُسّاد ! !

(٥) الذوائب : جمع ذُؤابة ، شعرُ مُقدمِ الرأس . إن عهدَه بها أيام أن كانت صغيرة عذراء ، وقد ضَنّ الزمان برؤيتها ، فلم يرها إلا ثلاث مرات على مِنًى !

(٦) لقد كانت آنذاك حين ظهرت له وتبدّت بمنى كالشمس خلف ستارة من الغُيوم تحجبها عن الناظرين فبدا منها جانب ، واختفى جانب ! إنها مازالت تنير قلبه !

(١/٧٢) وهو فى غربته دائم الحنين والشوق إلى لَيْلَىٰ .. وقومها .. إنه يحن إذا رأى الجِمال قادمة من نجد ، ويبكى إن سمع حنين الإبل حين تمد صوتها شوقًا إلى ولدها ، إنها تذكره بلَيْلَىٰ !

٢ - سَقى الغَيثُ المَجيدُ بِلادَ قَومى وَإِن خَلَتِ الدِّيارُ وَإِن بَلِينا

٣ - عَلى نَجدٍ وَساكِنِ أَرضِ نَجدٍ تَحِيّاتٌ يَرُحنَ وَيَغتَدينا

٧٣ وفيكَ المنى لولا عدوٌّ أحاذره !

❁ وقال أيضًا :

١ - بِنَفسِيَ مَن لا بُدَّ لى أَن أُهاجِره وَمَن أَنا فى المَيسورِ وَالعُسرِ ذاكِرُه

٢ - وَمَن قَد رَماهُ النّاسُ بى فَاتَّقاهُمُ بِهَجرِيَ إِلّا ما تُجِنُّ ضَمائِرُه

٣ - فَمِن أَجلِها ضاقَت عَلَيَّ بِرُحبِها بِلادِيَ إِذ لَم أَرضَ عَمَّن أُجاوِرُه

٤ - وَمِن أَجلِها أَحبَبتُ مَن لا يُحِبُّنى وَباغَضتُ مَن قَد كُنتُ حينًا أُعاشِرُه

٥ - أَتَهجُرُ بَيتًا لِلحَبيبِ تَعَلَّقَت بِهِ الحِبُّ وَالأَعداءُ أَم أَنتَ زائِرُه

٦ - وَكَيفَ خَلاصى مِن جَوى الحُبِّ بَعدَما يُسَرُّ بِهِ بَطنُ الفُؤادِ وَظاهِرُه

٧ - وَقَد ماتَ قَبلى أَوَّلُ الحُبِّ فَانقَضى فَإِن مِتُّ أَضحَى الحُبُّ قَد ماتَ آخِرُه

---

(٢) ولا يملك - أمام هذا الشوق والحنين - إلا أن يدعوَ لبلاد قومه ومحبوبته بالسُّقيا ، فينزل الغيث والمطر ليهبَها الحياة ، ويُعيد إلى وجودها وجودًا حتى ولو خَلَتْ الديار وبَلى ما فيها !

(٣) وأخيرًا يبعث بتحياته الطيبات المباركات إلى أرض نجد ومن فى نجد يرحن ويغتدينا ، والرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وعكسه الغدو فإنه يكون فى الصباح . والمراد فى كل وقت ..

(١/٧٣) أفدى « المحبوب » بنفسى وروحى ، وإن كنت أبدى أمام الناس - تباعُدًا وهجرًا لها ، لكنى لا أنساها ، وسأظل أذكرها فى كل حال .

(٢) لقد رماه الناسُ بى ، وتقولوا علينا ، وكان لابد من إظهار الهجر ، وإن كانت الضمائر والقلوب تكن حُبًّا .

(٣) لقد ضاقت عليه بلاده من أجلها ، فأصبح الذين يجاورونه غير راضين عنه !

(٤) لقد أحببت من أجلها من لا يحبنى من أهلها ، وباغضتُ من قد كنت حينا أعاشره من أهلى !

(٥) ويعود فيتساءل : ماذا يكون موقفه من بيت من يهوى؟ أيهجره - وقد تعلق به الحبُّ ، والمنع والحيلولة دون لقاء من يهوى ! - أم يزوره؟

(٦) لا سبيل إلى الخلاص من اشتداد الوجد وتأجج العشق ، والحزن بعدما ملأ الحب قلبى .

(٧) لقد سبقنى إلى الحب كثيرون وماتوا ، فإن لحقت بهم ، فسوف يموت الحب كله معى بموتى !

٨ - وَقَد كانَ قَلبى فى حِجابٍ يَكُنُّهُ فَحُبُّكِ مِن دونِ الحِجابِ يُباشِرُه

٩ - أَصُدُّ حَياءً أَن يَلِجَّ بِيَ الهَوى وَفيكِ المُنى لَولا عَدُوٌّ أُحاذِرُه !

٧٤ يامن شَغَلْتُ بهجره ووصاله !

❁ وقال :

١ - يا مَن شَغَلتُ بِهَجرِهِ وَوِصالِهِ هِمَمَ المُنى وَنَسيتُ يَومَ مَعادى

٢ - وَاللَّهِ ما ٱلتَقَتِ الجُفونُ بِنَظرَةٍ إِلَّا وَذِكرُكِ خاطِرٌ بِفُؤادى

٧٥ ومفروشة الخَدَّين وَرْدًا !

❁ وقال أيضًا :

١ - وَمَفروشَةِ الخَدَّينِ وَردًا مُضَرَّجًا إِذا جَمَشَتهُ العَينُ عادَ بَنَفسَجا

٢ - شَكَوتُ إِلَيها طولَ لَيلِى بِعَبرَةٍ فَأَبدَت لَنا بِالغُنجِ دُرًّا مُفَلَّجا

٣ - فَقُلتُ لَها مُنّى عَلَيَّ بِقُبلَةٍ أُداوى بِها قَلبى فَقالَت تَغَنَّجا

٤ - بُليتُ بِرِدفٍ لَستُ أَسطيعُ حَملَهُ يُجاذِبُ أَعضائى إِذا ما تَرَجرَجا

♡ ♡ ♡

---

(٨) لقد وصل حبك إلى شغافِ قلبى واخترق كل الحجب . يكُنُّه : يستره .

(٩) ولولا الحياء من تحكم الهوى فِيَّ ما كنت أبدى هذا الصدود فأنت منای ، والأمل كله : إنهم الأعداء فى كل مكان أحاذرهم ، ولولا ذلك لبدا لك منى ما أخفى !

(١/٧٤) نداء يحمل شحنة من الاسترحام إلى محبوبته لعلها تعطف عليه وتلين له ، فقد شغل نفسه وهمته وحصر كل أمانيه فيها مما شغله عن يوم المعاد .

(٢) إن ذكرها لا يبارح خاطَره فى كل طرفةِ عين .

(١/٧٥) مضرّجًا : أحمر قانيًا . جَمّشته العين : غازلته ، والتجميش : مغازلة المرأة بقَرْص أو ملاعبة . بنفسجًا ، البنفسج : نبات زهرى يزرع للزينة ولزهوره ، عِطر الرائحة .

(٢) الغُنج : الدلال . درًّا : أسنانا كالدر ، والفلج : انفراج محبب بين الأسنان .

(٣) تَغَنجًا : تدلُّلًا فيه ملاحة ، كأنها تخالفه وليس بها خلاف .

(٤) الرِّدْف : مؤخر المرأة ، والعَجُز ، والكَفل ، والجمع أرداف . أسطيع : أستطيع .

٧٦ فؤادى بين أضلاعى غريب !

❁ وقال أيضًا :

١ - فُؤادى بَينَ أَضلاعى غَريبُ ... يُنادى مَن يُحِبُّ فَلا يُجيبُ
٢ - أَحاطَ بِهِ البَلاءُ فَكُلَّ يَومٍ ... تَقارَعُهُ الصَّبابَةُ وَالنَّحيبُ
٣ - لَقَد جَلَبَ البَلاءَ عَلَيَّ قَلبى ... فَقَلبى مُذ عَلِمتُ لَهُ جَلوبُ
٤ - فَإِن تَكُنِ القُلوبُ كَمِثلِ قَلبى ... فَلا كانَت إِذًا تِلكَ القُلوبُ

٧٧ ومستوحش !!

❁ وقال :

١ - وَمُستَوحِشٍ لَم يُمسِ فى دارِ غُربَةٍ ... وَلَكِنَّهُ مِمَّن يَوَدُّ غَريبُ

٧٨ إن الحِسَانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ !

❁ وقال أيضًا :

١ - بَيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ كَأَنَّها ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنحَ لَيلٍ أَسوَدِ
٢ - مَوسومَةٌ بِالحُسنِ ذاتُ حَواسِدٍ ... إِنَّ الحِسانَ مَظِنَّةٌ لِلحُسَّدِ
٣ - وَتَرى مَدامِعَها تَرَقْرَقَ مُقْلَةٍ ... سَوداءَ تَرغَبُ عَن سَوادِ الإِثمِدِ
٤ - خَوْدٌ إِذا كَثُرَ الكَلامُ تَعَوَّذَت ... بِحِمى الحَياءِ وَإِن تَكَلَّم تَقصِدِ

♡ ♡ ♡

(٢/٧٦) تقارعه : تطعنُه وتُصيبه الصبابة : حرارة الشوق ، والنحيب : إعلان البكاء . وأصلها تتقارعه .
(٣) جَلبَ : ساق . والجَلوبُ : كثير جلب البلاء على وزن فَعول .
(١/٧٧) يصور هذا البيت الإحساس بالغربة الروحية ، وما يعانيه من يعيشها على الرغم من عدم وجوده فى دار غربة ، ولكنه غريب ممن يوده ويحبه !
(١/٧٨) جُنح ليل : ظلامه واختلاطه .
(٢) ترقرق : تترقرق : يجرى دمعُها . والمقلة : العين .
(٣) ترغب عن سواد الإثمد : الإثمد الكحل ، يعنى أن سوادها ربانى لا حاجة لها فى كحل صناعى .
(٤) خَوْد : الشابة الناعمة الحسنة الخلْق حيِيَّة ، تحتمى بالحياء ، قليلة الكلام .

٧٩ أحِنُّ إلى نَجْدٍ !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَحِنُّ إِلى نَجدٍ وَإِنّى لَآيِسٌ ... طَوالَ اللَّيالى مِن قُفولٍ إِلى نَجدِ

٢ - وَإِن يَكُ لا لَيلَىٰ وَلا نَجدُ فَاعتَرِف ... بِهَجرٍ إِلى يَومِ القِيامَةِ وَالوَعدِ

٨٠ إذا لم أَجِدْ عُذرًا لنفسى !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَلا إِنَّما أَفنى دُموعى وَشَفَّنى ... خُروجى وَتَركى مَن أُحِبُّ وَرائِيا

٢ - وَما لِيَ لا يَستَنفِدُ الشَّوقُ عَبرَتى ... إِذا كُنتُ مِن دارِ الأَحِبَّةِ نائِيا ؟

٣ - إِذا لَم أَجِد عُذرًا لِنَفسى وَلُمتُها ... حَمَلتُ عَلى الأَقدارِ ما كانَ جارِيا

٨١ أياجبل الثلج !

❁ قال : فلما فَرغ من إنشاد هذه الأشعار؛ ظهر له غزالان فى أصل جَبَل ، فتبِعهما حتى وقف بحِذَائِهما ، وجعل ينظر إليهما ويبكى ، ويقول :

١ - أَيا جَبَلَ الثَّلجِ الَّذى فى ظِلالِهِ ... غَزالانِ مَكحولانِ مُؤتَلِفانِ

٢ - غَزالانِ شَبّا فى نَعيمٍ وَغِبطَةٍ ... وَرَغدَةِ عَيشٍ ناعِمٍ عَطِرانِ

٣ - أَرَغتُهُما خَتلًا فَلَم أَستَطِعهُما ... فَفَرّا وَشيكًا بَعدَ ما قَتَلانى

(١/٧٩) القُفول : العودة والرجوع .

(٢) الأمل محصور فى نجد حيث تقيم لَيْلَىٰ ، وبدون لَيْلَىٰ ونجد سوف يقاسى عذاب الهجر .

(١/٨٠) شفنى : أنحل جسمى وأرّقنى .

(٢) يتعجب من حاله ! ما بال حرارة الشوق لا تستنفد عبراته فلا يكف عن البكاء فى حال بعده عن دار الأحبة؟ !

(٣) قد لا يجد عذرًا لنفسه فيما يعانيه ، وعندئذ يعزو ما حدث له إلى القدر !

(١/٨١) مكحولان : يقال : كحلَ العين فهى مكحولة ، والكحلاء : البيضاء السوداء العينين .

(٢) الغِبطة : السعادة والسرور ، ورغد العيش : اتساعه وخصبه ، ونعومة الحياة .

(٣) أرغتهما : خادعتهما وطلبتهما ، والخَتْل : الخداع عن غفلة ، ويريد : داورتهما ، وتخفيت لهما من حيث لا يشعران .

٤ - خَليلَيَّ أَمّا «أُمُّ عَمروٍ» فَمِنهُما ... وَأَمّا عَنِ الأُخرى فَلا تَسأَلانِي

٥ - فَما صادِياتٌ حُمنَ يَومًا وَلَيلَةً ... عَلى الماءِ دونَ الوِردِ هُنَّ حَوانِي

٦ - يَرَينَ حَبابَ الماءِ وَالمَوتُ دونَهُ ... وَهُنَّ لِأَصواتِ السِّقاءِ رَوانِي

٧ - بِأَكثَرَ مِنّي حَسرَةً وَصَبابَةً ... إِلَيها وَلَكِنَّ الفِراقَ عَرانِي

٨ - خَليلَيَّ إِنّي مَيِّتٌ أَو مُكَلِّمٌ ... لِلَيلَى بِحاجي فَامضِيا وَذَرانِي

٩ - أَقُل حاجَتي وَحدي فَيا رُبَّ حاجَةٍ ... قُضِيَتْ عَلى هَولٍ وَخَوفِ مَكانِ

١٠ - وَإِنَّ أَحَقَّ النّاسِ مِنّي تَحِيَّةً ... وَشَوقًا لَهُ مَن لَو يَشاءُ شَقانِي

١١ - وَمَن قادَني لِلمَوتِ حَتّى إِذا صَفَت ... مَشارِبُهُ سُمَّ الذُّعافِ سَقانِي

٨٢ أحبُّكِ حُبًّا لو تحبّينَ مِثلَه !

❁ وقال أيضًا :

١ - أُحِبُّكِ حُبًّا لَو تُحِبّينَ مِثلَهُ ... أَصابَكِ مِن وَجدٍ عَلَيَّ جُنونُ

٢ - وَصِرتِ بِقَلبٍ عاشَ أَمّا نَهارُهُ ... فَحُزنٌ وَأَمّا لَيلُهُ فَأَنينُ

(٤) «أم عمرو» محبوبته ، ولذا يقال لها : لَيْلَىٰ العامرية . لا تسلانى : لا تسألانى خففت همزتها .

(٥) صاديات : عِطاش ، حُمْنَ : يقال : حام الحيوان حَومًا عطش فهو حائم . دون الوِرد : بلا شرب ولا إشراف على الماء . حَوَان : هالكات ذليلات .

(٦) الحَبابُ – بفتح الحاء – طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح ، والفقاقيع على وجه الماء ، ويقال : طفا الحَبابُ على الشراب . والسّقاء : كل ما يجعل فيه ما يُسْقى . وروانٍ : جمع رانية ، وهو التى تديم النظر فى سكون طرف وتحسّر لعدم تمكنها .

(٧) هذا البيت متصل بالبيتين قبله؛ أى ليست الواردات على الماء الحائمات حوله يرينه وهو قريب ويمنعن عنه فينظرن إليه فى حسرة وشوق إليه بأكثر منى حسرة وصبابة إلى محبوبتى ! ، عرانى : أصابنى وألمّ بى .

(٨) الحَاجُ : جمع حاجة . ذرانى : دعانى واتركانى .

(٩) إذا كان «صاحب الشيء أحق بحمله» ، وإذا كان فى الأمثال : «ما حكّ جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت جميع أمرك» فاتركانى يا خلَيْلَىٰ أتولى حمل حاجتى ورفعها والتعبير عنها بنفسى إلى من أحب ، ومَن يدرى فربما جاء الصعب سهلًا على غير المتوقع !

(١٠، ١١) إننى أخص بتحيتى من بيده شفائى من الجوى ، والذّعاف : السُّمّ يقتل من ساعته .

(١/٨٢) الوجد : الحزن . (٢) وصرتِ معطوف على أصابك . أنين : تأوّه وتوجع .

٨٣ شربتُ بشاتى شِبهَ لَيلَىٰ

ثم نهضَ من الواديَيْن ، ومَرَّ على وجهه يدورُ فى الصحراء ، فمرّ برجلين قد قَنَصَا ظبيًا وربطاه ! فدنا منهما المجنون ، وتأمّلَه ساعة ، ثم قال لهما : اختارا شاةً من غَنمِى مكانه ، وخَلّياه ، فأبَيَا عليه ، فلم يزل بهما ، حتى أعطاهُمَا أربعَ شياه من غَنمِه مكانه ، ثم خَلَّيَاهُ ، فأنشأ يقول :

١ - شَرَيتُ بِشاتى شِبهَ لَيْلَىٰ وَلَو أَبوا ... لَأَعطَيتُ مِن مالى طَريفى وَتالِدى

٢ - لَو كُنتُما حُرَّينِ ما بِعتُما مَعا ... شَبيهًا لِلَيْلَىٰ بِيعَةَ المُتَزايِدِ

٣ - وَأَعتَقتُماها رَغبَةً فى ثَوابِها ... وَلَم تَرغَبا فى ناقِصٍ غَيرِ زائِدِ

٨٤ ياصَاحِبَىَّ

❁ وقال أيضًا :

١ - يا صاحِبَيَّ اللَّذَينِ اليَومَ قَد أَخَذا ... فى الحَبلِ شِبهًا لِلَيْلَىٰ ثُمَّ غَلَّاها

٢ - إِنّى أَرى اليَومَ فى أَعطافِ شاتِكُما ... مُشابِهًا أَشبَهَت لَيْلَىٰ فَحُلَّاها

٣ - وَأَرشِداها إِلى خَضراءَ مُعشِبَةٍ ... يَومًا وَإِن طَلَبَت إِلفًا فَدُلَّاها

٤ - وَأَوردِاها غَديرًا لا عَدِمتُكُما ... مِن ماءِ مُزنٍ قَريبٍ عِندَ مَرعاها

٨٥ لقدعِشتُ من لَيلَىٰ زَمَانًا أُحِبّها !

... ثم إنّه مَرّ ببنى عَمّه ، وكانوا مُعادين له يسخرون منه ، ويهزءون به ، ويقولون :

(١/٨٣) الطريف : المال المستحدث ، والتالد : القديم الموروث ، ويريد : مالى كله قديمه وحديثه .

(٢) المتزايد : الذى يغالى فى الثمن ، ولا يرضى بالقليل . وبيعة بكسر الباء اسم هيئة .

(٣) فى ناقص غير زائد : أى فيما يَفْنَى ، أما ثواب الله فهو باق .

(١/٨٤) غَلّاها : قيداها ، ووضعا الغلّ فى يدها أو عنقها . (٢) أعطاف : ثنايا وأطراف .

(٣) خضراء معشبة : أرض كثيرة العشب . والإلف : الأليف : ويريد : اجمعا بينها وبين أليفها ، ولا تتركاها وحدها ، بل دُلّاها على أليفها .

(٤) ووفرا لها الماء كما وفرتما لها الطعام والغذاء . واجعلاه قريبًا من مرعاها على أن يكون من ماء السحاب الصافى الذى لم يتَسَنّه ولم يتغير . والغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل ، والنهر الصغير .

كيف لَيْلَىٰ ؟ وكيفَ حُبُّك لها ؟! فإذا ذُكِرَت لَيْلَىٰ له رجع إليه عقلُه؛ فيجلسُ إليهم يحدثُهم ، ويُنْشِدهُمْ ما قال فيها من الشعر؛ فيقولون : والله ما به من جنون ، وإنه لعاقل ، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العَبْرَةُ وأنشأ يقول :

١ - أَيا وَيحَ مَن أَمسى تُخُلِّسَ عَقلُهُ ... فَأَصبَحَ مَذهوبًا بِهِ كُلَّ مَذهَبِ

٢ - خَلِيًّا مِنَ الخُلَّانِ إِلَّا مُعَذَّبًا ... يُضاحِكُني مَن كانَ يَهوى تَجَنُّبي

٣ - إِذا ذُكِرَت لَيْلَىٰ عَقَلْتُ وَراجَعَتْ ... رَوائِعُ قَلبي مِن هَوًى مُتَشَعِّبِ

٤ - وَقالوا صَحيحٌ ما بِهِ طَيفُ جِنَّةٍ ... وَلا الهَمُّ إِلَّا بِافتِراءِ التَّكَذُّبِ

٥ - وَلي سَقَطاتٌ حينَ أُغفِلُ ذِكرَها ... يَغوصُ عَلَيها مَن أَرادَ تَعَقُّبي

٦ - وَشاهِدُ وَجدي دَمعُ عَيني وَحُبُّها ... بَرى اللَّحمَ عَن أَحناءِ عَظمي وَمَنكِبي

٧ - تَجَنَّبتُ لَيْلَىٰ أَن يَلِجَّ بِيَ الهَوى ... وَهَيهاتَ كانَ الحُبُّ قَبلَ التَّجَنُّبِ

(١/٨٥) تُخُلِّس : سُلب . مذهوبًا به كل مذهب : هائمًا على وجهه لا يدرى من أمره شيئًا . وويح : كلمة ترحم وتوجع ، وقيل : هى بمعنى ويل ، ويقال : ويح له ، وويحًا له ، وويحه .

(٢) فى النسخة الأصلية « مُعَذَّبًا » وفى الأغانى « إلا مُعَذَّرًا » وهو المقصر الذى لا عذر له ، ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٩٠] ، وقوله : « يضاحكنى من كان يهوى تجنبى » هو الموافق لما جاء فى الديوان طبع بولاق لكن جاء فى الأغانى ج٢ ص ٣٩.

خليعًا من الخُلاّنِ إلا مجاملًا ... يساعدنى من كان يهوى تجنبى

(٣) روى صاحب الأغانى هذا البيت مخالفًا لما فى الديوان :

إذا ذكرت لَيْلَىٰ عقلتُ وراجعت ... عوازبُ قلبى من هَوًى مُشَعَّبِ

والروائع : واحدتها رائعة؛ ما يعجب الناس من الحسن ، وجهارة المنظر ، وهو هنا على الاستعارة .

(٤) الجِنّة : الجنون ، وطائف الجن ومَسُّه . والطائف : ما كان كالخيال يُلم بالشخص ، ويقال : طائف من الشيطان . والتكذّب : تكلف الكذب .

(٥) لكل منا سقطات وهفوات يسكت عنها ، ولكن الواشين والحاقدين يبحثون عنها ويتعقبونها لتشويهه فى نظر لَيْلَىٰ .

(٦) الأحناء : واحدها حِنْو ، كل شىء فيه اعوجاج .

(٧) يلجّ : يلزمنى ، ويأبى أن يتركنى وينصرف عنى !

٨ - فَما مُغزِلٌ أَدماءُ باتَ غَزالُها ... بِأَسفَلِ نُهيٍ ذى عَرارٍ وَخُلَّبِ

٩ - بِأَحسَنَ مِن لَيلَىٰ وَلا أُمُّ فَرقَدٍ ... غَضيضَةُ طَرفٍ رَعيُها وَسْطَ رَبرَبِ

١٠ - نَظَرتُ خِلالَ الرَّكبِ فى رَونَقِ الضُّحى ... بِعَينى قُطامِيٍّ نَما فَوقَ عُرقُبِ

١١ - إِلى ظُعُنٍ تُحدَىٰ كَأَنَّ زُهاءَها ... نَواعِمُ أَثلٍ أَو سَقِيّاتُ أَثلَبِ

١٢ - وَلَم أَرَ لَيلَىٰ غَيرَ مَوقِفِ ساعَةٍ ... بِبَطنِ مِنًى تَرمى جِمارَ المُحَصَّبِ

١٣ - فَأَصبَحتُ مِن لَيلَىٰ الغَداةَ كَناظِرٍ ... مَعَ الصُّبحِ فى أَعقابِ نَجمٍ مُغَرِّبِ

١٤ - أَلا إِنَّما غادَرتِ يا «أُمَّ مالِكٍ» ... صَدًى أَينَما تَذهَبِ بِهِ الريحُ يَذهَبِ

١٥ - حَلَفتُ بِمَن أَرسى ثَبيرًا مَكانَهُ ... عَلَيهِ ضَبابٌ مِثلُ رَأسِ المُعَصَّبِ

١٦ - وَما يَسلُكُ المَوماةَ مِن كُلِّ نِقْضَةٍ ... طَليحٍ كَجَفنِ السَّيفِ تُهْدَى لِمَركِبِ

١٧ - خَوارِجَ مِن نُعمانَ أَو مِن سُفوحِهِ ... إِلى البَيتِ أَو يَطلُعنَ مِن نَجدِ كَبكَبِ

١٨ - لَهُ حَظُّهُ الأَوفى إِذا كانَ غائِبًا ... وَإِن جاءَ يَبغى نَيلَنا لَم يُؤَنَّبِ

---

(٨) المغزِل - بضم الميم وكسر الزاى - يقال أغزلت الظبية : صار لها غزال فهى مُغْزِل ، والأدماء : شديدة ، السُّمرة والجمع : أُدْم . والنُّهىُ : الموضع له حاجز يمنع الماء أن يفيض ، والغدير ، والعرار - بفتح العين - نبات طيب الرائحة الواحدة عرارة .

(١٠) يقول : إنه نظر فى أول الضُّحا : حيث تتضح الرؤية - بعينى صقر ، ونَمَى : نشأ وسَمِن . فوق عرقب : يريد أنه خبير بما الْتَوى من الطريق وما انحنى ، وله خبرة بما ضاق من الطرق فى الجبل .

(١١) الظُّعُن : جمع ظعينة وهى المرأة المسافرة فى هودج فوق الجمل - نظر إلى الركْب والجمال تساق وتُحْدى لحثها على السير ، والظعينات كأنهن أشجار الأثل فى نعومتها وجمال قَدّها ، والسُّقيات : جمع سَقيّة بمعنى مسقية ، وهى البردى سمى بذلك لنباته فى الماء ، أو لقربه منه .. إنهن يشبهن الأثل ، وهو شجر طويل مستقيم ، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم ، ويشبهن البردى . والإثلب - بكسر الهمزة وفتحها : فتاتُ التراب .

(١٢) لكنه لم ير لَيْلَىٰ إلا مقدار ساعة حيث توقفت بِمِنًى ترمى الجمرات ، والمحصَّب : موضع رمى الجمرات .

(١٣) ولكنها سرعان ما غادرت وتركته وحيدًا فأصبح كمن ينظر إلى نجم غاب مع طلوع النهار .

(١٤) «أم مالك» كنية لَيْلَىٰ ، والصدى : الرجل النّحيف الجسد .

(١٥) ثبير : جبل شامخ يقابله حراء ، المعصّب : من وضع على رأسه عصابة .

(١٦) المؤمَاةُ : المفازة الواسعة . والنّقضة والنقائض : الإبل التى تقطع الأرض كما جاء فى القاموس المحيط . والطليح : التى أتعبها صاحبها . وجَفْن السيف : غمده .

(١٧) نعمان : جبل . والنّجد : ما ارتفع من الأرض والكِبْكب بالكسر والضم الجماعة ، والإبل العظيمة .

١٩ - لَقَد عِشتُ مِن لَيْلَىٰ زَمانًا أُحِبُّها ... أَرى المَوتَ مِنها فى مَجيئى وَمَذهَبى
٢٠ - وَلَمّا رَأَت أَنَّ التَّفَرُّقَ فَلتَةٌ ... وَأَنّا مَتى ما نَفتَرِق نَتَشَعَّبِ
٢١ - أَشارَت بِمَوشومٍ كَأَنَّ بَنانَهُ ... مِنَ اللِّينِ هُدّابُ الدِّمَقسِ المُهَذَّبِ

٨٦ أيا جَبَلَىْ نَعمانَ (*)

❁ قال عُوانة :

خرج مِنّا رَجُلٌ إلى « وادى القُرى » معَ جَماعةٍ يَمْتَارُون؛ فمَرّوا على طريقهم، وعثروا بالمجنون، فقالوا : يا قيسُ؛ نراك مُحِبًّا للَيْلَىٰ ؟! فقال : نعم . قالوا : أفَلاَ تأتى جَبَلَىْ نَعْمَانَ ؟ قال : فأية ريح تَهبُّ من أرضها ؟ قالوا : الصَّبَا . فأقام بها، وأنشأ يقول :

١ - أَيا جَبَلَى نَعمانَ بِاللَّهِ خَلِّيا ... سَبيلَ الصَّبا يَخلُص إِلَيَّ نَسيمُها
٢ - أَجِد بَردَها أَو تَشفِ مِنّى حَرارَةً ... عَلى كَبِدٍ لَم يَبقَ إِلَّا صَميمُها
٣ - فَإِنَّ الصَّبا ريحٌ إِذا ما تَنَسَّمَت ... عَلى نَفسِ مَحزونٍ تَجَلَّت هُمومُها
٤ - لَيالِيَ أَهلونا بِنَعمانَ جيرَةٌ ... وَإِذ نَحنُ نُرضيها بِدارٍ نُقيمُها
٥ - أَلا إِنَّ أَدوائى بِلَيْلَىٰ قَديمَةٌ ... وَأَقتَلُ داءِ العاشِقينَ قَديمُها

---

(١٩) مذهبى : ذهابى مصدر ميمى .

(٢١) الموشوم : الذى عليه وشم، والبنان : أطراف الأصابع واحدتُه بنانه . والدّمَقْس : الحرير، والهُداب، الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب دون أن يكمل نسجها، والمهذب : النقىّ الخالص .

(*) أورد الأبيات الثلاثة الأولى داود الأنطاكى فى تزيين الأسواق منسوبة إليه .

(١/٨٦) الصّبَا : ريح تهب من الشمال، يقال : إنها تحمل معها أنفاس المحبين . وتكون بردًا وسلامًا على قلوبهم .

وفى بعض النسخ « نسيم الصّبَا » بدلا من « سبيل الصّبا » . ونَعمَان : هو نَعمان الأراك، وهو وادٍ بين مكة والطائف . وقيل : وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات .

ويقول صاحب « تزيين الأسواق » إن « جبلى نعمان » موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير، وهو مكان يقرب من منزل كانت تنزل به لَيْلَىٰ .

(٢) صميمها : أصلها .

(٣) كذا فى الديوان وأغلب نسخ الأغانى، وقد جاء فى تزيين الأسواق : « مهموم » بدلًا من محزون، وهما بمعنى .

(٥) الأدواء : جمع داء، والمراد بها الأمراض النفسية التى أصابته بسبب حبه وعشقه .

٦ - تَذَكَّرتُ وَصلَ الناعِجيّاتِ بِالضُّحى ... وَلَذَّةَ عَيشٍ قَد تَوَلّى نَعيمُها
٧ - وَأَنتِ الَّتى هَيَّجتِ عَينِيَ بِالبُكا ... فَأَسجَمَ غَرباها فَطالَ سُجومُها
٨ - وَقَد قَذِيَت عَينى بِلَيْلَىٰ وَأَتبَعَت ... قَذاها وَقَد يَأتى عَلى العَينِ شُومُها
٩ - خَليلَيَّ قوما بِالعِصابَةِ فَاعصِبا ... عَلى كَبِدٍ لَم يَبقَ إِلَّا رَميمُها

٨٧ بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فلم يُشْفَ ما بنا (*)!!

❁ وقال :

١ - خَليلَيَّ مُرّا بى عَلى الأَبرَقِ الفَردِ ... وَعَهدى بِلَيْلَىٰ حَبَّذا ذاكَ مِن عَهدِ
٢ - أَلا يا صَبا نَجدٍ مَتى هِجتِ مِن نَجدِ ؟! ... فَقَد زادَنى مَسراكِ وَجدًا عَلى وَجدى
٣ - أَإِن هَتَفَت وَرقاءُ فى رَونَقِ الضُّحى ... عَلى فَنَنٍ غَضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّندِ
٤ - بَكَيتُ كَما يَبكى الوَليدُ وَلَم أَزَل ... جَليدًا وَأَبدَيتُ الَّذى لَم أَكُن أُبدى

---

(٦) النّاعِجيّات : نعاج الرمل : البقر ، والواحدة : نعجة ، ولا يقال لغير البقر من الوحش ، وتشبه بها النساء لسعة العيون .

(٧) سَجَم الدمع سُجومًا ، وسجمته العين : قطر دمعها وسال قليلًا أو كثيرًا ، وسجمه هو وأسجمه ، وسجّمه . والغَربان : مثنى غرب ، وهو الراوية والدلو العظيمة ، والدمع ومَسيلُه .

(٨) قذيت : أصيبت بالرمّص والغمص وغيرهما .

(٩) العِصابة : عَصَبَ الشيء عَصْبًا شَدَّه ، يقال : عَصَبَ رأسه بالعصابة ، والرميم : البالى من كل شيء ، كالفُتاتِ من الخشب والطين ، يقال : عظم رميم وعظام رميم ورمائم .

(*) ذكر صاحب ديوان الحماسة الأبيات (رقم ٢، ٣، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١) ونسبها إلى عبد الله بن الدُّمينة الخثعمى .

(١/٨٧) الأبرق : مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . والفَرد الوحيد ، أو الذى لا مثيل له .

(٢) الصَّبا : ريح القَبُول ، وهاجت : ثارت . والمعنى : ألا يا صَبا نجد متى كان هبوبك من نجد التى هى أرض المحبوب ، فلقد زادنى مَسراك حزنا على حزن؛ أى : ما كان منك هبوب إلا كان منى وجد .

(٣) روى صاحب الحماسة هذا البيت بلفظ : « أإن هتفت » والورقاء : الحمامة التى مال سوادها إلى البياض ، والرونق : الضياء ، والرّند : نوع من الطيب . والفنن : الغصن الناعم . والغض : الطرى .

(٤) روى صاحب ديوان الحماسة هذا البيت كما يأتى :

بكيتَ كما يبكى الوليد ولم تكن ... جليدًا وأبديتَ الذى لم تكن تبدى

والجليد : القوى . ومعنى البيتين على هذا : ألأنْ صاحت حمامة ورقاء فى أول الضحى ، حنت على غُصْن من شجر الرنْد بكيت بكاء الصبى أعياه مطلوبه ، ولم تكن قويًّا على البكاء ، وأظهرت الذى كنتَ تخفيه فى فؤادك من الشوق والغرام؟!

٥ - وَأَصبَحتُ قَد قَضَّيتُ كُلَّ لُبانَةٍ تِهامِيَّةٍ وَٱشتاقَ قَلبي إِلى نَجدِ
٦ - إِذا وَعَدَت زادَ الهَوى لِٱنتِظارِها وَإِن بَخِلَت بِالوَعدِ مِتُّ عَلى الوَعدِ
٧ - وَإِن قَرُبَت دارًا بَكَيتُ وَإِن نَأَت كَلِفتُ فَلا لِلقُربِ أَسلو وَلا البُعدِ
٨ - أَحِنُّ إِلى نَجدٍ وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجدٌ على العهدِ !
٩ - وَقَد زَعَموا أَنَّ المُحِبَّ إِذا دَنا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأيَ يَشفي مِنَ الوَجدِ
١٠ - بِكُلٍّ تَداوَينا فَلَم يُشفَ ما بِنا عَلى أَنَّ قُربَ الدّارِ خَيرٌ مِنَ البُعدِ
١١ - عَلى أَنَّ قُربَ الدّارِ لَيسَ بِنافِعٍ إِذا كانَ مَن تَهواهُ لَيسَ بِذي وُدِّ

ثم مضى على وَجْهِه ، واشتدّ به الشوق ، فكان لا يَلْبَسُ قميصًا إلا خَرَّقه ، ولا درعًا إلا مَزَّقه ! . وترك محادثة النَّاس ، وصار لا يفقه شيئًا ، قد اختلسَ لُبَّه ، واختطفته الأحزان والكُرب ، وخامَرَهُ الجنون ، وعلاه الأمر الفظيع ! فإذا ذُكِرَت له لَيْلَىٰ آب إليه عقلُه ، وأفاقَ من غشيته ، وتجلّت عنه غمْرَتُه ! . فإذا قُطِع ذكْرها عاد إلى وَسواسه ، وسوء حاله ، يأنَسُ بالوَحش ، ويستريحُ إليه ، ويتنَسّمُ الريحُ من تلقاء نجد ! .

♡ نوفل بنُ مُسَاحق والمجنون

❁ قال الوالبى : ثم وُلِيّ عليهم « نوفل بن مُسَاحق »(*)؛ قال : فبينما « نوفل » فى بعض طريقه إذْ مَرّ برجلٍ عريان كأصَحّ ما يكون من الرجال !؛ وهو قاعد يلعب بالتراب ، قد جمع العظامَ حوله ، فدنا منه؛ فقال : « والله ما رأيتُ أعجبَ من هذا

(٩) النأى : البعد .

(١٠) معنى البيتين : زعم الناس : أن الاستكثار من المحبوب والتدانى منه يُكسب المحب ملالًا ، والتنائى عنه يحدث سُلُوًّا . وقد تداوينا بكل واحد منهما فلم ينجع ذلك الدواء؛ إلا أنه على الأحوال كلها وجدت قرب الدار منه خيرًا من بعدها عنه !

(١١) المعنى : ومع ذلك فإن قرب الدار لا نفع فيه إذا لم يبق محبوبك على عهده !

(*) قال داود فى تزيين الأسواق : كان واليًا على الصدقات من قِبَلِ مروان أو عبد الملك ، وله صحبة عند الذهبى ، قال : قدمت على بنى عامر لأخذ أموال الصدقات ثم حكى القصة . وقد ذكر صاحب ديوان الحماسة الأبيات (رقم ٢، ٣، ١٠) ضمن مقطوعة عدتها خمسة أبيات نسبها لأبى صخر الهذلى ، ومطلعها :

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الأمر

وقد أورد محقق « شذور الذهب » البيتين الأول والثالث منسوبين لأبى صخر الهذلى بلفظ « فيا هجر .. الخ » ، « ويا حبها » إلخ . وإليك رواية الوالبى ...

الفتى !؛ يا غلامُ اطرح عليه ثوبًا ! » . فقال له بعضُ أصحابه : أتدرى مَن هذا ؟ قال : لا . قالوا : هذا مجنون بنى عامر ! قال نوفل : والله لقد كنت أُحِبّه ، وأُحِبُّ لقاءَه ، فكيف لى بالدُّنُوِّ منه ؟! قيل له : إذا ذكرت له لَيْلَىٰ ، فإنه يأنسُ . فدنا منه وقال : أيها المشْغُوف؛ إن لَيْلَىٰ تقرأ عليك السلام ! فلَمّا ذكرها رجع إليه عقلُه ، وأقبل إليه يحدثه كأصَحّ ما يكون من الرجال ، وهو يبكى ، وينكتُ الأرض بأصبعه ، ويقول :

٨٨ أيا هَجرَ لَيلَىٰ قد بلغتَ بِيَ المدىٰ !!

١ - أَيا هَجرَ لَيْلَىٰ قَد بَلَغتَ بِيَ المَدى ... وَزِدتَ عَلى ما لَم يَكُن بَلَغَ الهَجرُ

٢ - عَجِبتُ لِسَعيِ الدَّهرِ بَينى وَبَينَها ... فَلَمّا ٱنقَضى ما بَينَنا سَكَنَ الدَّهرُ

٣ - فَيا حُبَّها زِدنى جَوًى كُلَّ لَيلَةٍ ... وَيا سَلوَةَ الأَيّامِ مَوعِدُكِ الحَشرُ

٤ - تَكادُ يَدى تَندى إِذا ما لَمَستُها ... وَيَنبُتُ فى أَطرافِها الوَرَقُ الخُضرُ

٥ - وَوَجهٍ لَهُ ديباجَةٌ قُرَشِيَّةٌ ... بِهِ تُكشَفُ البَلوى وَيُستَنزَلُ القَطرُ

٦ - وَيَهتَزُّ مِن تَحتِ الثِّيابِ قَوامُها ... كَما ٱهتَزَّ غُصنُ البانِ وَالفَنَنُ النَّضرُ

٧ - فَيا حَبَّذا الأَحياءُ ما دُمتِ فيهِمُ ... وَيا حَبَّذا الأَمواتُ إِن ضَمَّكِ القَبرُ

٨ - وَإِنّى لَتَعرونى لِذِكراكِ نَفضَةٌ ... كَما ٱنتَفَضَ العُصفورُ بَلَّلَهُ القَطرُ

(٢/٨٨) عجبت لسعى الدهر .. إلخ يجوز أن يريد بسعى الدهر سرعة تقضى الأوقات مدة الوصل بينهما؛ فيكون المعنى : إنى متعجب من الدهر حين أسرع بتقضى الأوقات مدة الوصال بيننا ، فلما انقضى الوصل عاد إلى حالته ، السكون والبطء !؛ وهذه عادتهم فى استقصار أيام الوصل ، واستطالة أيام الفراق !

يجوز أنه يريد « بسعى الدهر » سعاية أهل الدهر بالنمائم والوشايات وأنه لما تحقق مرادهم فيما طلبوه من الفساد بينهما سكنوا ، وكما أراد - على هذا - بسعى الدهر : أهله ، كذلك أراد بسكون الدهر .

(٣) جَوًى : شدةَ وَجْدٍ وعشق ، وحُرْقة القلب ، والمعنى : فياحبها زدنى حرقةً وشدة وجد كل ليلة ، وافعل بى ما تشاء ، ويأيها السلو تباعد عنى ولا تقترب منى فإن الحشر موعد بينى وبينك .

(٥) ديباج الوجه : حسن بشرته ، وكذلك ديباجته ، والقطر : المطر .

(٦) البان : شجر سَبْط القَوام لَيّن ، ورقه كورق الصَّفصاف ، ويشبه به الحسان فى الطول واللين . والفَنَن : الغصن .

(٨) هذا البيت من شواهد النحو التى درسناها فى الصغر وصدره :

*** وإنى لتعرونى لذكراك هِزّة ***

وتعرونى : تصيبنى وتسيطر على وذكراك : تذكرك وخطورك ببالى . و« الهزّة » أو « النفضة » حركة واضطراب . وقد نسبه المحققون إلى أبى صخر الهذلى ، أنشده ابن مالك فى أوضح المسالك (رقم ٢٠٣) ، وهو موجود بقطر الندى (رقم ١٠٢) ، وأنشده ابن عقيل (رقم ٢٠٤) ، وقد جاء شاهدًا لما فقد الاتحاد فى الفاعل فإن فاعل « **تعرونى** » هو الهِزّة ، وفاعل الذكرى هو المتكلم .

٩ - عَسى إن حَجَجنا وَاعتَمَرنا وَحُرِّمَت ... زِيارَةُ لَيلَىٰ أَن يَكونَ لَنا الأَجرُ
١٠ - فَما هُوَ إِلَّا أَن أَراها فُجاءَةً ... فَأُبْهِتَ لا عُرفٌ لَدَيَّ وَلا نُكرُ
١١ - فَلَو أَنَّ ما بى بِالحَصى فَلَقَ الحَصى ... وَبِالصَّخرَةِ الصَّمّاءِ لَانصَدَعَ الصَّخرُ
١٢ - وَلَو أَنَّ ما بى بِالوُحوشِ لَما رَعَت ... وَلا ساغَها الماءُ النَّميرُ وَلا الزَّهرُ
١٣ - وَلَو أَنَّ ما بى بِالبِحارِ لَما جَرى ... بِأَمواجِها بَحرٌ إِذا زَخَرَ البَحرُ

٨٩ إلى الله أشكو !

... قال له نَوْفَل : الحُبُّ صَيَّرَك إلى ما أرى ؟! قال : اللَّهُمّ نعم؛ وسَيَبْلغُ بى أكثرَ مما ترى ، واندفع يُنْشِد :

١ - أَيا حَدَجاتِ الحَيِّ حينَ تَحَمَّلوا ... بِذى سَلَمٍ لا جادَكُنَّ رَبيعُ
٢ - وَخَيماتُكِ اللَّاتى بِمُنعَرَجِ اللِّوى ... بَلِينَ بَلًى مَا إن لَهُنّ رُجُوعُ
٣ - إِلى اللَّهِ أَشكو نِيَّةً شَقَّتِ العَصا ... هِيَ اليَومَ شَتّى وَهْيَ أَمسِ جَميعُ
٤ - فَلَو لَم يَهِجْنى الظَّاعِنونَ لَهَاجَنِى ... نَوائِحُ وُرقٍ فى الدِيارِ وُقُوعُ
٥ - تَداعَينَ فَاستَبكَينَ مَن كانَ ذا هَوى ... نَوائِحُ لا تَجرى لَهُنَّ دُموعُ

(١٠) أُبْهت : من البُهت - بالضم - وهو الحيرة والانقطاع ، والمعنى : وليس حالة حبى إياها إلا أنى أراها بغتة فأدهش وأتحير حتى لا يكون لى علم بالعُرْف والنُّكر !
(١٢) ساغها الماء النمير : طاب ولذّ : والنمير : الناجع .
(١٣) زخر : امتلأ .
(١/٨٩) الحدجات : جمع حِدْج ، وهو مَرْكب من مراكب النساء كالهودج والمِحفة : تحملوا : ارتحلوا . وذو سلم : موضع بالحجاز . وقد أوردها صاحب الأغانى بلفظ : يا حَرجَات الحى حيث تحملوا .وعليه فالحرجات : جمع حرجة ، وهى الغيضة ، وسميت بذلك لضيقها ، وقيل الشجر الملتف ، وهى أيضًا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة ، وهى ما رعى من الجمال . ولا جادكن ربيع : دعاء عليهن بالجفاف والقحط عكس الدعاء بالسُّقيا .
(٢) جاء الشطر الثانى من هذا البيت فى الأغانى بلَفظ « بلين بِلًى لم تبلهن رُبوع » .
(٣) نِيّةٌ : يقال : نَوَى نَوًى ونيةً : تحول من مكان إلى آخر ، والنِّية : البُعد ، ويقال : شطّت بهم نِيّةُ قُذُفُ : رحلة بعيدة وشقت العصا : كناية عن التفرق .
(٤) الظاعنون : المسافرون ، الراحلون ، المفارقون . نوائح وُرْق : جمع ورقاء وهى الحمامات المطوقة تنوح وتبكى فقد إلْفها !
(٥) تداعين : دعت كل واحدة أختها لتشاطرها البكاء وتجمعن .

٦ - لَعَمْرِىَ إِنّى يَومَ جَرعاءِ مالِكٍ لَعاصٍ لِأَمرِ العاذِلينَ مُضيعُ
٧ - وَما كادَ قَلبى بَعدَ أَيّام جاوَزَت إِلَيَّ بِأَجوازِ البَدِيِّ يَريعُ
٨ - وَإِنَّ أَنهِمالَ الدَّمعِ يا لَيلَ كُلَّما ذَكَرتُكِ يَومًا خالِيًا لَسَريعُ
٩ - نَدِمتُ عَلى ما كانَ مِنّى نَدامَةً كَما نَدِمَ المَغبونُ حينَ يَبيعُ
١٠ - لَعَمرُكِ ما شَيءٌ سَمِعتُ بِذِكرِهِ كَبَينِكِ يَأتى بَغتَةً فَيَروعُ
١١ - عَدِمتُكِ مِن نَفسٍ شَعاعًا فَإِنَّنى نَهَيتُكِ عَن هَذا وَأَنتِ جَميعُ
١٢ - وَقَرَّبتِ لى غَيرَ القَريبِ وَأَشرَفَت هُناكَ ثَنايا ما لَهُنَّ طُلوعُ
١٣ - يُضَعِّفُنى حُبَّيكِ حَتّى كَأَنَّنى مِنَ الأَهلِ وَالمالِ التَّليدِ نَزيعُ
١٤ - وَحَتّى دَعانى النَّاسُ أَحمَقَ مائِقًا وَقالوا : تَبوعٌ لِلضَّلالِ مُطيعُ

٩٠ وكيف أُعَزِّى القَلبَ عنها تجلُّدًا ؟!

❁ وقال أيضًا :

١ - خَليلَيَّ هَذا الرَّبعُ أَعلَمُ آيَهُ فَبِاللَّهِ عُوجا ساعَةً ثُمَّ سَلِّما
٢ - أَلَم تَعلَما أَنّى بَذَلتُ مَوَدَّتى لِلَيلَىٰ وَأَنَّ الحَبلَ مِنها تَصَرَّما ؟!

---

(٦) لَعمْرى : قسم . « جرعاء مالك » ذلك المكان الذى لقيه فيه نوفل بن مساحق ووجه إليه اللوم فيه .
(٧) البَدِىّ : قال فى القاموس المحيط : البَدِىّ كرضىّ ، ووادى البدّى : موضع . جاوزت المكان : تعدته وخلفته وراءها؛ والجوز من كل شىء : وسطه ومعظمه . يريع : يعود ويرجع .
(٩) المغبون : المغلوب .
(١٠) كبينك : كبعدك وفراقك . يروع : يُفزع .
(١١) شَعاع : بفتح الشين – مشتتة متفرقة ممزقة . وهو هنا يدعو على نفسه . جميع : متماسكة غير متفرقة .
(١٢) لقد خدعته ، فقربت إليه غير القريب ، وراحت تمنيه بقرب اللقاء ، والثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى الجبل .
(١٣) حُبيك : حُبّى إياك . نزيع : مجرد .
(١٤) أحمق مائِقًا : سيئ التصرف قليل العقل . تبوع للضلال . ضِلّيل . هذا وقد ذكر البيتين (رقم ١٣، ١٤) ، فى المقطوعة (رقم ١ برقم ٢، ٥) فلزم التنويه .
(٩٠/١) الرَّبع : الموضع الذى ينزل فيه زمن الربيع ، والدار ، وما حول الدار والحى كلها تسمى ربعًا . والآية : العلامة والأمارة . عوجا : عَرِّجَا ، وانزلا ثم سلما على الحى وأهله حيث تقيم لَيلَىٰ :
(٢) تصَرّما : انقطع . كناية عن الفرقة والبعد والهجر .

٣ - سَأَلتُكُما بِاللَّهِ لَمّا قَضَيتُما ... عَلَيَّ فَقَد وُلّيتُما الحُكمَ فَاحكُما
٤ - بِجودى عَلى لَيلَىٰ بِوُدّى وَبُخلِها ... عَلَيَّ سَلاها أَيُّنا كانَ أَظلَما ؟!
٥ - أَحِنُّ إِلَيها كُلَّما ذَرَّ شارِقٌ ... كَحُبِّ النَّصارى قُدسَ عيسى ابنِ مَريَما
٦ - فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهِ إِنّى لَصادِقٌ ... لَذِكرُكِ فى قَلبى أَجَلُّ وَأَعظَما
٧ - كَلامُكِ أَشهَى فَاعلَمى لَو أَنالُهُ ... إِلى النَّفسِ مِن بَردِ الشَّرابِ عَلى الظَّما
٨ - وَوَاللَّهِ ما أَحبَبتُ حُبَّكِ فَاعلَمى ... لِنُكرٍ وَلا أَحبَبتُ حُبَّكِ مَأثَما
٩ - لَقَد أَكثَرَ اللُّوّامُ فيكِ مَلامَتى ... وَكانوا لِما أَبدَوا مِنَ اللَّومِ أَلوَما
١٠ - وَقَد أَرسَلَت لَيلَىٰ إِلَىَّ رَسولَها ... بِأَنْ آتِنا سِرًّا إِذا اللَّيلُ أَظلَما
١١ - فَجِئتُ عَلى خَوفٍ وَكُنتُ مُعَوِّذًا ... أُحاذِرُ أَيقاظًا عُداةً وَنُوَّما
١٢ - فَبِتُّ وَباتَت لَم نَهُمَّ بِرِيبَةٍ ... وَلَم نَجتَرِح يا صاحِ وَاللَّهِ مَحرَما
١٣ - وَكَيفَ أُعَزّى القَلبَ عَنها تَجَلُّدًا ... وَقَد أَورَثَت فى القَلبِ داءً مُكَتَّما
١٤ - فَلَو أَنَّها تَدعو الحَمامَ أَجابَها ... وَلَو كَلَّمَت مَيتًا إِذًا لَتَكَلَّما
١٥ - وَلَو مَسَحَت بِالكَفِّ أَعمى لَأَذهَبَت ... عَماهُ وَشيكًا ثُمَّ عادَ بِلا عَمى
١٦ - مُنَعَّمَةٌ تَسبى الحَليمَ بِوَجهِها ... تَزَيَّنُ مِنها عِفَّةً وَتَكَرُّما
١٧ - فَتِلكَ الَّتى مَن كانَ داءً دَواؤُهُ ... وَهاروتُ كُلَّ السِّحرِ مِنها تَعَلَّما

فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تجيءَ مَعِى حتى أقدم بلادك،

---

(٥) ذر شارق: يقال ذرّت الشمس ذُرورًا: ظهرت أول شروقها. كحب النصارى إلخ فيه مغالاة، والمسلمون يحبون جميع الأنبياء على قدم المساواة باعتبارهم بشرًا أرسلهم الله إلى الناس.
(٨) إنه حب طاهر عفيف .. حب روحى لا جسدى .. حب عذرى لا تشوبه شائبة الجنس.
(٩) إن الذين وجهوا إلىَّ اللوم هم أحق منى باللوم.
(١١) معوّذًا: أستعيذ بالله من شر أعدائى الذين فرقوا بينى وبينها أيقاظًا ونائمين!
(١٢) يا صاح: يا صاحبى!. نجترح: نرتكب ونفعل والريبة: الإثم والمعصية. مَحْرما: حراما.
(١٥) وشيكًا: سَريعًا. وهذا من مبالغات الشعراء لو كانوا يعقلون! أما ونحن مع المجنون فاللهم لا لوم!
(١٦) تزين منها: تحسُّنُها وتجمّلها.

وأخطبها لك ، وأرغبهم فى جميع ما يحتاجون إليه ؟! قال : هل أنت فاعل ذلك ؟! قال : نعم ، والله إن خرجت مَعِى لأجهدن ، ولو غرمت فيك ملكى ، وما حوته يدى ! ثم أمر به فأُدْخِل الحَمّام ، وأمر بالحجّام فأخذ شعره ، وغير حُلَّته وكساه كسوةً فاخرة ! فلما خرج « نوفل » أخرج المجنون معه ، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك؛ فتلقوه بالسلاح الشاكى[1] ، وقالوا : « والله لا يدخُلُ المجنون منزلنا أبدًا ، وقد أهدر السلطان[2] دمه ! ! » وأقبل عليهم نوفل ، وأدْبَر ، فأبَوْا إلا المحاربة ، وتشمروا للمقارعة[3] ! فلما رأى نوفل ذلك ، قال : « انصرِفْ؛ فإن الأمرَ عندهم لَصَعْبٌ ! » .

٩١ أُحِبُّ السبتَ من كَلَفى بليلى !

... فانصرف المجنون عنه بخيبة ، وقد كان أمَرَ له « نوْفَل » بقلائص ، فردها عليه ، وقال : ما وفيتَ لى بالعَهد - ثلاثًا - ، وأنشأ يقول :

١ - رَدَدتُ قَلائِصَ القُرَشِيِّ لَمّا ... رَأَيتُ النَّقضَ مِنهُ لِلعُهودِ

٢ - وَراحوا مُقصِّرينَ وَخَلَّفونى ... إلى حزنٍ أُعالِجُهُ شَديدِ

٣ - أُحِبُّ السَّبتَ مِن كَلَفى بِلَيْلَىٰ ... كَأَنّى يَومَ ذاكَ مِنَ اليَهودِ

سَبَبُ تَوَحُّشِ المَجنون

وحُدِّثتُ عن أبى عمرو الشيبانى قال : كان سببُ توحُّشِ المجنون أنه كان ذات يومٍ بقرية ، فناداه منادٍ ، وهو يقول :

---

(١) شاكى السلاح : تام السلاح .

(٢) أحَلّ قتله بلا قِصاص أو دية .

(٣) المقارعة : المقاتلة .

(١/٩١) القلائص : جمع قَلوص؛ من الإبل الفتية المكتملة التى لم تتجاوز التاسعة من حين ركوبها .

(٢) الحَزْن - بفتح الحاء وسكون الزاى : المكان الخَشِن الغليظ . والحُزن : الأسى . أعالجه : أعانيه .

(٣) كَلفى : تعلقى وهيامى ، والسبت - كما هو معروف - عيد اليهود ، كالجمعة عندنا ، والأحد عند النصارى ، أما وقد جعل الله لنا عيدًا ، فلا نتشبه بهم فى طقوسهم . ولا عليه ، فالشعراء يقولون ما لا يفعلون .

٩٢ كِلَانَا يا أُخَيَّ نُحِبُّ لَيْلَى

١ - كِلانا يا أُخَيَّ نُحِبُّ لَيْلَىٰ ... بِفِيَّ ، وفيكَ مِنْ لَيْلَىٰ التُّرابُ

٢ - لَقَدْ خَتَلَتْ فُؤَادَكَ ثم بانَتْ ... بِقَلْبِي؛ فهو مَهْمُومٌ مُصَابُ

قال : فتنفس الصّعْداء ، وغُشِيَ عليه ساعة ، فكان سببَ توحُّشه - هذه الأبيات .

٩٣ فيا ليتَ أحلامَ المَنامِ يقين !!

قال أبو بكر الوالبى : لما انصرف المجنون عن « نوفل » بخيبة ، وأبى أهلُها أن يزوجوها منه ، مَرّ على وجهه ، والصّبيان يصيحون : من أراد أن يرى عاشقًا سمينًا ، فلينظر إلى هذا ! ! فأنشأ يقول :

١ - أَرى النَّاسَ أَمّا مَن تَجَدَّدَ وَصلُهُ ... فَغَثٌّ وَأَمّا مَن خَلا فَسَمينُ

٢ - تُخَبِّرُني الأَحلامُ أَنّي أَراكُمُ ... فَيا لَيتَ أَحلامَ المَنامِ يَقينُ

٣ - شَهِدتُ بِأَنّي لَم أَخُنكِ مَوَدَّةً ... وَأَنّي بِكُم حَتّى المَماتِ ضَنينُ

٤ - وَأَنَّ فُؤادى لا يَلينُ إِلى هَوًى ... سِواكِ وَإِن قالوا بَلىٰ سَيَلينُ

٩٤ عَبَرَاتُ المُحِبِّ كيف تراها ؟!

❁ وقال :

١ - أَنفُسُ العاشِقينَ لِلشَّوقِ مَرضى ... وَبَلاءُ المُحِبِّ لا يَتَقَضّى

٢ - عَبَراتُ المُحِبِّ كَيفَ تَراها ... بَعضُها يَستَحِثُّ فى الخَدِّ بَعضا

٣ - لَيسَ يَخلو أَخو الهَوى أَن تَراهُ ... كُلَّ يَومٍ يُلامُ أَو يَتَرَضّى

(١/٩٢) بِفِيّ وفيك من لَيْلَىٰ التراب؛ أى : الرفض ، وعدم القبول .

(٢) ختلت : خدعت وراوغت وغررت . بانت بقلبى : قطعت صلتها به أيضًا .

(١/٩٣) الغَثُّ : النحيف خلاف السمين ، ويقال : هو لا يعرف الغَثّ من السمين .

(٣) لم أخنك مودة : أى لم أخن مودتك ، ضنين : شحيح .

(١/٩٤) البلاء : المحنة ، والغم والحزن . لا يتقضّى : لا ينقضى ولا يتوقف عند حد .

(٢) يستحث : يدفع ، أى أنها تتوالى ، وتتابع ، ولا تتوقف .

(٣) يلام من العوازل ، ويَتَرضّى محبوبه كى ينال رضاه .

٤ - باكِيًا ساهِيًا نَحيلًا ذَليلًا لَيسَ يَهدا وَلَيسَ يَطعَمُ غَمضا

٩٥ أَلَا لَيتَنَا .. !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَلا لَيتَنا كُنّا غَزالَينِ نَرتَعى رِياضًا مِنَ الحَوْذانِ فى بَلَدٍ قَفرِ
٢ - أَلا لَيتَنا كُنّا حَمامَى مَفازَةٍ نَطيرُ وَنَأوى بِالعَشِيِّ إِلى وَكرِ
٣ - أَلا لَيتَنا حُوتانِ فى البَحرِ نَرتَمى إِذا نَحنُ أَمسَينا نُلَجِّجُ فى البَحرِ
٤ - وَيا لَيتَنا نَحيا جَميعًا وَلَيتَنا نَصيرُ إِذا مِتنا ضَجيعَينِ فى قَبرِ
٥ - ضَجيعَينِ فى قَبرٍ عَنِ النّاسِ مُعزَلٍ وَنُقرَنُ يَومَ البَعثِ وَالحَشرِ وَالنَّشرِ

٩٦ ألا ليتَ لحدَك كان لَحدى(*) !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَرِقتُ وَعادَنى هَمٌّ جَديدُ فَجِسمى لِلهَوى نِضوٌ بَليدُ
٢ - أُراعى الفَرقَدَينِ مَعَ الثُّرَيّا كَذاكَ الحُبُّ أَهوَنُهُ شَديدُ
٣ - عَلِقتُ مَليحَةَ الخَدَّينِ وَردًا تُشابِه حُسنَ مَطلَعِها السُّعودُ
٤ - أَهيمُ بِذِكرِها وَأَظَلُّ صَبًّا وَعَينى بِالدُّموعِ لَها تَجودُ
٥ - أَلا يا لَيتَ لَحدَكِ كانَ لَحدى إِذا ضَمَّت جَنائِزَنا اللُّحودُ

---

(٤) ليس يطعم غمضًا : لا يذوق النوم .

(١/٩٥) هذه أمنيات عاشق كم يَوَدّ أن تتحقق : إنه يتمنى لو كان هو ولَيْلَىٰ غزالين يرعيان معًا بعيدًا عن الناس . رياضًا من الحوزان وهو نبت طيب الطعم .

ويتمنى أن يكونا حمامتين فى صحراء تطيران وتأويان إلى عش معًا . ويتمنى أن يكونا حوتين فى بحر يخوضان لجة البحر معًا .

وأخيرًا يتمنى ألا يفترقا فى حياة أو موت ! بعيدًا عن الناس ، ولا تتوقف أمنياته على الدنيا بل يتمنى أن تكون رفيقته يوم البعث والحشر والنشر .

(*) اللحد : الشق يكون فى جانب القبر للميت .

(١/٩٦) أرِقْت : أصابنى الأرق ، وحلّ بى الهم ، عادنى : زارنى كالعائدات اللاتى يعدن المريض . نِضْوٌ : يقال : فلان نضو سفر : مُجْهد من السفر .

٩٧ عفا الله عن ليلى !

❁ قال : فبينا هو ذات يوم يدور إذْ أبصر سِرْبًا من الظباء(*) فأنشأ يقول :

١ - أَأَتْرُكُ لَيْلَىٰ لَيسَ بَينى وَبَينَها ... سِوى لَيلَةٍ إِنّى إِذًا لَصَبورُ

٢ - هَبونى امْرَأً مِنكُم أَضَلَّ بَعيرهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمامَ كَبيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبُ المَتروكُ أَعظَمُ حُرمَةً ... عَلى صاحِبٍ مِن أَن يَضِلَّ بَعيرُ

٤ - عَفا اللَّهُ عَن لَيْلَىٰ الغَداةَ فَإِنَّها ... إِذا وَلِيَت حُكمًا عَلَيَّ تَجورُ

٥ - فما أكثرَ الأخْبَارَ أن قَدْ تزوَّجَتْ ! ... فهل يَأْتِينِّى بالطلاق بَشِيرُ ؟!

خروج المجنون مع أبيه فى عِدّةٍ من عشيرته

❁ وقيل : خرج الملوّح أبو المجنون فى عِدّةٍ من عشيرته ، ومعه المجنون ، وذلك قبل أن يفشُوَ أمْرُه ، فمَرّ بوادٍ يُقَالُ له : « البلاكث » فبينما هم فى سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم - كان يأنسُ به ، ويُفْشى سره إليه : ويْحَك !؛ إنى ذكرْتُ لَيْلَىٰ ، ولابُدّ - والله - من الانصراف؛ فإن نفسى تكاد تهلِكُ شوقًا إليها ! ! فناشده؛ فأبى ، فقال : استأذن أباك ! فقال : إذن لا يأذَنُ لى ، ولكن أنا منصرفٌ وحدى ! قال : وأنا معك؛ ولكنى أُعْلِمُ أخى؛ فأعلَمه؛ فقال : وأنا معكما ! فتخلفوا - كأنهم يقضون حاجة- ، ثم عبروا وحولوا رءوس إبلهم . وقال :

٩٨ قلت : لَبَّيكِ !

١ - بَينَما نَحنُ بِالبَلاكِثِ بِالقا ... عِ سِراعًا وَالعِيسُ تَهوى هُوِيّا

(*) جاء فى « تزيين الأسواق » فى مناسبة هذه الأبيات أنه خرج فى سفر مع قوم ، فأفضت به الطريق إلى مسلكين : أحدهما يمر برهط لَيْلَىٰ ، ولكنه يَزِيدُ مرحلة ، فتقدم إلى القوم ، وسألهم أن يسلكوها ، أو يمكثوا له حتى يرجع ، فأبوا عليه ، فقال : أنشدكم الله ! لو أن شخصًا تحرّم بكم فضلّ بعيره ، أكنتم تسعفونه؟ قالوا : نعم . فقال : إن لَيْلَىٰ لأعظم من ذلك ! وروى صدر البيت الثالث بلفظ :

* وللصاحبُ المبرور أعظم حرمةً *

(٢/٩٧) أضلّ : فقده أو ضَيعه . له ذِمّة : حق وحرمة ، وجمعها : ذمام .

(٣) والصاحب المتروك؛ يعنى : لَيْلَىٰ ، أعظم حرمة على صاحبه من ضلال البعير ! (٤) تجور : تظلم .

(١/٩٨) ذكر ابن قتيبة أن هذه الأبيات من الشعر المنحول الذى يشبه شعر المجنون ، ونسب هذه الأبيات الثلاثة إلى أبى بكر عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة - (فى الشعر والشعراء) . وكذلك نسبها أبو تمام إليه فى حماسته .

٢ - خَطَرَت خَطرَةٌ عَلى القَلبِ مِن ذِكـ ـرَاكِ وَهنًا فَما اسْتَطَعتُ مُضِيّا
٣ - قُلتُ لَبَّيكِ إِذ دَعانى لَكِ الشَّو قُ وَلِلحادِيَينِ كَرُّ المَطِيّا

٩٩ مُعَذِّبتى، لولاك ماكنت سائلاً ..

❁ قال الوالبى : فلَمّا طارَ به الوَجْد ، ولم يقدِر على النظر ، خرج متنكّرًا يريد « حَيَّ لَيْلَىٰ » ، فلما انتهى إلى قرب الحَيّ بقى متحيِّرًا لم يَدْر كيف يحتال ، ويصنع فى دخول الحى ؟! عسى أن ينظرَ إليها نظرة ، فبينما هو كذلك إذْ رأى عجوزًا معها سائِلٌ فى عنقه سِلْسِلَةٌ ، تدور به على الأبواب ! فقال : يا عجوزُ !؛ ما تريدين من هذا السائل ؟ قالت : نِصف ما يأخذ ! قال : ضَعِى هذه السِّلْسِلَةَ على عُنُقِى ، وخُذى ما عَلَىَّ من الثياب ! فوضعتها على عُنُقِه ، وأقبلت تدور به على الأبواب ، والصِّبيان يرمونه بالحجارة ، ويَصيحون بالكلاب عليه ! فلما صار قريبًا من خِبَاءِ لَيْلَىٰ أنشد يقول :

١ - هَنيئًا مَريئًا ما أَخَذتِ وَلَيتَنى أَراها وَأُعطى كُلَّ يَومٍ ثِيابِيا
٢ - وَيا لَيتَها تَدرى بِأَنِّى خَليلُها وَإِنّى أَنا الباكى عَلَيها بُكائِيا
٣ - خَليلَيَّ لَو أَبصَرتُمانى وَأَهلُها لَدَيَّ حُضورٌ خِلتُمانى سوائِيا
٤ - وَلَمّا دَخَلتُ الحَيَّ خَلَّفتُ مُوقِدى بِسِلسِلَةٍ أَسعى أَجُرُّ رِدائِيا
٥ - أَميلُ بِرَأسى ساعَةً وَتَقودُنى عَجوزٌ مِنَ السُّؤَّالِ تَسعى أَمامِيا

= والبلاكث : قارة عظيمة فوق « ذوى المروة » ، وهى عيون ونخل لقريش . والْهوِىّ؛ - بفتح الهاء وضمها - مصدر « هوى يَهْوِى » أى سقط من فوق إلى أسفل ، والبيت فى اللسان ٢: ٢٢٤، ونسبه لبعض القرشيين .

(٢) الوَهْنَ : نحو من نصف الليل ، أو ساعة تمضى من الليل .

(٣) فى ياقوت : « حث المطيا » وفى الحماسة « حُثَّا المطيا » . والحث : الحَضُّ ومعنى الأبيات الثلاثة :

بينما نحن نسير فى هذين الموضعين ، والإبل تنقض بنا ساقطة من أعلى إلى أسفل إذ فاجأتنى حالة من ذكراك بعد مضى وقت من الليل فلم أقدر على السير لشدة ما لحقنى من الوجد ، ولما فاجأتنى تلك الخطرة ، ودعانى داعى الشوق لك ، قلت : لبيك ، وقلت للحادين : أسرعا بالمطِىّ . وحثاها على السير .

(١/٩٩) فى البيت الأول يخاطب العجوز سعيدًا بما أعطاها ، ويتمنى لو يراها كل يوم ، فليس كثيرًا أن يخلع عليها ثيابه فى سبيل رؤية لَيْلَىٰ ! وهنيئًا : دعاء لها أن يكون طعامها سائغًا لذيذًا ، ويقال : هَنَأنى الطعام ومَرَأنى [على الإتباع] . وطعام مرىء : هنىء : حميد المغبّة ، وفى التنزيل العزيز ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء : ٤] .

(٣) خلتمانى : ظننتمانى . سِوائِيًا : شخصًا آخر غيرى .

(٤) خلفت : تبعت وسرت خلف من يقودنى . (٥) السُّؤَّال : جمع سائل .

٦ - وَقَد أَحدَقَ الصِّبيانُ بى وَتَجَمَّعوا ... عَلَيَّ وَشَدّوا بِالكِلابِ ضَوارِيا
٧ - نَظَرتُ إِلى لَيْلَىٰ فَلَم أَملِكِ البُكا ... فَقُلتُ ٱرحَموا ضَعفى وَشِدَّةَ ما بِيا
٨ - فَقامَت هَيُوبًا وَالنِّساءُ مِنَ ٱجلِها ... تَمَشَّينَ نَحوى إِذ سَمِعنَ بُكائِيا
٩ - مُعَذِّبَتى لَولاكِ ما كُنتُ سائِلًا ... أَدورُ عَلى الأَبوابِ فى النَّاسِ عارِيا
١٠ - وَقائِلَةٍ : وا رَحمَةً لِشَبابِهِ ... فَقُلتُ : أَجَل ، وا رَحمَةً لِشَبابِيا
١١ - أَصاحِبَةَ المِسكينِ ماذا أَصابَهُ ... وَما بالُهُ يَمشى الوَجى مُتَناهِيا ؟
١٢ - وَما بالُهُ يَبكى فَقالَت لِما بِهِ ... أَلا إِنَّما أَبكى لَها لا لِما بِيا
١٣ - بَنى عَمِّ لَيْلَىٰ مَن لَكُم غَيرَ أَنَّنى ... مُجيدٌ لِلَيْلَىٰ ـ ما حَيِيتُ ـ القوافيا
١٤ - وَدِدْتُ ـ على طِيبِ الحياة ـ لَوَ انَّها ... يُزادُ لِلَيْلَىٰ عُمْرُها من حياتِيَا
١٥ - فَما زادَنى الواشونَ إِلَّا صَبابَةً ... وَما زادَنى الناهونَ إِلَّا أَعادِيا
١٦ - فَيا أَهلَ لَيْلَىٰ كَثَّرَ اللَّهُ فيكُمُ ... مِنَ ٱمثالِها حَتّى تَجودوا بِها لِيا
١٧ - فَما مَسَّ جَنبى الأَرضَ حَتّى ذَكَرتُها ... وَإِلَّا وَجَدتُ ريحَها فى ثنائيا !

١٠٠ وقالوا : دواءُ الحبِّ غالٍ !!

... فلما فَرَغَ من شعره ، مَرّ عَلى وجْهه عُرْيانًا لا يَلْوِى(*) على شىء ، فمَرّ بطبيبين ، وهما على قارعة الطريق(*)؛ فدنا منهما ، وقال : هل فيكما من يداوينى ؟ قالا : من أنت ؟ قال : المجنون المستَهامُ ! قالا : ما للعُشّاق عندنا دواءٌ هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جَنْبِه ! ! ، فقال :

---

(٦) الضوارى : جمع ضارٍ والضارى من الجوارح والكلاب : المدرب على الصيد ، ومن السباع : المولع بأكل اللحم .

(٨) هَيُوبًا : شديدة الخوف والحذر .

(١١) الوَجَى : الحَفَا أو أشد منه ، متناهيًا : بالغًا نهاية السوء .

(١٣) القوافى : الشِّعر .

(١٧) فى ثنائيا : فى طيات ثيابى .

(*) لا يلوى على شىء : لا يقيم ولا ينتظر .

(*) قارعة الطريق : وسطه .

١ - طَبيبانِ لَو داوَيتُمانى أُجِرتُما فَما لَكُما تَستَغنِيانِ عَنِ الأَجرِ
٢ - فَقالا - بِحُزنٍ - ما لَكَ اليَومَ حيلَةٌ فَمُت كَمَدًا أَو عَزِّ نَفسَكَ بِالصَّبرِ
٣ - وَقالا دَواءُ الحُبِّ غالٍ وَداؤُهُ رَخيصٌ وَلا يُنبيكَ شَيءٌ كَمَن يَدرى
٤ - فَما بَرِحا حَتّى كَتَبتُ وَصِيَّتى وَنَشَّرتُ أَكفانى وَقُلتُ اُحفِرا قَبرى
٥ - فَما خَيرُ عِشقٍ لَيسَ يَقتُلُ أَهلَهُ كَما قَتَلَ العُشّاقَ فى سالِفِ الدَّهرِ
٦ - أَلا حَبَّذا البيضُ الأَوانِسُ كَالدُّمى وَإِن كُنَّ يُسكِرنَ الفَتى أَيَّما سُكرِ

♡ المجنون مع الغربان، والطير، والحمائم، وأسراب القطا !!

❁ قال : فما مَضَى إلا قليل؛ إذْ هو بغُرَابٍ ساقطٍ على شجرة يَنْعَق ، فدنا منه ، وقال :

١٠١ أَلا يا غُرابَ البينِ هيجتَ لوعتى !

١ - أَلا يا غُرابَ البَينِ هَيَّجتَ لَوعَتى فَوَيحَكَ خَبِّرنى بِما أَنتَ تَصرُخُ
٢ - أَبِالبَينِ مِن لَيلَىٰ فَإِن كُنتَ صادِقًا فَلا زالَ عَظمٌ مِن جَناحِكَ يُفسَخُ
٣ - وَلا زالَ رامٍ فيكَ فَوَّقَ سَهمَهُ فَلا أَنتَ فى عُشٍّ وَلا أَنتَ تُفرِخُ

(١/١٠٠) أجرتما : كان لكما الأجر .

(٢) كمدًا : حزنًا شديدًا ، أو كاتمًا أحزانك .

(٣) يُنبيك : ينبئك ويخبرك مثل خبير .

(٦) البيض : جمع بيضاء ، والأوانس : جمع آنسة بمعنى مؤنسة . والدُّمى : جمع دمية ، وهى الصورة الممثلة من العاج وغيره ، يضرب بها المثل فى الحسن .

(١/١٠١) البَين الفراق ، وكانوا يتشاءمون بالغراب ، والبوم ، وما أشبه .. ولكن الإسلام علمنا ألا نتشاءم ، فالتشاؤم قوة مثبطة ، ولم يمنعنا أن نتفاءل ، فالتفاؤل قوة دافعة إلى العمل ، وفى العمل حياة . واللوعة : الحُرقة والمرض ، يقال : لاعَ الحب فلانًا : أمرضه ، فالحب لائع ، ويقال : لاعه الهم والحزن والشوق : أحرقه . فويحك : كلمة ترحم وتوجع ، وقيل : هى بمعنى ويل ، ويقال : ويحٌ له ، وويحًا له ، وويحه ! . والمناسب هنا أن تكون بمعنى ويل !

(٢) لازال عظم : دعاء عليه بتفسخ عظامه عقابًا له على تلك الأخبار السيئة التى صرخ بها !

(٣) وهنا يدعو عليه بأن يبتليه الله بصائد يُفَوِّق سهمَه ويعده فيحول بينه وبين الأمن والاستقرار فى عشه ، والعيش هانئًا مع فراخه من الغربان الصغار ! ويقال : فَوَّق سهمه : عمل له فُوقًا ، وللسهم فُوقَان يثبت الوتر منهما .

٤ - وَلا زِلتَ عَن عَذبِ المِياهِ مُنَفَّرًا ... وَوَكرُكَ مَهدومًا وَبَيضُكَ يُرضَخُ
٥ - فَإِن طِرتَ أَردَتكَ الحُتوفُ وَإِن تَقَع ... تَقَيَّضَ ثُعبانٌ بِوَجهِكَ يَنفُخُ
٦ - وَعايَنتَ قَبلَ المَوتِ لَحمَكَ مُشدَخًا ... عَلى حَرِّ جَمرِ النارِ يُشوى وَيُطبَخُ
٧ - وَلا زِلتَ فى شَرِّ العَذابِ مُخَلَّدًا ... وَريشُكَ مَنتوفٌ وَلَحمُكَ يُشرَخُ

١٠٢ أقول وقد صاح الغراب !

❁ وقال :

١ - أَقولُ وَقَد صاحَ ٱبنُ دَأيَةَ غُدوَةً ... بِبُعدِ النَّوى لا أَخطَأَتكَ الشَّبائِكُ
٢ - أَفى كُلِّ يَومٍ رائِعى أَنتَ رَوعَةً ... بِبَينونَةِ الأَحبابِ إِلفُكَ فارِكُ ؟!
٣ - وَلا بِضتَ فى خَضراءَ ما عِشتَ بَيضَةً ... وَضاقَت بِرَحبِها عَلَيكَ المَسالِكُ
٤ - وَفارَقتَ أُمَّ الأَفرُخِ السُّوءِ عَن قِلًى ... وَناحَت عَلى ٱبنَيكَ الضَّروسُ المُماحِكُ
٥ - وَأَصبَحتَ مِن بَينِ الأَحِبَّةِ هالِكًا ... كَما أَنا مِن بَينِ الأَحِبَّةِ هالِكُ

---

(٤) ومازال الدعاء مستمرًا على الغراب بأن يسلط الله عليه من يحول بينه وبين عذب المياه ، ويكسر بيضه حتى تنقطع ذريته فلا يفرخ .

(٥) وهكذا يريد له أن يحاصر بمن يقضى عليه إن هو طار ، وإن هو وقع ونزل وهبط إلى الأرض .

والحُتوف : جمع حتف وهو الهلاك والموت ، وأردتك : صرعتك . تقع : تنزل وتحط ، تقيض : تهيأ وتقدر وتسبب .

(٦) ما زال مسلسل الدعاء متتابعًا مع الأبيات . عاينت رأيت بعينيك ، عيانًا . مُشدخا : مكسّرًا مقطَّعًا ممزَّقًا .

(٧) يشْرَخ : يُشَقّ .

(١٠٢/١) ابن دأية : الغُراب ، وقيل له : ابن دأية؛ لكثرة وقوعه على « دأية البعير » وهى الجرح الذى ينشأ فى ظهر البعير بسبب وضع الرّحل عليه . إنه يدعو عليه ألا يفلت من شباك الصائدين .

(٢) رائعى : مرَوِّعى ومُفزعى – بينونة : فراق وهجر وبعد . إلف : حبيب وأليف . فارك : كاره ومُبغض .

(٤) يدعو عليه بالفرقة ، فلا يهنأ « بأم فراخه » ويا لها من أفرخ سوء كأبيها .. كلها شؤم ! والقِلَى : الكراهية .. أى فراقًا بلا رجعة . والضَّروس : العَضُوض ، ويقال : ناقة ضروس : سيّئة الخلق تعضّ حالبها أو من يقرب من ولدها ، وحرب ضروس : شديدة مهلكة . المماحك : اللجوج فى المنازعة .

١٠٣ أَمِنْ أَجْلِ غِربانٍ تَصايَحْنَ دمعُكَ سافِحُ ؟!

❁ وقال :

١ - أَمِن أَجلِ غِربانٍ تَصايَحنَ غُدوَةً ... بِبَينونَةِ الأَحبابِ دَمعُكَ سافِحُ

٢ - نَعَم جادَتِ العَينانِ مِنّي بِعَبرَةٍ ... كَما سَلَّ مِن نَظمِ اللَّآلى تُطارِحُ

٣ - أَلا يا غُرابَ البَينِ لا صِحتَ بَعدَهُ ... وَأَمكَنَ مِن أَوداجِ حَلقِكَ ذابِحُ

٤ - يَرُوعُ قُلوبَ العاشِقينَ ذَوى الهَوى ... إِذا أَمِنوا الشَحاجَ أَنَّكَ صائِحُ

٥ - وَعَدٌّ سَواءَ الحُبِّ وَاتْرُكهُ خالِيًا ... وَكُن رَجُلًا وَاجمَح كَما هُوَ جامِحُ

١٠٤ ألا يا حمامات الحِمَى !

... ثم مضى على وجهه !؛ فبينما هو يدور إذْ مَرّ بأطيارٍ على أشجار ، يحارب بعضها بعضًا ويهدرْن(*) ! ، فدنا منهن وقال :

١ - أَلا يا حَماماتِ الحِمى عُدنَ عَودَةً ... فَإِنّي إِلى أَصواتِكُنَّ حَنونُ

٢ - فَعُدنَ فَلَمّا عُدنَ عُدنَ لِشِقوَتي ... وَكِدتُ بِأَسرارٍ لَهُنَّ أُبينُ

٣ - وَعُدنَ بِقَرقارِ الهَديرِ كَأَنَّما ... شَرِبنَ مُدامًا أَو بِهِنَّ جُنونُ

(١٠٣/١-٢) فى هذين البيتين حوار داخلى بينه وبين نفسه حول تلك الدموع المسفوحة لا لشىء إلا لأن الغربان تصايحن بفراق من تهوى . وفيهما عتاب مُرّ ، واعتراف بما كان من عبرات هى أشبه ما تكون بحبات عقد من لؤلؤ انفرطن ، وانتزعن برفق . تطارح : تطرحها وتلقيها ، وتسفحها .

(٣) الأوداج : جمع ودَج ، وهو الذى يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة . وهما ودَجان .

(٤) يَرُوع : يفزع . وقلوب العاشقين مروّعة ، وأنك صائح ، أى صياحك هو مصدر فزعهم ، وفاعل الفزع . والشحاجُ : الأصوات المفزعة ، والشاحج : البغل والحمار ، ويقال : شحج الغراب : إذا أسن وغلظ صوته فهو شاحج وشحّاج .

(٥) سواء الحب : ما يشينه ويقبحه . واجمح : اركب هواك .

(*) الهدير : يقال : هدر البعير أو الحمام هَدْرًا وهديرًا : ردّدَ صوته فى حنجرته .

(١٠٤/١) إنه يطلب إليهن أن يعدن إلى سالف عهدهن من التآلف فإنه شديد الحنان إلى أصواتهن المليئة بالشجن والحنان والشوق .

(٢) ولكن سرعان ما حركن مواجعه بعودتهن ، وكاد يكشف لهن عما كان يخفيه من حنين وشوق إلى لَيْلَى .

(٣) لقد عدن يردّدن ويَرجّعن وكأنهن سُكارى أو حل بهن جنون ، والقرقرة : الضحك إذا استُغْرِبَ فيه ورُجّع وهدير البعير ، والاسم القَرْقار ، وصوت الحمام قرقرة ، وقرقرير نادر [اللسان] .

٤ - فَلَم تَرَ عَيني مِثلَهُنَّ حَمائِمًا ... بَكَينَ فَلَم تَدمَع لَهُنَّ عُيونُ

٥ - وَكُنَّ حَماماتٍ جَميعًا بِعَيْطَلٍ ... فَأَصبَحنَ شَتّى ما لَهُنَّ قَرينُ

٦ - فَأَصبَحنَ قَد قَرقَرنَ إِلَّا حَمامَةً ... لَها مِثلَ نَوحِ النّائِحاتِ رَنينُ

٧ - تُذَكِّرُني لَيْلَىٰ عَلى بُعدِ دارِها ... رَواجِفُ قَلبٍ باتَ وَهوَ حَزينُ

٨ - إِذا ما خَلا لِلنَّومِ أَرَّقَ عَينَهُ ... نَوائِحُ وُرقٍ فَرشُهُنَّ غُصونُ

٩ - تَداعَينَ مِن بَعدِ البُكاءِ تَأَلُّقًا ... فَقَلَّبنَ أَرياشًا وَهُنَّ سُكونُ

١٠ - فَيا لَيتَ لَيْلَىٰ بَعضُهُنَّ وَلَيتَني ... أَطيرُ وَدَهري عِندَهُنَّ رَكينُ

١١ - أَلا إِنَّما لَيْلَىٰ عَصا خَيزُرانَةٍ ... إِذا غَمَزوها بِالأَكُفِّ تَلينُ

١٠٥ أَغَرَّكِ ياحَمامَاتِ طَريقٌ ؟!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَجِدَّكِ يا حَماماتِ بِطَوقٍ ... فَقَد هَيَّجتِ مَشغوفًا حَزينا

---

(٥) لقد كن مجتمعات فوق شِمْراخ من شَماريخ نخلة فأصبحن متفرقات ، والعيطل كحيدر : شمراخ من طلع فُحَال النحل .

(٦) إن رنين صوتها الحزين مثل نوْح النائحات يحرك مواجعى !

(٧) إنها تذكرنى لَيْلَىٰ - على الرغم من بعد دارها - ورواجف جمع راجفة ويقال : رجف رجْفًا ورجَفَانا : تحرك واضطرب اضطرابًا شديدًا .

(٨) نوائح وُرق : جمع ورقاء ، والمراد : حمامات نائحات على فقد الأليف .

(٩) تداعين : دعت كل واحدة منهن أليفها ، وقلّبن أرياشهن - وهن فى مكانهن - كلون من الإغراء ولفت النظر والتحبب والتودد .

(١٠) ركين : رزين وقور .

(١١) الخيزُران : كلُّ عودٍ ليّن ، وجنس نباتات من الفصيلة النجيلية ، لين القضبان ، أملس العيدان ، ويقال فى إبراز جمال القد : كأن قَدَّهَا غُصْنُ بان ، أو قضيبُ خيزُران . غمزوها : جَسُّوها .

(١٠٥/١) جاء فى لسان العرب؛ قال أبو عمرو : أجِدَّكَ ، وأجَدَّك معناهما : أجِدًّا منك؟ ونصبهما على المصدر . قال الجوهرى : معناهما واحد ، ولا يتكلم به إلا مضافًا . وقال الأصمعى : أجِدّك معناه : أبِجِدٍّ هذا منك؟ ! ونصبهما بطرح الباء . الليث : من قال : أجدّك - بكسر الجيم - فإنه يستحلفه بجده وحقيقته ، وإذا فتح الجيم استحلفه بجَدّه وهو بخته . قال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك : أجِدّك ، فهو بالكسر ، فإذا أتاك بالواو وَجَدّك فهو بالفتح . والمشغوف : الذى وصل الحب إلى شغاف قلبه . وأولع بمن أحبه .

٢ - أَغَرَّكِ يا حَماماتِ بِطَوقٍ ... بِأَنّى لا أَنامُ وَتَهجَعينا ؟!
٣ - وَأَنّى قَد بَرانى الحُبُّ حَتّى ... ضَنِنتُ وَما أَراكِ تَغَيَّرينا ؟!
٤ - أَرادَ اللَّهُ مَحلَكِ فى السُّلامى ... إِلى مَن بِالحَنينِ تَشَوَّقينا ؟!
٥ - وَلَستِ وَإِن حَنَنْتِ أَشَدَّ وَجدًا ... وَلَكِنّى أُسِرُّ وَتُعلِنينا
٦ - وَبى مِثلُ الَّذى بِكِ غَيرَ أَنّى ... أَحُلُّ عَنِ العِقالِ وَتَعقِلينا
٧ - أَما وَاللَّهِ غَيرَ قِلًى وَبُغضٍ ... أَصُدُّ وَلَم أَزَل جَزِعًا حَزينا
٨ - لَقَد جُعِلَت دَواوينُ الغَوانى ... سِوى ديوانِ لَيلَىٰ مُمحَلِينا
٩ - فَقِدمًا كُنتِ أَرجى النّاسِ عِندى ... وَأَقدَرَهُم عَلى ما تَطلُبينا
١٠ - أَلا لا تَنسِيَن رَوعاتِ قَلبى ... وَعِصيانى عَلَيكِ العاذِلينا

١٠٦ أإن سَجَعتْ فى بَطْنِ وادٍ حمامةٌ

وقال :

١ - أَإِن سَجَعَت فى بَطنِ وادٍ حَمامَةٌ ... تُجاوِبُ أُخرى دَمعُ عَينِكَ دافِقُ
٢ - كَأَنَّكَ لَم تَسمَع بُكاءَ حَمامَةٍ ... بِلَيلٍ وَلَم يَحزُنكَ إِلفٌ مَفارِقُ
٣ - وَلَم تَرَ مَفجوعًا بِشَيءٍ يُحِبُّهُ ... سِواكَ وَلَم يَعشَق كَعِشقِكَ عاشِقُ

---

(٢) وتهجعين : تنامين ليلًا .
(٣) برانى : هزلنى ، وأنحل جسمى . ضَنِنت : اشتد مرضى حتى نحل جسمى . تَغيّرينا : تَتَغَيَّرين .
(٤) المَحل : الشِّدَة . والسُّلامَى : عظام الأصابع فى اليد والقدم . تشوقينا : تتشوقينا .
(٦) العِقال : القيد . (٧) القِلى : الكراهية والبغض . أصُدّ : أعرض .
(٨) الدواوين : جمع ديوان ، وهو السجل والكتاب . والغوانى : جمع غانية ، وهى التى استغنت بجمالها عن الزينة . يمحينا : يزلن .
(٩) قِدْمًا : القِدْمُ من أسماء الزمان ، يقال : كان كذا قِدمًا : فى الزمان القديم .
(١٠) روعات قلبى : ما أصابه من فزع ، والعاذلين : اللائمين .
(١٠٦/١) يعاتب نفسه على ما يكون منه من بكاء ودموع دافقة ، حين يسمع حمامة تناجى إلفها ويناجيها ، أو تشكو إلى أخرى وتبادلها الأخرى أحاديث الحب !

٤ - بَلى وَأَفِق عَن ذِكرِ لَيلَى فَإِنَّما أَخو الحُبِّ مَن ذاقَ الهَوى وَهوَ تائِقُ

١٠٧ شكوتُ إلى سِرْبِ القَطَا !!

❁ ثم جَلَسَ متفكِّرًا حزينًا : ، ثم هام على وجهه؛ فبينما هو سائر ، إذ مَرّ بسربٍ من قطا يتطايَرُ ؛ فقال :

١ - شَكَوتُ إِلى سِربِ القَطا إِذ مَرَرنَ بى فَقُلتُ وَمِثلى بِالبُكاءِ جَديرُ

٢ - أَسِربَ القَطا هَل مِن مُعيرٍ جَناحَهُ لَعَلّى إِلى مَن قَد هَوَيتُ أَطيرُ ؟!

٣ - وَأَيُّ قَطاةٍ لَم تُعِركَ جَناحَها فَعاشَت بِضُرٍّ وَالْجَناحُ كَسيرُ

٤ - وَإِلّا فَمَن هَذا يُؤَدّى رِسالَةً فَأَشكُرَهُ إِنَّ المُحِبَّ شَكورُ

٥ - إِلى اللَّهِ أَشكو صَبوَتى بَعدَ كُربَتى وَنيرانُ شَوقى ما بِهِنَّ فُتورُ

٦ - فَإِنّى لَقاسى القَلبِ إِن كُنتُ صابِرًا غَداةَ غَدٍ فيمَن يَسيرُ تَسيرُ

٧ - فَإِن لَم أَمُت غَمًّا وَهَمًّا وَكُربَةً يُعاوِدُنى بَعدَ الزَّفيرِ زَفيرُ

---

(٤) تائق : مشتاق ينزع إلى الهوى ويميل .

(١٠٧/١-٥) القطا : جمع قطاة . وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة فى الصحراء ، ويتخذ أفحوصه فى الأرض ، ويطير جماعات ، ويقطع مسافات شاسعة ، وهو هنا يشكو إلى سرب القطا ويتمنى أن يكون من السرب من يعيره جناحه لعله يطير إلى من يهوى . ويدعو على من لم تعره جناحها أن يلحق بها ضر وأن ينكسر جناحها لتصبح مثله . وإن لم تكن هناك إعارة الجناح ، فهل منها ما يتكفل بحمل رسالة منه إلى لَيْلَى ، وله الشكر؟ ! ليس أمامه إلا الله هو القادر على مسح جراحه ، وتخفيف آلامه وإخماد نيران شوقه التى لا تفتر ولا تخمد .

ولقد ساق النحويون فى شواهدهم البيت الثانى وذكروا قبله آخر فى مجيء « من » لغير العاقل وهما :

بكيت على سرب القطا إذ مررن فى ... فقلت - ومثلى بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يُعير جناحه ... لعلى إلى من قد هويت أطير؟

ونسبا إلى العباس بن الأحنف وليس مِمَّنْ يستشهد بشعره ، وقيل هما للمجنون وهو ممن يستشهد بشعره ، وبيت الشاهد ثابت فى كل من الديوانين ، ديوان المجنون ، وديوان العباس ، وذلك من خلط الرواة .

(٦-٧) إن الذى يتصبّر عند الرحيل ليس إلا قاسى القلب ! إن هو لم يمت غمًّا وهمًّا وكربة تكاد تخرج روحه مع زفراته بسبب رحيل الأحبة !

٨ - إذا جَلَسوا فى مَجلِسٍ نَذَروا دَمى ... فَكَيفَ تُراها عِندَ ذاكَ تُجيرُ ؟!
٩ - وَدونَ دَمى هَزُّ الرِّماحِ كَأَنَّها ... تَوَقُّدُ جَمرٍ ثاقِبٍ وَسَعيرُ
١٠ - وَزُرقٌ مَقيلُ المَوتِ تَحتَ ظُباتِها ... وَنَبلٌ وَسُمرٌ ما لَهُنَّ مُجيرُ
١١ - إذا غُمِزَت أَصلابُهُنَّ تَرَنَّمَت ... مُعَطَّفَةٌ لَيسَت بِهِنَّ كُسورُ
١٢ - قَطَعنَ الحَصى وَالرَّملَ حَتّى تَفَلَّقَت ... قَلائِدُ فى أَعناقِها وَضُفورُ
١٣ - وَقالَت أَخافُ المَوتَ إن يَشحَطِ النَّوى ... فَيا كَبِدًا مِن خَوفِ ذاكَ تَغورُ
١٤ - سَلوا أُمَّ عَمروٍ هَل يُنَوَّلُ عاشِقٌ ... أَخو سَقَمٍ أَم هَل يُفَكُّ أَسيرُ
١٥ - أَلا قُل لِلَيلَىٰ هَل تُراها مُجيرَتى ... فَإِنّى لَها فيما لَدَيَّ مُجيرُ
١٦ - أَظَلُّ بِحُزنٍ إن تَغَنَّت حَمامَةٌ ... مِنَ الوُرقِ مِطرابُ العَشِيِّ بَكورُ
١٧ - بَكَت حينَ دَرَّ الشَّوقُ لى وَتَرَنَّمَت ... فَلا صَحَلٌ تُربى بِهِ وَصَفيرُ
١٨ - لَها رُفقَةٌ يُسعِدنَها فَكَأَنَّما ... تَعاطَينَ كَأسًا بَينَهُنَّ تَدورُ
١٩ - بِجَزعٍ مِنَ الوادى فَضاءٍ مَسيلُهُ ... وَأَعلاهُ أَثلٌ ناعِمٌ وَسَديرُ

---

(٨) وكيف أطمع فى أن تجيرنى وتأخذ الأمان لى من أهلها وقد نذروا دمى؟ !

(٩-١٠) وليس الأمر سهلًا؛ بل هى الحرب المشتعلة تتشابك فيها الرماح .. والنّصال الزرقاء شديدة الصفاء، وقريب من هذا قول آخر :

* ومسنونة زُرْقٍ كأنياب أغوال *

إن الموت بطل من تحت حدها فهى بتارة قاتلة لتوها . والظُّباة : جمع ظبة ، وهى حد السيف ومقيل الموت : مستراحه وقت القليلولة ومختبؤه .

(١١) غمزت : طعنت . ترنمت : أحدثت صوتًا . معطفة : مائلة منحنية .

(١٣) يشحط النوى : يجاوز الحد ، ويبلغ المدى . تغور : تذهب وتتلاشى .

(١٤) « أم عمر » : لَيْلَى .

(١٦) الوُرْق : جمع ورقاء ، والورقاء : الحمامة المطوقة . مِطراب : حسنة الصوت تحرك النفوس ، وتثير كوامنها بكرة وعَشِيًّا : أو أول النهار وآخره .

(١٧) دَرّ الشوق : زاد . ترنمت : رجّعت صوتها . صَحَل : بُحّة .

(١٨) يُسعِدْنها : يساعدنها . تعاطين : تناولن .

(١٩) بجَزْع من الوادى : منعطف الوادى ووسطه . والأَثْل : شجر طويل مستقيم كثير الأغصان . والسدير : منبع الماء والعشب ، وسدير النخل : سواده ومجتمعه .

٢٠ - بِهِ بَقَرٌ لا يَبرَحُ الدَّهرَ ساكِنًا وَآخَرُ وَحشِيٌّ السِّخالِ يَثورُ

١٠٨ أجَدّ بأحْيَاءِ الجميع بكورُ ؟!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَجَدَّ بِأَحياءِ الجَميعِ بُكورُ وَبانَ الأَخِلَّاءُ الَّذينَ تَزورُ ؟!

٢ - وَشَقَّ عَصا الْجِيرانِ يَومَ تَرَحَّلوا نَوًى بِالكُلَيبِيّاتِ عَنكَ تَجورُ ؟!

٣ - بَراعَةُ مَكروهٍ مِنَ البَينِ لَم يَكُن لَها دونَ تَكديرِ الصَّفاءِ نَكيرُ

٤ - مُحِبٌّ أَتاها أَنَّ ما بَينَ بيشَةٍ وَنَجرانَ مُخضَرُّ الجَنابِ مَطيرُ

٥ - أَيَذهَبُ عَقلي بَعدَ عِلمي وَإِن عَلا عِذاريَ مِن بَعدِ المَشيبِ قَتيرُ

٦ - وَمُستَجهِلي بَعدَ التَّحَلُّمِ نِسوَةٌ أَشارَ بِلَيلَىٰ نَحوَهُنَّ مُشيرُ

٧ - تَعَوَّدنَ قَتلَ المُسلِمينَ كَأَنَّما لَهُنَّ دِماءُ المُسلِمينَ طَهورُ

٨ - وَقُلنَ تَزَوَّج وَارعَ ما كانَ بَينَنا أَجارَكَ مِن رَيبِ الزَّمانِ مُجيرُ

٩ - أَرَدنَ بَلائي ما قَضَينَ لُبانَةً فَقَد غارَ أَو كادَ النُّجومُ تَغورُ

♡ ♡ ♡

---

(٢٠) السخال : جمع سخلة وهى الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد ، والمراد أن هذا الوادى يضم من البقر الألوف والوحشى والنافر . وكان للعرب ولع بتشبيه النساء بالبقر .

(١٠٨/١) أجَدّ : أحَدَثَ رحيل مبكر؟ ! بان الأخلاء : بعد الأحباب ورحلوا .

(٢) شق عصاهم : فرقهم . نوًى : غربة وبعد وارتحال . والكليبيات : موضع وهضبات . وتجور : تبعد .

(٥) عذارى : جانب لحيتى . والقتير : أول ما يظهر من الشيب .

(٦-٩) يشير فى هذه الأبيات الأربعة إلى موقف بعض النسوة منه حيث يعتبرنه جاهلًا طائشًا بعد حلم . لا هَمَّ لهؤلاء وأولئك إلا التفريق بين المحبين وقتل المسلمين ، وكأنما هى ليست محرمة .. إنهن يقترحن عليه أن يتزوج ويدع ما بينه وبين لَيْلَىٰ .. وفى ذلك بلائى ، وضياع الأمل فى سماء حياتى . ما قضين لُبانة : ما قضين حاجة فى نفوسهن !

١٠٩ ياجَارَتى أَصبَحتِ مالكة ..

❁ وقال أيضًا :

١ - شُغِفَ الفُؤادُ بِجارَةِ الجَنبِ فَظَلِلتُ ذا أَسَفٍ وَذا كَربِ

٢ - يا جارَتى أَمسَيتِ مالِكَةً روحى وَغالِيَةً عَلى لُبّى

♡ لَيْلَىٰ وَالمجنون

❁ وذكر أبو إسحق بن الهيثم أن رجلًا مَرّ بِلَيْلَىٰ ، وهى واقفة على باب خبائها ، فقالت : أين تريد يا عبدَ الله ؟ قلت : أريد بنى عامر؛ فزفرت زفرة وقالت :

١١٠ يأيُّها الراكب ..

١ - يأيُّهَا الرَّاكبُ المُزْجِى مَطيّتَه عَرِّج لأُنْبِئَ عَنّى بعضَ ما أجِدُ

٢ - فما رأى النَّاسُ من وَجْدٍ تَضَمّنَهُمْ إلاّ وَوَجْدِى بِه فوق الذى أجِدُ

٣ - أهْوَى رِضَاهُ ، وإنى فى مَوَدّتِه وحُبّه - آخِرَ الأيام - أجْتَهِدُ

١١١ وأنت التى ... !

❁ فلَمَّا بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل :

١ - وأنتِ التى كَلّفْتِنى دَلَجَ السُّرَى وجَوْنُ القَطَا - بالجَلْهَتَيْن - جُثُومُ

(١/١٠٩) جار الجَنْب : اللازق إلى جنبك ، والصاحب بالجنب : القريب منك . وصاحبك فى السفر . وشغف بها : أولع .

(٢) لُبّى : عقلى .

(١/١١٠) المزْجى مطيته : السائق . والمطية ما يُركَب ويُمْتَطى . عَرِّج : انزل عندنا لأعبر لك عن مشاعرى ، وما أجده فى نفسى !

(٢) وَجْدٍ : عشق وحُب وهيام . تضمنهم . احتواهم .

(٣) كل ما تهواه هو رضاه ، وإنها لتجتهدُ ليتحقق لها هذا الأمل الحلو !

(١/١١١) دَلَج السُّرى : السير ليلًا . وجَوْن القطا جثوم : الجون : الأسود والقطا : طائر كالحمام . جثوم : راقدات .. إن حبه لها جعله يسير ليلًا بينما كل شيء من حوله ساكن حتى القطا فى أوكارها . والجلهتان : مثنى جلهة وهى الصخرة العظيمة ، ومحلة القوم ، وناحية الوادى .

٢ - وأنت التى قطّعتِ قَلْبى حَرارَةً ورقرقتِ دَمْعَ العين؛ فهو سَجُومُ
٣ - وأنتِ التى أغضَبْتِ قومى كلَّهم بُعَيدَ الرّضى دانى الصُّدُودِ كظيمُ
٤ - وأنتِ التى أخلفْتِنى ما وعدتِنى وأشْمَتِّ بى من كان فيكِ يلومُ
٥ - وأبرزْتِنِى للنَّاسِ ثم تركتِنِى لَهُمْ غرضًا أُرْمَى وأنت سليمُ
٦ - فلو أنّ قولًا يَكْلِمُ الجسمَ قد بَدَا بجسمى من قولِ الوُشاةِ كُلومُ

١١٢ لقد أضرمتِ فى القلب نارًا !

... ثم إن المجنون اعتلّ بعلّةٍ فبعثت إليه « لَيْلَىٰ » تَعودُه ، وتقول : إن تهيّأَتْ زيارتُك غدا فعلت ، فقال :

١ - تَعودُ مَريضًا أَسقَمَتهُ بِهَجرِها وَلَو عادَتهُ عادَ لا يَعرِفُ السُّقما
٢ - لَقَد أَضرَمَتْ فى القَلبِ نارًا مِنَ الجَوى فَما تَرَكَتْ عَظمًا وَلا تَرَكَت لَحما
٣ - وَإِنّى عَلى هِجرانِها وَصُدودِها وَما حَلَّ بى مِنها أَرى حُبَّها حَتما
٤ - خَليلَيَّ كُفّا لا تَلوما مُتَيَّمًا وَلا تَقتُلا صَبًّا بِلَومِكُما ظُلما

١١٣ ومِمّا شجانى أنها .. !!

❁ وقال أيضًا :

١ - ومِمّا شجانى أَنَّها يَوْمَ ودّعتْ تقولُ لنا : أستودعُ اللَّهَ « مَنْ أَدْرِى »
٢ - وكيف أُعزّى النَّفسَ بعد فِراقِها وقد ضاق بالكتمانِ من حُبّها صَدرِى !

---

(٢)سَجُوم : مُنْسَاب ، سائل .
(٣)لقد أغضبت قومى جميعًا حتى أصبح الرضا بعيدًا ، والصدود قريبًا . كظيم : يمسك على ما فى نفسه صافحًا أو مغيظًا .
(٥)غرضًا : هدفا .
(٦)يكلُم : يجرح . كلوم : جروح . الوشاة : الساعين بين المحبين لتفرقتهما .
(١/١١٢)أسقمته : أمرضته . عادته : زارته . (٢)أضرمت : أشعلت . الجوى : العشق والهوى .
(٤)متيَّمًا : ذهب الحب بعقله ، وتحكم فيه . صَبًّا : عاشقًا مغرمًا .
(١/١١٣) شجانى : أحزننى . مَن أدْرى : تعنى قيسًا .

٣ - فـوالـلّـه والـلّـهِ الـعـزيـزِ مـكـانُـهُ وقد كاد رُوحِى أن يَزُولَ بلا أَمْرِى
٤ - خـلِيـلَـىّ؛ مُـرَّا بـعـد مَـوْتـى بِتُـرْبَـتِـى وقولا لِلَيْلَىٰ : ذا قتيلٌ من الهَجْرِ ! !

١١٤ بِىَ اليوم مابِىَ من هُيام

❁ قال أبو بكر : مَرّ رجل بالمجنون - وهو يتردّد فى الرمل - فقال : ما لك يا أبا المهدى ؟ فقال :

١ - بِيَ اليَومَ ما بى مِن هُيامٍ أَصابَنى فَإِيّاكَ عَنّى لا يَكُن بِكَ ما بِيا
٢ - كَأَنَّ دُموعَ العَينِ تَسقى جُفونَها غَداةَ رَأَت أَظعانَ لَيْلَىٰ غَوادِيا
٣ - غُروبٌ أَثَرَّتها نَواضِحُ مُغرَبٍ مُعَلَّقَةٌ تُروى نَخيلًا صَوادِيا
٤ - أُمِرَّت فَفاضَت مِن فُروعٍ حَثيثَةٍ عَلى جَدوَلٍ يَعلو قَنًا مُتَعادِيا
٥ - وَقَد بَعُدوا وَٱستَطرَدوا الآلَ دونَهُم بِدَيمومَةٍ قَفرًا وَأَنزَلتُ جادِيا

١١٥ لها فى طرفها لحظاتُ حَنَفٍ

❁ قال : ثم تأوّه واستعبر ، فرأيتُ دموعَه تتبادر على خده ، كاللؤلُؤ المنثور ، وسمط الجُمان المفصل بالشذور شفعًا ووترا ، وقال(*) :

١ - ذَكَرتُ عَشِيَّةَ الصَّدَفَينِ لَيْلَىٰ وَكُلَّ الدَّهرِ ذِكراها جَديدُ
٢ - إِذا حالَ الغُرابُ الجَونُ دونى فَمُنقَلَبى إِلى لَيْلَىٰ بَعيدُ

(١/١١٤) الهُيام : - بضم الهاء - الجنون من العشق . إياك عنى : ابتعد .

(٢) غداةَ : وقت . أظعان : رفيقات لَيْلَىٰ فى رحلتها جمع ظعينة . والظعينة : المرأة فى الهودج . غواديا : غاديات : والغدو عكس الرواح .

(٣) الغُروب : جمع غرْب الدلو العظيمة . أثرتها : سقتها وروتها . نواضح : جمع ناضحة والمراد : المطر . مُغْرَب : مُمتلئ .

(٥) ديمومة : صحراء . قفرا : أصلها فقراء ممدودة فقصرت .

(*) تأوّه : قال : آه متوجّعًا . استعبر : جرت دموعه وعبراته . سِمْط الجُمان : السِّمط : الخيط مادام الخرز ونحوه منظومًا فيه والجُمان : اللؤلؤ . والشذور : قطع الذهب ، وخرز يفصل به بين حبات العِقد ، واللؤلؤ الصغار والواحدة شَذرة .

(١/١١٥) الصّدُفين : ناحيتى الشّعب أو الوادى . (٢) الجَوْنُ : الأسود . فمنقلَبى : عودتى ورجوعى .

٣ - عَـلَـيَّ أَلِـيَّـةٌ إِن كُـنـتُ أَدرى ... أَيَـنـقُـصُ حُـبُّ لَـيْـلَـىٰ أَم يَـزيـدُ ؟!
٤ - لَـهـا فـى طَـرْفِـهـا لَـحَـظـاتُ حَـتْـفٍ ... تُـمـيـتُ بِـهـا وَتُـحـيِـى مَـن تُـريـدُ
٥ - وَإِن غَـضِـبَـت رَأَيـتُ النَّـاسَ هَـلْـكَـى ... وَإِن رَضِـيَـت فَـأَرواحٌ تَـعـودُ
٦ - فَـقُـلـنَ لَـقَـد بَـكَـيـتَ فَـقُـلـتُ كَـلَّا ... وَهَـل يَبكى مِنَ الطَّرَبِ الجَليدُ ؟!
٧ - وَلَـكِـن قَـد أَصـابَ سَـوادَ عَـيـنـى ... عُـوَيـدُ قَـذًى لَـهُ طَـرفٌ حَـديـدُ
٨ - فَـقُـلـنَ فَـمـا لِـدَمـعِـهِـمـا سَـواءٌ ... أَكِـلـتـا مُـقـلَـتَـيـكَ أَصـابَ عـودُ ؟!

١١٦ ألا قاتل الله الهوى !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَلا قـاتَـلَ الـلَّـهُ الـهَـوى مـا أَشَـدَّهُ ... وَأَسـرَعَـهُ لِـلـمَـرءِ وَهـوَ جَـلـيـدُ
٢ - دَعانى الهَوى مِن نَحوِها فَأَجَبتُهُ ... فَـأَصـبَـحَ بـى يَـسـتَـنُّ حَـيـثُ يُـريـدُ

١١٧ على دِمنَةَ دارِ لِلَيلَى

❁ حدثنا أبو عمرو الشيبانى قال : حدثنا نَوْفَل بن مُسَاحِق قال : خرجت يومًا أَتَضَيّف « الأروَى » ، ومعى جماعة من أصحابى ، فلما صرت بناحية الحِمى ، إذا أنا بأراكة ، قد بدا منها قطيع من ظِباء فى شخص الإنسان يُرى من ظلّ تلك الأراكة ! فتعجب أصحابى منه ، وعرفتُه ساعةَ رأيتُه ، فتخفّفت من ثيابى ، وخرجت أمشى رويدًا حتى أتيت « الأراكة »؛ فرقيت عليها ، وأشرفت عليه وعلى الظّبا؛ وإذا أنا به قد تدلّى الشعر على حاجبيه ، وعينيه ، فلم أكد أعرفه إلا بعد هُوِىّ من النهار ، وهو يَرْتَعِى من ثمر الأراك ، لا يرفع رأسه ، فتمثلت بشىء من شعره(*) ، وهو :

---

(٣) أَلِيَّةً : يمين .
(٤) الطرف : العين . لحظات : جمع لحظة وهى المرة من لحظ العين : النظر بمؤخر عينيها من أحد جانبيها والحتف : الموت .
(٦) الجليد : الصابر على المكروه فى قوة وشدة تحمل .
(٧) جاء فى اللسان : عودَ مُنَدًّى ونَدِىّ : فُتِق بماء الورد أو بالنَّدَى وعُوَيد : تصغير عُود .
(١/١١٦) من نحوها : من جهة المحبوبة . يَسْتَنّ : يسلك ويتجه .
(*) أَتَضَيَّفُ الأروى : الأروى جمع أُرويّة تقع على الذكر والأنثى من الوعل ، ويتضَيّف : ينزل ضيفًا . والأراكة : =

١ - عَلى دِمنَتَيْ دارٍ لِلَيْلَىٰ كَأَنَّما إِزارانِ مِن بُردٍ لَها خَلَقانِ
٢ - وَكَيفَ إِلى لَيْلَىٰ إِذا رَمَّ أَعظُمي وَصارَ وِسادى مَنكِبى وَبَنانى ؟!
٣ - وَحَلَّت بِأَعلى بيشَتَينِ فَأَصبَحَت يَمانِيَةً وَالرَّمسُ غَيرُ يَمانِ

♡ محاولات العَمّ « يزيد » وموته قبل تحقيق ما كان يريد

❁ وقيل : إن المجنون لما شُهِر أمْرُهُ بلَيْلَىٰ خُطِبَت له؛ فأبى أبوها أن يزوجها ، وهكذا كانت العرب إذا شَهَّر رجل بحب امرأة لم يزوجوها منه ! فاشتدّ وجده ، وتراقت سَوْرَةُ عشقه ، وكان له عم يقال له : « يزيد » ، وكان شجاعًا بطلًا آلى أن لا يتزوج المجنون بلَيْلَىٰ ، ولا أحد من النّاس إلا قتله(*) ! ، فأنشأ يقول :

١١٨ أَلَا أَيُّها الشَّيخُ الذى ما بنا يَرضى !

١ - أَلا أَيُّها الشَّيخُ الَّذى ما بِنا يَرضى شَقيتَ وَلا أَدرَكتَ مِن عَيشِكَ الخَفضا
٢ - شَقيتَ كَما أَشقَيتَنى وَتَرَكتَنى أَهيمُ مَعَ الهُلَّاكِ لا أَطعَمُ الغَمضا
٣ - أَما وَالَّذى أَبلى بِلَيْلَىٰ بَلِيَّتى وَأَصفى لِلَيْلَىٰ مِن مَوَدَّتِيَ المَحضا

= شجرة السواك . ولها ثمار حُمْر دكناء تؤكل . رقيت عليها : صعدت . يرتعى : يأكل .

(١) دمنتى : الدمنة : ما بقى من آثار الديار . الإزاران : مثنى إزار ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن . يذكر ويؤنث . والبُرْد : كساء مخطّط يلتحق به . خلقان : باليان .

(٢) رَمّ أعظُمى : بليت . المَنْكِب : مجتمع رأس العَضُد والكتف . والبنان : أطراف الأصابع .

(٣) بيشة : وادٍ بطريق اليمامة .

(*) ذكر الأصبهانى مناسبة هذه الأبيات بقوله : لما مات المجنون وجد فى أرض خشنة ، بين حجارة سود ، فحضر أهله وحضر معهم أبو لَيْلَىٰ - المرأة التى كان يهواها - وهو متذمم من أهله ، فلما رآه ميتًا بكى ، واسترجع ، وعلم أنه قد شَرِكَ فى هلاكه ، فبينما هم يقلبونه إذ وجدوا خرقة مكتوب فيها : ألا أيها الشَّيخ إلى آخر الأبيات .

(١/١١٨) فى الأغانى : « ولا هُنّيت من عيشك الغضّا » وفى تزيين الأسواق : الخفضا . أما عبارة الديوان فهى : « ولا أدركت من عيشك الخَفضَا » . ويقال : خَفُضَ العيش خفضًا : اتسع وتيسر . وهو دعاء عليه بضيق العيش .

(٢) الهُلَّاك : جمع هالك ، لتعرضه لمخاطر الصحارى والمفازات ، لا أطعم الغمضا : لا أذوق طعم النوم هنا وقد ذكر فى أغلب نسخ الأغانى بدل هذا البيت قوله :

كأن فجاجَ الأرض حَلْقةُ خاتمٍ عَلىَّ فما تزداد طولًا ولا عرضًا

وهو البيت الثامن من هذه المقطوعة .

(٣) المحضًا : الخالص الصافى الذى لم يكدر ، ولم تشبه شائبة .

٤ - لَأَعطَيتُ فى لَيْلَىٰ الرِّضا مَن يَبيعُها ... وَلَو أَكثَروا لَومى وَلَو أَكثَروا القَرضا

٥ - فَكَم ذاكِرٍ لَيْلَىٰ يَعيشُ بِكُربَةٍ ... فَيَنفُضَ قَلبى حينَ يَذكُرُها نَفضا

٦ - وَحَقِّ الهَوى إِنّى أُحِسُّ مِنَ الهَوى ... عَلى كَبِدى نارًا وَفى أَعظُمى رَضّا

٧ - كَأَنَّ فُؤادى فى مَخالِبِ طائِرٍ ... إِذا ذَكَرَتها النَّفسُ شَدَّت بِهِ قَبضا

٨ - كَأَنَّ فِجاجَ الأَرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ ... عَلَيَّ وَلا تَزدادُ طولًا وَلا عَرضا

٩ - وَأُغشى فَيُحمى لى مِنَ الأَرضِ مَضجَعى ... وَأُصرَعُ أَحيانًا فَأَلتَزِمُ الأَرضا

١٠ - رَضيتُ بِقَتلى فى هَواها لِأَنَّنى ... أَرى حُبَّها حَتمًا وَطاعَتَها فَرضا

١١ - إِذا ذُكِرَت لَيْلَىٰ أَهيمُ لِذِكرِها ... وَكانَت مُنى نَفسى وَكُنتُ لَها أَرضى

١٢ - إِن رُمتُ صَبرًا أَو سُلُوًّا بِغَيرِها ... رَأَيتُ جَميعَ النّاسِ مِن دونِها بَعضا

١١٩ خَلِيلَىَّ هل قَيظٌ بِنَعمانَ راجِعُ ؟!

قال : فلما سمع عمُّه هذه الأبيات رق قلبُه له ، وقال : لا يزّوجها أحد سوى ابن أخى إلا قتلته ! فمكث بُرْهة من دهره ، ثم إن يزيد هَلَك(*) ، فأنشأ يقول :

١ - خَليلَيَّ هَل قَيظٌ بِنَعمانَ راجِعٌ ... لَيالِيهِ أَو أَيّامُهُنَّ الصَّوالِحُ ؟!

---

(٧) ذكره صاحب الأغانى بلفظ :

كأن فؤادى فى مخالِب طائر ... إذا ذُكِرَت لَيلَىٰ يَشُدُّ بها قبضا

(٨) فِجاج جمع فج : وهو الطريق الواسع البعيد . يعبر عن ضيق الدنيا أمام عينيه بعد أن حيل بينه وبينها !

(٩) أغشى : يُغمَى على فلا أدرى مضجعى من الأرض ، وأصْرَع أحيانًا ألتزم الأرض : أعانقها ، وأتعلق بها .

(١٠) وهكذا يشتط الشعراء ، ويُسرفون على أنفسهم حتى ليخيل إليهم أن طاعة المحبوب فرض .

(*) هلك : مات .

(١/١١٩) نَعمان - كسَحْبان - وادٍ وراء عرفة ، وهو نَعمان الأراك ، ووادٍ قرب الكوفة ، ووادٍ بأرض الشام قرب الفرات ، ووادٍ بالتنعيم ، وموضعان آخران . وهو هنا يتحسر على أيام مضت ويتجدّد الأملُ لديه بعد موت عمه فى عودة الليالى والأيام الصّوالح .

٢ - أَلا لا وَلا أَيّـامُـنـا بِـمُـتـالِـعٍ رَواجِـعُ مـا أَورى بِـزَنـدِيَ قـادِحُ
٣ - إِذِ العَيشُ لَم يَكدُر عَلَيَّ وَلَم يَمُت يَـزيـدُ وَإِذ لـى ذو الـعَـقـيـدَةِ نـاصِـحُ

١٢٠ ألا إن ليلىٰ العامرية أصبحت

❁ قال : فخطبوها من كل جانب ، فأخبِرْتُ أن أبا لَيْلَىٰ حَجّ بها ، فرآها رجل من ثقيف ، فخطبها ، فزوجه ، فبلغ ذلك المجنون فأنشأ يقول :

١ - أَلا إِنَّ لَـيْـلَـىٰ الـعـامِـريَّـةَ أَصـبَـحَـت تَـقَـطَّـعُ إِلَّا مِـن ثَـقـيـفٍ حِـبـالُـهـا
٢ - إِذا ٱلتَفَتَت وَالعِيسُ صُعْرٌ مِنَ البُرى بِـنَـخـلَـةَ غَـشَّـى عَـبـرَةَ الـعَـيـنِ حـالُـهـا
٣ - فَهُم حَبَسوها مَحبَسَ البُدنِ وَٱبتَغى بِـهـا الـمـالَ أَقـوامٌ أَلا قَـلَّ مـالُـهـا

١٢١ أيا بائعي ليلى بمكة ضِلّةً !

❁ وقال أيضًا :

١ - أَيـا بـائِـعَـي لَـيْـلَـىٰ بِـمَـكَّـةَ ضِـلَّـةً تَـبـايَـعـتُـمـا هَـل يَـستَـوِى الـثَّـمَـنـانِ
٢ - فَـمـا غُـبِـنَ الـمُـبـتـاعُ لَـيْـلَـىٰ بِـمـالِـهِ بَـلِ الـبـائِـعـا لَـيْـلَـىٰ هُـمـا الـغَـبِـنـانِ

♡ ♡ ♡

---

(٢) مُتالع - بضم الميم ، كما جاء فى اللسان - جبل بين السودة والأحساء ، وفى سفح هذا الجبل عين يسيل ماؤه ، ويقال له : « عين متالِع » .

(١/١٢٠) تقَطّع : تتقطع . والمراد بالحبال : حبال الوصال . فلا أمل فى وصلها بعد أن بلغه أنها زفت إلى رجل من ثقيف .

(٢) العيس : الجمال . صُعْر : جمع أصعر وصَعْرَاء ، والصّعَر : داء فى العنق لا يستطاع معه الالتفات . والبرى : الهزال . بنخلة : قال فى المحيط : ونخلة الشامية واليمانية واديان على ليلة من مكة شرفها الله تعالى . غَشَّى : جعل عليها غشاء .

(٣) البُدْن : جمع بدنة وهى الناقة .

(١/١٢١) الضِّلة : - بكسر الضاد - معناها : بغير مقابل .. أو هدرًا بيعًا لا خير فيه ولا رشاد .

(٢) غُبن : خُدع ، وغُلِبَ . المبتاع : المشترى ، وهو الزوج . الغَبِنَان : الخاسران اللذان وقع عليهما الغبن لأنهما باعا الغالى « لَيْلَىٰ » رخيصًا !

١٢٢ حبيب نأى عنى الزمان بقربه !

❁ وقال أيضًا :

١ - حَبيبٌ نَأى عَنّى الزَّمانُ بِقُربِهِ فَصَيَّرَنى فَردًا بِغَيرِ حَبيبِ
٢ - فَلى قَلبُ مَحزونٍ وَعَقلُ مُدَلَّهٍ وَوَحشَةُ مَهجورٍ وَذُلُّ غَريبِ
٣ - فَيا عُقَبَ الأَيامِ هَل فيكِ مَطمَعٌ لِرَدِّ حَبيبٍ أَو لِدَفعِ كُروبِ

♡ ليلى العامرية تسأل عن المجنون

❁ حكى الوالبى قال : حدثنا رجل عن إسحق بن إبراهيم الموصلى قال : خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد فى طلب بعير له ، فأتى أحياءَ بنى عامر؛ فإذا خيمة رفعت له ، فقصدها - وقد بَلَّ المطرُ ثيابه ، فلما دنا؛ إذِ امرأةٌ كلّمَتْه ، فقالت : انزِل أيها الرجل؛ قال : فنزلتُ ، وحططتُ رَحْلى ، وراحت إبلُهم وغنمُهم(*)؛ فإذا نَعَم كثيرة ، ورحل خصيب ! فقالت لبعض مَنْ كان مع الإبل : سَلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ فقلت : من ناحية نجد ، وتِهامة ! فقالت : يا عبدَ الله؛ بمن نزلت هناك ؟ قلت : ببنى عامر ؛ فَتَنَفَسَّتِ الصُّعَداء(**)؛ فقالت : بأبى ونفسى بنو عامر ! ثم قالت : وهل سمعت بفَتًى يقال له قيس ، ويلقب بالمجنون ؟! فقلت : نعم - والله - نزلت بأبيه - ولقد أتيته حتى نظرت إليه يهيم فى الصحراء مع الوحوش حتى تُذْكر له لَيْلَى؛ فإذا ذكروها ثابَ إليه عقله(***) ، فيحدّث بحديثها ، ويُنشد شعرهُ فيها ! قال : فرفعت السِّتْر من بينى وبينها؛ فإذا هى شقة قمر ، لم تَرَ عينى قطّ أجملَ منها ؛ وقالت : وهل تروى شعره ؟ قلت : بَلَى هو الذى يقول :

(٢/١٢٢) المدَلّه : من ذهب عقله من عشق ونحوه .

(٣) عُقب الأيام : جمع عقبة وهى آخر كل شىء ، والليل والنهار لأنهما يتعاقبان . وهناك رواية : فيا حقب الأيام ، والمعنيان متقاربان . والكروب : جمع كرب وهو كل ما ساء وآلم ، وأحدث فى النفس ضيقًا .

(*) راحت إبلهم : سارت فى العَشِىّ ، ويستعمل الرواح للمسير فى أى وقت كان من ليل أو نهار ، كذلك الغُدُوّ . ويقال : راحت الإبل وغيرها : أوت بعد الغُروب إلى مُرَاحها ، وهو المراد . النَّعَم : المال السائم ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل .

(**) الصُّعَداء : تنفست نفَسًا ممدودًا فيه توجع وحنين . (***) وثاب إليه عقله : رجع ، وعاوده التعقل .

١٢٣ أنيرى مكان البدر !!

١ - أَنيرى مَكانَ البَدرِ إن أَفَلَ البَدرُ ... وَقومى مَقامَ الشَّمسِ ما ٱستَأخَرَ الفَجرُ

٢ - فَفيكِ مِنَ الشَّمسِ المُنيرَةِ ضَوءُها ... وَلَيسَ لَها مِنكِ التَّبَسُّمُ وَالثَّغرُ

٣ - بَلى لَكِ نورُ الشَّمسِ وَالبَدرُ كُلُّهُ ... وَلا حَمَلَت عَينَيكِ شَمسٌ وَلا بَدرُ

٤ - لَكِ الشَّرقَةُ اللَّألاءُ وَالبَدرُ طالِعٌ ... وَلَيسَ لَها مِنكِ التَّرائِبُ وَالنَّحرُ

٥ - وَمِن أَينَ لِلشَّمسِ المُنيرَةِ بِالضُّحى ... بِمَكحولَةِ العَينَينِ فى طَرفِها فَترُ

٦ - وَأَنّى لَها مِن دَلِّ لَيلَىٰ إِذا ٱنثَنَت ... بِعَينَى مَهاةِ الرَّملِ قَد مَسَّها الذُّعرُ

٧ - تَبَسَّمُ لَيلَىٰ عَن ثَنايا كَأَنَّها ... أَقاحٍ بِجَرعاءِ المَراضَينِ أَو دُرُّ

٨ - مُنَعَّمَةٌ لَو باشَرَ الذَّرُّ جِلدَها ... لَأَثَّرَ مِنها فى مَدارِجِها الذَّرُّ

٩ - إِذا أَقبَلَت تَمشى تُقارِبُ خَطوَها ... إِلى الأَقرَبِ الأَدنى تَقَسَّمَها البُهرُ

---

(١) أَفَل : غاب واختفى . واستأخر : تأخر .

(٢) إنك وإن شاركت الشمس فى الضياء إلا أنك تفُوقينها بابتسامتك الحلوة ، وثغرك البديع .

(٣) تفوقين الشمس والبدر بهاتين العينين الجميلتين .

(٤) الشّرقة : الإشراقة . اللألاء : المتلألئة المنيرة ، وتفوقين البدر وإشراقته بهذا النحر ، وتلك التّرائب .

(٥) الفتر : يقال : فتر الطرف : انكسر نظره ، وبدا فيه ضعف مستحسن وشتان بين العيون الجريئة وما بها فَتَر ! !

(٦) من أين للشمس ذلك الدلال الذى يبدو فى عينى مهاة الرمل (بقرة الوحش) وقد مسها الذعر !

(٧) الثنايا : جمع ثَنِيّة : وهى إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت . وتبسّم : تتبسّم والأقاح نبت زهرة أصفر أو أبيض ورقه مؤلل كأسنان المنشار ، وكثر فى الأدب العربى تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه ، أو الدر واللؤلؤ ، قال البحترى :

كأنما يبسم عن لُؤلُؤ ... مُنَضَّدٍ ، أو بَرَدٍ أو أقاح

والمنضّد المنظوم ، والبَرَد : حَبّ الثلج . والجرعاء : الرملة الطيبة المنبت . والمراضان - كما جاء فى القاموس - واديان ملتقاهما واحد ، وهما موضعان : أحدهما لِسُلَيم ، والآخر لهذيل .

(٨) يصور لنا مدى ما هى فيه من نعمة وتنعم ورفاهية ، فلو أن المنبث فى الهواء من الهباء لامس جلدها لأثر فيها وهذا من مبالغات الشعراء كما قيل :

خطرات النسيم تجرح خديه ... ولمس الحرير يدمى بنانه

هذا وصغار النمل وإن كان يطلق عليها اسم « الذر » إلا أنها تؤثر فى المنعمة وغيرها ، فلا وجه لتفسير الذر بها هنا .

(٩) البُهْر : تتابع النفس من الإعياء . وتقَسَّمها : شتت خواطرها وأجهدها ماذاك إلا لأنها منعمة .

١٠ - مَريضَةُ أَثناءِ التَّعَطُّفِ إِنَّها ... تَخافُ عَلى الأَردافِ يَثلَمُها الخَصرُ

١١ - فَما أُمُّ خِشفٍ بِالعَقيقَينِ تَرعَوى ... إِلى رَشَأٍ طِفلٍ مَفاصِلُهُ خُدرُ

١٢ - بِمُخضَلَّةٍ جادَ الرَّبيعُ زُهاءَها ... رَهائِمَ وَسمِيٌّ سَحائِبُهُ غُزرُ

١٣ - وَقَفنا عَلى أَطلالِ لَيلَىٰ عَشيَّةً ... بِأَجزَعِ حَزوى وَهيَ طامِسَةٌ دُثرُ

١٤ - يُجادُ بِها مُزنانِ أَسحَمُ باكِرٌ ... وَآخَرُ مِعهادُ الرَّواحِ لَهُ زَجرُ

١٥ - وَأَوفى عَلى رَوضِ الخُزامى نَسيمُها ... وَأَنوارُها وَاخضَوضَلَ الوَرَقُ النَّضرُ

١٦ - رَواحًا وَقَد حَنَّت أَوائِلَ لَيلِها ... رَوائِحُ لِلإِظلامِ أَلوانُها كُدرُ

١٧ - تُقَلِّبُ عَينَى خازِلٍ بَينَ مُرعَوٍ ... وَآثارِ آياتٍ وَقَد راحَتِ العُفرُ

١٨ - بِأَحسَنَ مِن لَيلَىٰ مُعِيدَةَ نَظرَةٍ ... إِلَيَّ ٱلتِفاتًا حينَ وَلَّت بِها السَّفرُ

---

(١٠) المريضة : الضعيفة ، والأثناء : جمع ثِنْى . ويقال : امرأة لينة المعاطف . يَثْلَمها : يصيبها .

(١١) الخشف - بكسر الخاء وضمها - ولد الظبية أول ما يولد . والعقيقان : مكان - إلى رشأ : إلى جانب رشأ . والرشأ : ولد الظبية إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه . والطِّفْل : الرَّخصُ الناعم الرقيق . وهذه اللوحة الجميلة التى رسمها قيس بالكلمات تضم ظبية وخِشفها فى هذا البيت وما بعده حتى البيت الثامن عشر حيث يتم الكلام ما أم خِشفٍ بأحسن من لَيْلَىٰ إلخ . ترعوى : تزجر وتُصرف . وخِدر : ستر . يقال : خدرت الظبية ولدها .

(١٢) بمخضلة : روضة ندية . زُهَاءَها : أى جادها الربيع وزهاء الشيء شخصه . والرهائم : جمع رِهْمَة ، وهى المطرة الضعيفة الدائمة ، ويقال : أرهم الربيع : كثرت رهامه ، ويقال : روضة مرهومة ، والوسْميّ مطر الربيع . غُزْر : جمع غزيرة .

(١٣) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار . والأجزاع : جمع جَزْع - بالكسر وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يفتح - منعطف الوادى ووسطه؛ أو منقطعه ، أو منحناه ، أو لا يسمى جزعًا حتى تكون له سعة تنبت الشجر ، أو هو مكان بالوادى لا شجر فيه ، وربما كان رملًا ، ومَحِلّة القوم ، والمشرف من الأرض إلى جنبه طمأنينة ، وحُزوَى كقُصْوى : موضع . طامسة مطموسة المعالم ، دثر : مندثرة .

(١٤) المزْن : السحاب ، والأسحم : الأسود . مزنان أحدهما ييأكرها والآخر يراوحها . له زَجْر : هو كقوله تعالى : ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ [الصافات : ٢] أى : الملائكة تسوق السحاب .

(١٥) الخُزامَى : نبات من الفصيلة الشفوية؛ أنواعه عطرة من أطيب الأفاويه ، واحدتُه خزاماة . اخضوضل : ندى وابتل .

(١٦) كُدْر : مائلة إلى السواد .

(١٧) خازل : يقال : خزلت المرأة فى مشيتها تثاقلت ، وتبخترت . مُرْعوٍ : مرتدع ومنزجر . العُفْر : الظباء ، جمع أعفر . وهو كل ما خالط بياضَه حمرة؛ فصار لونه كالعَفَر .

(١٨) السَّفْر : المسافرون المرتحلون .

١٩ - مُحاذِيَةً عَينى بِدَمعٍ كَأَنَّما تَحَلَّبُ مِن أَشفارِها دُرَرٌ غُزرُ
٢٠ - فَلَم أَرَ إِلَّا مُقلَةً لَم أَكُد بِها أَشيمُ رُسومَ الدارِ ما فَعَلَ الذِّكرُ
٢١ - رَفَعنَ بِها خُوصَ العُيونِ وُجوهُها مُلَفَّعَةٌ تُربًا وَأَعيُنُها خُزْرُ
٢٢ - وَما زِلتُ مَحمودَ التَّصَبُّرِ فى الَّذى يَنوبُ وَلكِن فى الهَوى لَيسَ لى صَبرُ

١٢٤ أليس الليلُ يجمعنى ولَيْلَى ؟!

فقالت : هل مِنْ مَزيد ؟! فأنشدتُها :

١ - أَلَيسَ اللَّيلُ يَجمَعُنى وَلَيْلَىٰ كَفاكَ بِذاكَ فيهِ لَنا تَدانى
٢ - تَرى وَضَحَ النَّهارِ كَما أَراهُ وَيَعلوها النَّهارُ كَما عَلانى

قال : - فوالله - ما أقمت البيتين حتى شهقت شهقة ، وسقطت على وجهها تبكى؛ حتى ظننت أن كبدها قد تصدّعَت؛ فقلت : يا هذه؛ أما تتقين اللهَ الذى إليه مَعادُك ؟ فما عَقَلَتْ ما قلتُ لها !

١٢٥ ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة !

[من شعر لَيلَىٰ العامرية]

❁... ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول :

١ - أَلا ليتَ شِعرى وَالخطوبُ كثيرةٌ مَتى رحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ
٢ - بِنفسى مَن لا يستقلُّ برحلهِ وَمَن هوَ إِن لم يحفظ اللَّه ضائعُ

(١٩) تَحَلَّبُ : تتحلب وتتساقط .
(٢٠) أشيم : أتطلع مترقبًا .
(٢١) خوص العيون : ما غار منها وضاق . ملفعة : أحيطت وغطيت بالتراب . غُزْرُ : كثيرة الدمع .
(١/١٢٤) تدانى وصل واقتراب .
(٢) ترى وضح النهار : ضوءه .
(١/١٢٥) ألا ليت شعرى : ليتنى أعرف جواب هذا السؤال : متى رحل .. إلخ؟ ! والخُطوب : جمع خَطب ، وهو الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب ! ويقال : استقل القوم : ارتحلوا ومضوا .
(٢) بنفسىَ : أفديه بنفسى .

... ثم أقمتُ عندها ثلاثًا تسألنى عن خبره ، وتبكى بكاء ، يتوجع لها كبدى ، فوالله ما ظننت أحدًا يجد كوجدها ، ولوعتها ! ! فلما أردت الرحيل ، سألت عنها؛ فإذا هى « لَيْلَىٰ العامرية » !

١٢٦ مَن أعَزّ خلق الله عليكِ يا لَيْلَىٰ ؟!

[من شعر لَيْلَىٰ العامرية]

❁ وذكر قيس بن مَعْمر قال : قلت للَيْلَىٰ : مَن أعَزُّ خلق الله عليك ؟ قالت : من إذا عثرتُ نهضت باسمه ، وإذا رقدتُ حلمت بوجهه : « قيسُ بن الملَوّح » .

قلت : وهل قلت فى ذلك شعرًا ؟ قالت : نعم ، وأنشأت تقول :

١ - إذا ذَهَلت رِجْلِى بدأتُ بذكرِهِ ... وأحْلُمُ فى نومى به وأعيشُ

٢ - إذا ذُكِرَ المجنونُ زادت بذكره ... قُوَى النفسِ أو كاد الفؤادُ يَطِيش

٣ - ووالله ما كاد الفؤادُ يُجِنّهُ ... وإن كان صَدْرِى من هواه يجيشُ

١٢٧ تَوَعَّدَنى قومى بقتلى !

❁ قال أبو جائع : لبيد بن عنبسة : حدثنى بعض الرواة أنه قيل للَيْلَىٰ العامرية : واللَّه لئن لم تَنْتَهِ عن ذكره لنقتلنّكما معًا؛ فبعثت إلى القائل؛ على يد مولاةٍ لها رُقْعَةً مكتوبًا فيها :

١ - تَوَعَّدَنى قومى بقَتْلى وقَتْلِه ... فقُلْتُ : اقْتُلونى ، واتركوه من الذَّنبِ

٢ - ولا تُتْبِعُوه بعدَ قَتْلِىَ ذِلّةً ... كفَى بالذى يَلْقاهُ من سَوْرةِ الحُبِّ

(١/١٢٦) ذَهِلت : غفلت؛ فعثرت .

(٢) يطيش : يضطرب وينحرف .

(٣) يُجِنّه : يستره . يجيش - يغلى غيظًا ، ويضطرب من حزن أو فزع .

(١/١٢٧) توعدنى هددونى .

(٢) سَوْرة الحب : شدته وحرارته وحِدَّتُه .

١٢٨ هذا الوداعُ لمن روحى الفِداء له !

❁ وقال الحسن بن سَهْل : أنشدنى أحمد بن إسماعيل الكاتب لِلَيْلَىٰ العامرية :

١ - قد كنتُ حاذرةً للدهرِ عارفةً أنْ سَوْفَ يَطْلُبُنى بالرَّمْيِ مُفْتَقِدَا
٢ - حتَّى رَمانِى بمَنْ قَدْ جَلّ عن صِفَتِى فما أرى لى به - وَيْلِى - الغَداةَ يَدَا
٣ - لِقْتُ الدواةَ بماءِ العينِ ، ثم به كتبتُ ما يكتُبُ المجهودُ إذْ جَهَدَا
٤ - هذا الوداعُ لمن رُوحى الفداءُ له قد خِفْتُ ألا أرَاهُ بعدَهُ أَبَدَا

١٢٩ أموت وأَحيا ؛ إن ذا لَشَدِيدُ !

[من شعر لَيْلَىٰ]

❁ قال أبو بكر : ذُكر أن المجنون لما تراقَّت(*) عِلّتُه إلى صُعُوبة وعَسُرَ علاجُه ، وأعيا الأطباءَ دواؤه ، ولم ينجعْ فيه الدواءُ ، وصار إلى أسوأ حالة من تَوَحُّشِه فى الصحارَى شق ذلك على لَيْلَىٰ ، وأذهلها ، فدعت بغلام ، وكتبت إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم؛ والله يابن عَمّ إن الذى بى أضعافُ ما بقلبك ، ولكن وجدتُ السُّترةَ أبقى للمودة ، وأحمد فى العاقبة ، وكتبت آخره :

١ - فلو أن ما ألقَى ، وما بى من الهوى بأرْعَنَ ركناه : صَفًا وحديدُ
٢ - تَقطَّعَ من وَجْدٍ وذاب حَديدُه وأمْسَى ، تراهُ العينُ وهو عَميدُ
٣ - ثلاثون يوما : كُلُّ يومٍ ولَيلةٍ أموتُ وأحيا؛ إن ذا لشديدُ !

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض ، ورد الجواب عنه .

(١/١٢٨) حاذرة : خائفة . مفتقدًا : باحثًا عنى ليرمنى بأرزائه عندما لم يجدنى .

(٢) رمانى بمن قد جَلّ عن صفتى : محبوبى الذى أعجز عن وصفه ، ما أرى لى به يدًا : لا قوة لى ولا قدرة على مواجهته ، فاليد : القدرة والقوة ، يقال : ما لى بهذا الأمر يدان .

(٣) لِقْت الدواةَ : أصلحت مدادها وجعلت لها ليقة . والليقة : صوفة الدواة ، وكذلك إذا بلت ، وهو المناسب لقولها : بماء العين . والمجهودُ من هزله الحب ، وتحمل من المشقة فوق الطاقة .

(*) تراقَّت : تناهت ، وبلغت مداها .

(١/١٢٩) بأرعن : بجبل . ويقال : جبل أرعن : ذو رِعانٍ طِوالٍ؛ أى : أنوف عظام شاخصة ، والصَّفا : جمع صفاة : الحجر العريض الأملس .

(٢) لو كان ما بى من الوجد بِجَبَلٍ ركناه حجارة وحديد لتقطع وذاب فلا تراه العين إلا عميدًا : مشغوفًا عشقًا .

١٣٠ أحِنّ إلى لَيلَى

... فمضى الغلام، ولم يزل يطلبه فى الصحارَى، حتى أصابه فى يوم صائف شديد القيظ والسَّموم، قد لجأ إلى كهفِ جبلٍ عظيم، وهو مطرق، ينكتُ الأرضَ بأصبعه، ويقول:

١ - أَحِنُّ إلى لَيْلَىٰ وَإن شَطَّتِ النَّوى ... بِلَيْلَىٰ كَما حَنَّ اليَراعُ المُثَقَّبُ

٢ - يَقولونَ لَيْلَىٰ عَذَّبَتكَ بِحُبِّها ... أَلا حَبَّذا ذاكَ الحَبيبُ المُعَذِّبُ

فدنا منه وقال: يا قيسُ، هذا كتاب لَيْلَىٰ، وهى تقرأ عليك السلام!

١٣١ إذا جاءنى منها كتابٌ

فلما ذكرها، رجع إليه عقله، واستوى قاعدًا، وتناول الكتابَ وقرأه، وجعل يبكى ويقول:

١ - إذا جاءَنى مِنها الكِتابُ بِعَينِهِ
خَلَوتُ بِبَيتى حَيثُ كُنتُ مِنَ الأَرضِ

٢ - فَأَبكى لِنَفسى رَحمَةً مِن جَفائِها
وَيَبكى مِنَ الهِجرانِ بَعضى عَلى بَعضى

٣ - وَإِنّى لَأَهواها مُسيئًا وَمُحسِنًا
وَأَقضى عَلى نَفسى لَها بِالَّذى تَقضى

٤ - فَحَتّى مَتى رَوحُ الرِّضا لا يَنالُنى
وَحَتّى مَتى أَيّامُ سُخْطِكِ لا تَمضى

(١/١٣٠) النوى: الغُربة، وشطّت: أبعدت، واليَراع المثقب: القصبة التى يزمر فيها الراعى (الأرغول).

(٢) ما أَحَبَّ هذا العذاب إلى قلبى!

(١/١٣١) البيت: المسكن والمأوى، ومكان البيتوتة.

١٣٢ مَنْ مُبلِغٌ عنى الحبيبَ رسالة ؟!

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات :

١ - أَيا مُهدِيًا نَعْىَ الحَبيبِ صَبيحَةً ... بِمَن وَإِلى مَن جِئتُما تَشِيانِ

٢ - بِمَن لَو أَراهُ عانِيًا لَفَدَيتُهُ ... وَمَن لَو رَآنى عانِيًا لَفَدانى

٣ - فَمَن مُبلِغٌ عَنّى الحَبيبَ رِسالَةً ... بِأَنَّ فُؤادى دائِمُ الخَفَقانِ

٤ - وَأَنّيَ مَمنوعٌ مِنَ النَّومِ مُدنَفٌ ... وَعَيناىَ مِن وَجدِ الأَسى تَكِفانِ

١٣٣ وجَدْتُ الحُبّ نيرانًا تَلَظّى !

وضَمنه :

١ - وَجَدتُ الحُبَّ نيرانًا تَلَظّى ... قُلوبُ العاشِقينَ لَها وَقودُ

٢ - فَلَو كانَت إِذا ٱحتَرَقَت تَفانَت ... وَلَكِن كُلَّما ٱحتَرَقَت تَعودُ

٣ - كَأَهلِ النّارِ إِذ نَضِجَت جُلودٌ ... أُعيدَت لِلشَّقاءِ لَهُم جُلودُ

١٣٤ لقد مَحّضَ اللّهُ الهَوَىٰ لكَ خالصًا !

وضَمّنه أيضًا :

١ - أَما وَالَّذى أَعطاكِ بَطشًا وَقُوَّةً ... وَصَبرًا وَأَزرانى وَنَقَّصَ مِن بَطشى

٢ - لَقَد مَحَّضَ اللَّهُ الهَوى لَكِ خالِصًا ... وَرَكَّبَهُ فى القَلبِ مِنّى بِلا غِشِّ

(١/١٣٢) تَشِيَان : تَنِمّان وتسعيان فى الشر والإفساد .

(٢) عانيا : أسيرًا ذليلًا . ومؤنث العانى العانية .

(٤) مُدْنَف : اشتد مرضه ، وأشفى على الموت ، ويقال : أدنفه المرض فهو مُدْنف . تَكِفَان : تسِحَّان دموعًا .

(١/١٣٣) تلَظّى : تتلظى وتلتهب .

(٢) تفانت : فنيت .

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

(١/١٣٤) أزرى بى : عابنى ، ولم يعطنى مثل ما أعطاك .

(٢) محض : جعله محضًا وخالصًا من كل ما يشوبه .

٣ - تَبَرَّأَ مِن كُلِّ الجُسومِ وَحَلَّ بى ... فَإِن مِتُّ يَومًا فَٱطلُبوهُ عَلى نَعشى
٤ - سَلى اللَّيلَ عَنّى هَل أَذوقُ رُقادَهُ ... وَهَل لِضُلوعى مُستَقَرٌّ عَلى فَرشى

♡ أبو المجنون يَعرِضه على الطبيب !

وذكر أبو بكر قال : مَرّ بعضُ الأطباء بِحَيِّهم؛ فسأله أبو المجنون : ما تُعالجُ ؟ قال : أعالجُ كُلّ مَسْحُورٍ مجنون ! قال : مكانَكْ(*) لآتيك بابن لى يَهيم فى الصحراء، فخرجوا فى طلبه . فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه ، وأدخلوه إلى الطبيب ، وأقبل يسقيه ، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول :

١٣٥ ألا يا طبيبَ الجِنِّ ويحَكَ داوِنى !

١ - أَلا يا طَبيبَ الجِنِّ وَيحَكَ داوِنى ... فَإِنَّ طَبيبَ الإِنسِ أَعياهُ دائِيا
٢ - أَتَيتُ طَبيبَ الإِنسِ شَيخًا مُداوِيا ... بِمَكَّةَ يُعطى فى الدَّواءِ الأَمانِيا
٣ - فَقُلتُ لَهُ يا عَمُّ حُكمَكَ فَٱحتَكِم ... إِذا ما كَشَفتَ اليَومَ يا عَمِّ ما بِيا
٤ - فَخاضَ شَرابًا بارِدًا فى زُجاجَةٍ ... وَطَرَّحَ فيهِ سَلوَةً وَسَقانِيا
٥ - فَقُلتُ وَمَرضى النَّاسِ يَسعَوْنَ حَولَهُ ... أَعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنكَ مُداوِيا
٦ - فَقالَ شِفاءُ الحُبِّ أَن تُلصِقَ الحَشا ... بِأَحشاءِ مَن تَهوى إِذا كُنتَ خالِيا

فقال : وايْمُ الله(*) عاشق ، ودواؤه أن يلصق الحَشَا بأحشاء من يحب ، والمجنون يعَضّ شفتيه ولِسَانَه حتى خَلَّوْه ، ثم نهضَ فمضى على وجهه .

---

(٣) الجُسُوم : جمع جسم ، والجسم : الجسد ، وكل شخص يدرك .
(*) اسم فعل أمر بمعنى الزم مكانك لا تبرحه .
(١) وَيْحَك : كلمة ترحم . أعْيَاه : أعجزه .
(٣) حكمك : أريد حكمك ، أو أبغى رأيك فى علاج ما حل بى . فسوف أنزل على حكمك وأعمل برأيك .
(٤) خاض لى شرابًا : خلطه وحرّكه . طرّح فيهِ : طَرح وألقى . والسُّلوَةُ : بفتح السين أو ضمها : كل ما يسلى . ويقال : سقيتنى سلوةً : طيبت نفسى ، ومثلها السُّلوان ، وهو ماء كانوا يزعمون أن العاشق إذا شربه سلا عن حبه .
(٦) الحَشا : ما دون الحجاب مما يلى البطن كله من الكبد والطِّحال وما تبع ذلك .
(*) وايم الله : يمين الله !

١٣٦ رِعَاةَ الليلِ، ما فَعَلَ الصباح ؟! (*)

... فبينما هو يَدُورُ إذْ رَأَى نَارًا فى سَفْحِ أَكَمَة ، فدنا منه ، فإذا هم قومٌ رُعَاة ، فقال :

١ - رُعاةَ اللَّيلِ ما فَعَلَ الصَّباحُ ... وَما فَعَلَت أَوائِلُهُ المِلاحُ ؟
٢ - وَما بالُ الَّذينَ سَبَوْا فُؤادى ... أَقاموا أَم أَجَدَّ بِهِم رَواحُ ؟
٣ - وَما بالُ النُّجومِ مُعَلَّقاتٌ ... بِقَلبِ الصَّبِّ لَيسَ لَها بَراحُ ؟
٤ - كَأَنَّ القَلبَ لَيلَةَ قيلَ يُغْدَىٰ ... بِلَيْلَىٰ العامِرِيَّةِ أَو يُراحُ
٥ - قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فَباتَت ... تُجاذِبُهُ وَقَد عَلِقَ الجَناحُ
٦ - لَها فَرخانِ قَد تُرِكا بِقَفرٍ ... وَعُشُّهُما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ
٧ - إِذا سَمِعا هُبوبَ الريحِ هَبّا ... وَقالا أُمُّنا تَأتى الرَّواحُ
٨ - فَلا بِاللَّيلِ نالَت ما تُرَجّى ... وَلا فى الصُّبحِ كانَ لَها بَراحُ
٩ - رُعاةَ اللَّيلِ كونوا كَيفَ شِئتُم ... فَقَد أَودى بِيَ الحُبُّ المُتاحُ

(*) ذكر صاحب الحماسة الأبيات رقم (٤، ٥، ٦، ٧، ٨) وعزاها لِنُصَيب .

(١-٣) تساؤلات حول ما يحمله الصباح من جديد ، وحول من سلبت فؤادَهُ ، أأقامت أم رحلت؟ وما باله يرعى النجوم وقد طال ليله ، وليل العاشقين طويل ! . إن لَيْلَىٰ تتأهب للرحيل ، فماذا عساه يفعل؟ !

(٤) يُغدى بها : يُذْهَب بها فى الصباح ، ويُراح : أى يُذهب بها فى العَشِيّ .

(٥) قطاةٌ : خبر كأن . وعَزّها : غلبها ، والشرَك : من حبائل الصيد ومعنى البيتين : لما أحسست بالليلة التى همت « لَيْلَىٰ » بالفراق فى صبيحتها ، أو فى وقت الرّواح من عشيتها صار قلبى فى الخفقان كقطاة وقعت فى شرك فبقيت ليلها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له ! . وفى رواية تَجاذَبه : أى تتجاذبه .

(٦) تصفيق الرياح : تحريكها وهبوبُها . والمعنى : أن حال القلب وقد أحسَّ بما ذكر كحال القَطَاة المذكورة ، وقد تركت خلفها فرخين لها فإذا سمعا صوت الريح فى عشهما ظنا أنه صوت جناح أمهما .

(٧) روى صاحب ديوان الحماسة هذا البيت هكذا :

إذا سمعا هبوب الريح نَصّا ... وقد أوْدَى به القدر المتاح

ومعناه : نَصّا؛ أى نصبا أعناقهما ، وأودى : هلك ، والمتاح : المقدر ، والمعنى : فإذا سمعا صوت هبوب الريح ، وظنا بذلك أنه صوت جناح أمهما رفعا أعناقهما ، وقد أهل ذلك العش القدر المقدر .

(٨) البَراح : الخلاص : والمعنى : لم تبلغ تلك القطاة رجاءها لا فى الليل ، ولا فى الصبح .

(٩) أودى بى : أهلكنى .

♡ فارسان ينعيان ليلى إلى المجنون !

وقال أبو بكر : إن المجنونَ بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فى أوديةٍ مُصِلّة ، قد أسنَدَ ظهرَه إلى بعض الصُّوَى ، حزينًا كئيبًا ، إذْ مَرّ به فارسان ، فنعَيَا إليه لَيْلَىٰ(*) ، وقالا :

مضت لسبيلها ، فخرّ المجنون مَغْشِيًّا عليه !

١٣٧ أَيَا نَاعِيَىَّ لَيْلَىٰ بجانب هَضْبَةٍ

فلما أفاق ، أنشأ يقول :

١ - أَيا ناعِيَىَ لَيْلَىٰ بِجانِبِ هَضْبَةٍ ... أَما كانَ يَنعاها إِلَيَّ سِواكُما

٢ - وَيا ناعِيَيْ لَيْلَىٰ بِجانِبِ هَضبَةٍ ... فَمَن بَعدِ لَيْلَىٰ لا أُمِرَّت قُواكُما

٣ - وَيا ناعِيَى لَيْلَىٰ لَقَد هِجتُما لَنا ... تَباريحَ نَوحٍ فى الدِيارِ كِلاكُما

٤ - فَلا عِشتُما إِلّا خَليفَى مُصيبَةٍ ... وَلا مُتُّما حَتّى يَطولَ بَلاكُما

٥ - وَأَسلَمَتِ الأَيّامُ فيها عَجائِبًا ، ... نَبوْتكُما ، إِنّى أُحِبُّ رَداكُما

٦ - أَظُنُّكُما لا تَعلَمانِ مُصيبَتى ... لَقَد حَلَّ بَينُ الوَصلِ فيما أَراكُما

♡ ♡ ♡

(*) يقال : أصَلّ الماء فهو مُصلّ : أى تغير وأنتن . والصُّوى : جمع صُوّة : ما غلظ من الأرض وارتفع ، وما نصب من الحجارة لِيُسْتَدَلَّ به على الطريق .

(١/١٣٧) الناعى : من يحمل خبر الوفاة إلى من يهمه الأمر .

(٢) لا أُمِرّت قواكما : يدعو عليهما بالضعف . يقال : أمَرّ الحبل : فتله وأحكم قوته . وحبل مُمَرّ ، وشديد المِرّة ، وهى الفتل ، وذو مِرّةٍ : ذو قوة . إنه يدعو عليهما بانتقاص قوتهما جزاء ما حملا إليه من نعى محبوبته .

(٣) التباريح : الشدائد ، وتباريح الشوق : توهجه .

(٤) جزاؤهما عنده تلك الدعوات فى الحياة وعند الممات ، أن تحالفهما المصائب ، ويطول بهما البلاء !

(٥) نَبوتكما : أعرضت عنكما ونفرت منكما ، فلم أعد أطيق رؤياكما بل إنى أحب رَداكما ، وموتكما وهلاككما .

(٦) بين الوصل : قطعه ، وحل محله التنائى والتباعد والفراق بعد التدانى .

قال أبو بكر : ثم إنه كان يأوى إلى « قبر لَيْلَىٰ » ويدور نهارَه حتى جفّ جلدُه .

١٣٨ أيا قَبرَ لَيلَىٰ !

❁ قال : ثم مَضَى حتى دَخَل الحيَّ بَعْدَمَا لم يكن يَمُرّ به إلا من بعيد ، فأتى أهْلَ بيتها ، فعزّاهم فعزّوه ، فقال : دُلّونى على قبرها ، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر ، والتزمه ، وأنشأ يقول :

١ - أَيا قَبرَ لَيْلَىٰ لَو شَهِدناكَ أَعوَلَت ... عَلَيكَ نِساءٌ مِن فَصيحٍ وَمِن عَجَم

٢ - وَيا قَبرَ لَيْلَىٰ أَكرِمَنَّ مَحِلَّها ... يَكُن لَكَ ما عِشنا عَلَينا بِها نِعَم

٣ - وَيا قَبرَ لَيْلَىٰ إِنَّ لَيْلَىٰ غَريبَةٌ ... بِأَرضِكَ لا خالٌ لَدَيها وَلا اِبنُ عَم

٤ - وَيا قَبرَ لَيْلَىٰ ما تَضَمَّنتَ قَبلَها ... شَبيهًا لِلَيْلَىٰ ذا عَفافٍ وَذا كَرَم

٥ - وَيا قَبرَ لَيْلَىٰ غابَتِ اليَومَ أُمُّها ... وَخالَتُها وَالحافِظونَ لَها الذِّمَم

❁ قال أبو بكر : ثم إنه كان يأوى إلى « قبر لَيْلَىٰ » ، ويدور نهارَه حتى جفّ جلدُه على عَظْمِه ، واشتدت بليّتُه ، فمكث على ذلك دَهْرًا ، ثم إن رجُلًا أَحَبَّ لِقاءَه والنَّظَرَ إليه ، وإلى ناحية نجد . قال الرجل : فلما صرتُ إلى بلدهم سِرْت إلى مَحِلّتِهم؛ فإذا أبوه شيخ كبير ، وحوله أبناء ذَوُو أموال ، وهيئات ، ونِعَم ظاهرة ، فسألْتُهُمْ عن المجنون فبكوا بكاءً شديدًا ، ثم قال الشيخ : كان - والله - أحسن هؤلاء ! ، وإنه عشق امرأةً من قومه ، لم تكن فى المال مثله ، فلم أر تزويجها إياه ، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ ، فلما تمادى به الحبُّ طلبناها ، فمنعها أبوها ، ثم زوّجَها غيره ، فجن ابنى بها وجْدًا ، فحبسناه ، وقيدناه ، فكان يَعضُّ لسانَه وشفتيه حتى كاد يقطعهما ، فلما رأينا منه ذلك خَلَّينَا سبيلَه ، فذهبَ فى هذه الفيافى(*) يرعى مع الوحوش ، ويَرِدُ المياه ، ونحن نبعث إليه كل يوم بطعامٍ وشرابٍ فيوضَع له حيث يَرَى؛ فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل .

(١/١٣٨) أعولت : رفعت صوتها بالبكاء والصياح والعويل .

(٢) النِّعَم : جمع نعمة ، ويراد بها هنا الصنيعة . يقال : لك عندى نِعمة لا تنكر : مِنّةً وفضل . ومَحِلّها : حلولها ونزولها عليك فى ضيافتك .

(٣) الذِّمم : جمع ذمّه ، والذّمة : العهد .

(*) الفيافى : الصحارى . والواحدة : فيفاة .

قلت : فإنى أُحِبّ لقاءه ، فدُلونى عليه . قالوا : اخْرُجْ إلى هذه الصحراء ، فإنك تصيبه هناك . قلت : فإذا رأيته كيف أحتال لِلدُّنُوّ منه ؟ قالوا : فإذا رأيتَه فأنشِدْه بعضَ شعر « قيس ابن ذَرِيح »؛ فإنه معجَب بشعره .

♡ ♡ ♡

١٣٩ المجنون يستمع إلى شعر «قيس بن ذَرِيح»

قال الأعرابى : فذهبت فأصَبْتُه قَاعِدًا يَلْعَبُ بالتُّراب ، فجلست قريبًا منه ، فأقبل يلاحظنى ساعة بعد ساعة ، فقلت : أحسن - واللَّهِ - « قيس بن ذَرِيح » حيث يقول :

١ - وَإِنّى لَمُفنٍ دَمعَ عَينِيَ بِالبُكا ... حِذارًا لِما قَد كانَ أَو هُوَ كائِنُ

٢ - وَما كُنتُ أَخشى أَن تَكونَ مَنِيَّتى ... بِكَفِّيَ إِلَّا أَنَّ ما حانَ حائِنُ

٣ - وَقالوا غَدًا أَو بَعدَ ذاكَ بَلِيَّةٌ ... فِراقُ حَبيبٍ بانَ أَو هُوَ بائِنُ

١٤٠ إلى اللَّه أشكو حُبَّ لَيلَى !

قال : فبكى بكاءً شَديدًا ، وسالت دُمُوعه على خَدِّه ، وأنشأ يقول :

١ - لِصَفراءَ فى قَلبى مِنَ الحُبِّ شُعبَةٌ ... هَوًى لَم تَرُمهُ الغانِياتُ صَميمُ

٢ - بِهِ حَلَّ بَيتَ الحَيِّ ثُمَّ ٱنثَنى بِهِ ... فَزالَت بُيوتُ الحَيِّ وَهوَ مُقيمُ

٣ - وَمَن يَتَهيَّض حُبَّهُنَّ فُؤادَهُ ... يَمُت وَيَعِش ما عاشَ وَهوَ سَقيمُ

(١/١٣٩) حِذَارًا : خوفًا . (٢) منيتى : موتى .

(٣) بان : بعد وافترق . وذكر داود فى « تزيين الأسواق » فى مناسبة هذه الأبيات أن « قيس بن ذَرِيح » لما أزمعت « لُبنى » الرحيل بعد العدة جاء وقد قُوّض فُسطاطُها ، فسأل الجارية عن أمرهم ، فقالت : سَلْ لُبنى ، فأتى إليها فمنعه أهلها ، وأخبروه أنها غداة غد ترحل إلى أهلها فسقط مغشيًّا عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات الثلاثة .

(١/١٤٠) صفراء - كما جاء فى القاموس المحيط - وادٍ بين الحرمين . له فى قلبه شعبة من حُبٍّ صميم خالصٍ لم تطلبه الغانيات وهن المستغنيات بجمالهن عن الزينة .

(٢) قد يقول قائل : ولم كل هذا الحب وتلك المنزلة؟ ويجيب قيس فى هذا البيت : لقد حل به بيت من يحب ذات يوم ثم راح وتركه على حاله مقيمًا . وانثنى : انعطف .

(٣) يتهيض حُبَّهن فؤادَه : يُعَاوِده . يقال : تَهيض الغرام فلانًا : عاوده . فهو سقيم : يطول مرضه .

٤ - فَحَرّان صادٍ ذِيدَ عَن بَردِ مَشرَبٍ ... وَعَن بَلَلاتِ الماءِ وَهوَ يَحومُ
٥ - بَكَت دارُهُم مِن فَقدِهِم وَتَهَلَّلَت ... دُموعي فَأَيَّ الجازِعَينِ أَلومُ
٦ - أَهَذا الَّذي يَبكي مِنَ الهُونِ وَالبَلا ... أَم آخَرَ يَبكي شَجوَهُ وَيَهيمُ ؟!
٧ - إِلى اللَّهِ أَشكو حُبَّ لَيلَىٰ كَما شَكا ... إِلى اللَّهِ فَقدَ الوالِدَينِ يَتيمُ
٨ - يَتيمٌ جَفاهُ الأَقرَبونَ فَعَظمُهُ ... كَسيرٌ ، وَفَقدُ الوالِدَينِ عَظيمُ
٩ - أَفي الحَقِّ هَذا أَنَّ قَلبَكَ فارِغٌ ... وَقَلبِيَ مِمّا قَد أَجَنَّ يَهيمُ ؟!
١٠ - إِذا ذُكِرَت لَيلَىٰ أَنَّ لِذِكرِها ... كَما أَنَّ بَينَ العائِداتِ سَقيمُ
١١ - عَلَيَّ دِماءُ البُدْنِ إِن كانَ حُبُّها ... عَلى النَّأيِ في طولِ الزَّمانِ يَريمُ
١٢ - دَعوني فَما عَن رَأيِكُم كانَ حُبُّها ... وَلَكِنَّهُ حَظٌّ لَها وَقَسيمُ

(١٤١) لَم تَزَل مُقلَتي تَفيضُ بِدَمعٍ !

❁ وقال أيضًا :

١ - لَم تَزَل مُقلَتي تَفيضُ بِدَمعٍ ... مِثلِ فَيضِ الغُيوثِ مُذ فَقَدَتها
٢ - مُقلَةٌ دَمعُها حَثيثٌ وَأُخرى ... كُلَّما جَفَّ دَمعُها أَسعَدَتها

---

(٤) مسكين مَن يتَهَيّض حُبهن فؤاده ! فما أشبهه بحرّان فعل به العطش ما فعل حتى إذا اقترب من الماء ذِيدَ ، ودُفع ورُدّ عنه ومُنِعَ عن مشَربٍ بارد ، وعن قطرات يبل بها عطشه ، وهو يحوم حول الماء .

(٥) الجازِعَين : دارهم وعينى . والجزع : عدم الصبر على ما نزل : وتهلّلت دموعى : هَلّت وتساقطت ، واشتد انصبابها وفى البيت القادم بيان المراد من الجازعين .

(٦) الهُون : الذل . والبلا : مقصورة البلاء ، ويراد به المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها ، والغم والحزن . شَجْوه : حزنه على تذكر الإلف .

(٨) جفاه الأقربون : قاطعوه ، وأعرضوا عنه .

(٩) أجَنّ : أكَنّ .

(١٠) أنَّ : تأوّه : والعائدات : الزائرات .

(١١) البُدن : جمع بدنة وهى ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانًا ، وكانوا يسمنونها لذلك . والنأى : البعد . ويَريم : يفارق قلبى على الرغم من نأيها وبعدها ، على خلاف ما يقال : إن البعيد عن العين بعيد عن القلب .

(١/١٤١) المقلة : العين . والغُيوث : جمع غيث ، وهو المطر .

(٢) حثيث : سريع - أسْعَدتها : ساعدتها وأعانتها .

٣ - ما جَرَت هَذِهِ عَلى الخَدِّ حَتّى ... لَحِقَت تِلكَ بِالَّتي سَبَقَتها
٤ - دَمعَةٌ بَعدَ دَمعَةٍ فَإِذا ما ... لَحِقَت تِلكَ هَذِهِ أَحدَرَتها

١٤٢ سَأَستَعطِفُ الأيامَ فيكِ لَعَلّها

قال الأعرابى : فأقسمت عليه أن يُنْشِدَنى بعضَ أشعاره ، فأنشد يقول :

١ - لَئِن كَثُرَت رُقّابُ لَيلَىٰ فَطالَما ... لَهَوتُ بِلَيلَىٰ ما لَهُنَّ رَقيبُ
٢ - وَإِن حالَ يَأسٌ دونَ لَيلَىٰ فَرُبَّما ... أَتى اليَأسُ دونَ الشَّيءِ وَهوَ حَبيبُ
٣ - وَمَنَّيتِني حَتّى إِذا ما رَأَيتِني ... عَلى شَرَفٍ لِلناظِرينَ يَريبُ
٤ - صَدَدتِ وَأَشمَتِّ العِداةَ بِهَجرِنا ... أَثابَكِ فيما تَصنَعينَ مُثيبُ
٥ - أُبَعِّدُ عَنكِ النَّفسَ وَالنَّفسُ صَبَّةٌ ... بِذِكرِكِ وَالمَمشى إِلَيكِ قَريبُ
٦ - مَخافَةَ أَن تَسعى الوُشاةُ بِظِنَّةٍ ... وَإِكرامُكُم أَن يَستَريبَ مُريبُ
٧ - أَما وَالَّذى يَتلو السَّرائِرَ كُلَّها ... وَيَعلَمُ ما تُبدى بِهِ وَتَغيبُ
٨ - لَقَد كُنتِ مِمَّن تَصطَفى النَّفسُ خُلَّةً ... لَها دونَ خُلّانِ الصَّفاءِ حُجوبُ
٩ - وَإِنّى لَأَستَحيِيكِ حَتّى كَأَنَّما ... عَلَيَّ بِظَهرِ الغَيبِ مِنكِ رَقيبُ
١٠ - تَلَجّينَ حَتّى يَذهَبَ اليَأسُ بِالهَوى ... وَحَتّى تَكادَ النَّفسُ عَنكِ تَطيبُ

---

(٤) أحدرتها : أسالتها .

(١/١٤٢) رُقّاب : جمع رقيب . (٣) شرفٍ : مكان عالٍ

(٤) صددتِ : هجرتِ . (٥) صَبَّةٌ : مشتاقة فى رقة .

(٦) الوُشاة : جمع واشٍ : وهو الساعى بالفساد النمام . ومَظِنّةُ الشيءِ : موضعه ومألفُه الذى يظن كونه فيه والجمع مظَانّ . يستريب : يرى منك ما يريبه .

(٧) يبلو السرائر : يختبر ما يكتم ويُسَرّ ، والسرائر : جمع سريرة تبدى ، وتغيب : أى يعلم ما ظهر وما خفى .

(٨) تصطفى : تفضل وتختار . ويقال : خُلَّةُ الإنسان : أهل مودته ، وخُلّةُ الرجل : زوجته .

(٩) أستحييك : أخجل منك . بظهر الغيب : أى حيث لا أراك ولا ترينى . يقال : تكلم عن ظهر الغيب ، وسمعت صوتًا من وراء الغيب : من موضع لا أراه .

(١٠) تَلَجّين : تتمادين فى الخصومة . تطيب النفس عنها : تتركها ، يقال : طابت نفسه بالشيء : وافقها وارتاحت إليه أو سمحت به ، وعنه نفسًا : تركه .

١١ - سَأَستَعطِفُ الأَيامَ فيكِ لَعَلَّها بِيَومِ سُرورى فى هَواكِ تَئُوبُ

١٤٣ أَلاَ هَلْ طلوعُ الشمس يُهدِى ؟!

❁ وقال أيضًا :

١ - أَلا هَل طُلوعُ الشَّمسِ يُهدى تَحيَّةً إِلى آلِ لَيلَىٰ أَو دُنُوُّ غُروبِها
٢ - أَتُضرَبُ لَيلَىٰ إِن مَرَرتُ بِذى الغَضَىٰ وَما ذَنبُ لَيلَىٰ إِن طَوى الأَرضَ ذِيبُها
٣ - أَجَل وَعَلَىَّ الرَّجمُ إِن قُلتُ حَبَّذا غُروبُ ثَنايا أُمِّ عَمرٍو وَطيبُها

١٤٤ فيالَيتَ لَيلَىٰ وافقت كلَّ حَجَّةٍ !

❁ وقال أيضًا :

١ - فَيا لَيتَ لَيلَىٰ وَافَقَت كُلَّ حَجَّةٍ قَضاءً عَلى لَيلَىٰ وَأَنّى رَفيقُها
٢ - فَتَجمَعَنا مِن نَخلَتَينِ ثَنِيَّةٌ يَغَصُّ بِأَعضادِ المَطِيِّ طَريقُها
٣ - فَأَلقاكِ عِندَ الرُّكنِ أَو جانِبِ الصِّفا وَيَشغَلَ عَنّا أَهلَ مَكَّةَ سوقُها
٤ - فَأُنشِدُها أَن تَجزِيَ الهُونَ وَالهَوى وَتَمنَحَ نَفسًا طالَ مَطلًا حُقوقُها

---

(١١) تئوب : ترجع . (١/١٤٣) دُنُوّ : قرب .

(٢) الغضى : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمانًا طويلًا لا ينطفئ . وأهل الغضى : أهل نجد لكثرته هنالك ، وذى الغضى : مكان . ذيبها : ذئبها .

(٣) أجَلْ : نعم . أستحق الرجم إن تغزلت فى لَيْلَىٰ ، و« أم عمرو » كنية لَيْلَىٰ . والثنايا : جمع ثنية؛ وهى إحدى الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم ثنتان من فوق ، وثنتان من تحت : وغروب الثنايا : ماؤها وظَلْمُها . قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : وكأن غروب أسنانها وميض البرق أى : ماءها وظَلْمتها .

(١/١٤٤-٢) يتمنى أن يكون رفيقها فى رحلة الحج كى تجمعهما « ثنية » طريق فى وسط الجبل تمتلئ بالمطىّ التى تحمل حجاج بيت الله ! قال فى القاموس المحيط : والثنية : العقبة ، أو طريقها ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه وإليه . من نخلتين : نخلة الشامية واليمانية واديان على ليلة من مكة شرفها الله تعالى . وخمسة مواضع أخر . يغصّ : يزدحم . بأعضاد : جمع عضد .

(٣) ويتمنى أن يكون اللقاء بين يدى الله ، وعند مناسك الحج ، على أن يكون أهل مكة فى شغل عنهما بسوقهم وتجارتهم .

(٤) أنْشدُها : أذكّرها وأستعطفها . الهُون : الشّدّة . الهوى : العشق . والمطل : التسويف والمماطلة والتهرب من تحقيق الأمل المنشود .

قال : فلما فرغ انصرفت إلى الحىّ ، وحدثتهم بحديثه ، وما أنشدنى من شعره؛ فقالوا لى : ويحك ! ، إن رجعت إليه ، فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التى قالها فى الثَّمَديْن؛ فقد جهدنا على نسخها؛ فلم نقدر عليها !

١٤٥ فواكبدى !

[لقيس بن ذريح]

❁ قال الأعرابى : فمررت إليه ثانيًا؛ لم أزل أطلبه حتى وجدتُه على قوز من الأرض ، قد كوّمته الريح كومًا يخط بأصبعه فيه ، فدنوت ، وجلست إليه ، وهو يلاحظنى ، فقلت : أحسن والله قيس بن ذريح(*) حيث يقول :

١ - فَواكَبدى وَعاوَدَنى رُوَاعى ... وَكانَ فِراقُ لُبْنَىٰ كَالخِداعِ
٢ - تَكَنَّفَنى الوُشاةُ فَأَزعَجونى ... فَيا لَلَّهِ لِلواشى المُطاعِ
٣ - فَأَصبَحتُ الغَداةَ أَلومُ نَفسى ... عَلى شَيءٍ وَلَيسَ بِمُستَطاعِ
٤ - كَمَغبونٍ يَعَضُّ عَلى يَدَيهِ ... تَبَيَّنَ غَبنَهُ بَعدَ البَياعِ
٥ - إذا ما تُذْكَرِينَ تَحِنّ نَفسى ... حنينَ الإلفِ يَطْرَبُ لِلسَّماعِ

قال المجنون : بلى والله ، ثم استعْبَر حِينًا ! !

١٤٦ فوالله ثم والله !

❁... ثم قال : أنا أشعر منه حيث أقول :

١ - فَوَاللَّهِ ثُمَّ وَاللَّهِ إِنّى لَدائِبٌ ... أُفَكِّرُ ما ذَنبى إِلَيكِ فَأَعجَبُ
٢ - وَوَاللَّهِ ما أَدرى عَلامَ هَجَرتِنى ... وَأَيَّ أُمورى فيكِ يا لَيلَ أَركَبُ

(*) قَوْز : كثيب عالٍ من الرمل ، والجمع أقواز ، وقيزان . وقيس بن ذريح : هو قيس لبنى ، وكان - كما قال المؤرخون - معاصرًا لقيس بن الملوّح صاحب لَيْلَىٰ .

(١/١٤٥) رُوَاعى : رجوعى إليها وحنينى وشوقى ، كالخِداع : إظهار غير ما فى النفس ، والمراد به : إرادة المكروه من حيث لا يعلم .

(٢) تكنّفنى الوشاة : أحاطوا بى من كل جانب .

(٤) المغبون فى البيع : المغلوب . يعض على يديه : ندمًا على ما فاته !

٣ - أَأَقطَعُ حَبلَ الوَصلِ فَالمَوتُ دونَهُ أَمَ اشرَبُ كَأسًا مِنكُمُ لَيسَ يُشرَبُ
٤ - أَمَ اهرُبُ حَتّى لا أَرى لى مُجاوِرًا أَمَ افعَلُ ماذا أَم أَبوحُ فَأُغلَبُ
٥ - فَأَيُّهُما يا لَيلَ ما تَفعَلينَهُ فَأَوَّلُ مَهجورٌ وَآخَرُ مُعتَبُ
٦ - فَلَو تَلتَقى أَرواحُنا بَعدَ مَوتِنا وَمِن دونِ رَمسَينا مِنَ الأَرضِ مَنكِبُ
٧ - لَظَلَّ صَدى رَمسى وَإِن كُنتُ رِمَّةً لِصَوتِ صَدى لَيلَى يَهِشُّ وَيَطرَبُ

١٤٧ ألا يا نسيمَ الريح !

❁ قال : فإن لم أكن أشعر منه فى هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :

١ - أَلا يا نَسيمَ الرِّيحِ حُكمُكَ جائِرٌ عَلَىَّ إِذا أَرضَيتَنى وَرَضيتُ
٢ - أَلا يا نَسيمَ الرِّيحِ لَو أَنَّ واحِدًا مِنَ النَّاسِ يُبليهِ الهَوى لَبَليتُ
٣ - فَلَو خُلِطَ السُّمُّ الذُّعافُ بِريقِها تَمَصَّصتُ مِنهُ نَهلَةً وَرَوَيتُ

ثم قال : فإن لم أكن أشعر منه فى هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :

١٤٨ رُضابٌ كريحِ المسكِ

١ - وَعارَضْنَ بِالعِقيانِ كُلَّ مُفَلَّجٍ بِهِ الظَّلمُ لَم تَقلَلْ لَهُنَّ غُروبُ

(٣/١٤٦) ليس يشرب : لا طاقة لى على احتماله .

(٦) رمسينا : قبرينا . منكب : يراد به الموضع المرتفع من الأرض .

(٧) الصَّدى : رجع الصوت يرده الجبل ونحوه ، وطائر خرافى زعموا أنه يخرج من رأس المقتول ، ولا يزال يقول : اسقونى حتى يؤخذ بثأره . ولكنه هنا يَهَشُّ ويطرب : سرورًا وانشراحًا لدى صوت لَيْلَى .

(١/١٤٧) جائر : مائل عن الحق والعدل .

(٢) يُليه : يذيبه ، ويفتته ، ويغنيه .

(٣) السُّم الذُّعاف : سريع القتل . نَهْلَةً : يقال : ما سُقِى إلا نهلة : أى : مرة واحدة . ورَويت : ارتويت من ريقها .

(١/١٤٨) عارَضْن : بارين ونافَسْنَ . العِقيان : الذهب الخالص مما يختلط به . مُفَلَّج : بين أسنانه تباعد وهو ما يحبه العرب ، والظَّلْم – بفتح الظاء وسكون اللام – : ماء الأسنان وبريقها . والغُرُوب جمع غَرْب وهو كثرة الريق فى الفم . وتقلل : تنقص .

٢ - رُضابٌ كَريحِ المِسكِ يَجلو مُتونَهُ مِنَ الضَّرو أَو فَرخِ البَشامِ قَضيبُ

ثم غشى عليه ، فلما أفاق قلت : أحسن - والله - قيس بن ذَريح حيث يقول :

١٤٩ هبونى امرأ إن تحسنوا فهو شاكر

[لقيس بن ذَريح]

١ - هَبونى ٱمرَأً إن تُحسِنوا فَهوَ شاكِرٌ لِذاكَ وَإن لَم تُحسِنوا فَهوَ صافِحُ

٢ - وَإن يَكُ أَقوامٌ أَشارُوا بِقَتلِها فَإنَّ الَّذى بَينى وَبَينَكِ صالِحُ

٣ - فَما وَجِدَت وَجدى بِها أُمُّ واحِدٍ بِواحِدِها ضُمَّت عَلَيهِ صَفائِحُ

٤ - وَجَدتُ بِها وَجدَ المُضِلِّ رِكابُهُ بِمَكَّةَ وَالرُّكبانُ غادٍ وَرائِحُ

فقال : أنا أشْعَرُ منه حيث أقول :

١٥٠ تجافيت عنى !

١ - وَأَدنَيتِنى حَتّى إذا ما فَتَنتِنى بِقَولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهلَ الأَباطِحِ

٢ - تَجافَيتِ عَنّى حينَ لا لِيَ حيلَةٌ وَغادَرتِ ما غادَرتِ بَينَ الجَوانِحِ

---

(٢) رُضَاب : ريق ، ويسمى الرّيق المرشوف رُضابًا . والمتون جمع متن ، وهو ما ارتفع وصلب ، ويراد بها الأسنان ، ويجلوها يجعلها أكثر بريقًا ولمعانًا ، والبَشام : جمع بَشَامة وهى شجرة طيبة الريح والطعم يستاك بها ، والقضيب : عود من البشام أو الأراك وهو السواك . والضَّرو : شجرة الكَنكام ، والضَّروة من صغار النبت .

(٣/١٤٩) وجدت : حزنت - ضمت إليه صفائح : مات ودفن . إن حزنه على لبنى لا يساميه حزن والدة على ولدها الوحيد ، والصفائح كل عريض من الحجارة .

(٤) المطِلّ : الذى أشرف ودنا بينما الركبان قد سبقوه فهم بين غَادٍ ورائح .

(١/١٥٠) العُصْم : جمع أعصم وهى من الوعول الجبلية التى فى قوائمها بياض ومن عاداتها سكنى أعالى الجبال ، والأباطح : جمع أبطح ، وهو بطن الوادى والمكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصّغار ، ومنه أبطح مكة . والمراد : أنها ألانت له الحديث ، وأعطته الأمان بكلامها الذى يجعل الوعول تتحول من الجبال إلى سهل الأباطح لإحساسها بالأنس والأمان بعد التوحش .

(٢) تجافيت : تباعدت ، والجوانح : جمع جانحة ، وهى الضِّلَع القصيرة مما يلى الصدر ، وما بين الجوانح هو القلب !

وقد جاء الشطر الأول من البيت الثانى فى الحماسة بلفظ :

* تناهيت عنى حين لا لى حيلة *

=

♡ أَطْوَلُ قصائدِ المجنونِ وأرقُّها وأَجملُها

... فقلت : سألتك بحق قبر لَيْلَىٰ(*) أن تنشدنى قصيدتك التى قلتَها فى الثَّمَديْن ، وقد كنت أخذت معى دواةً وقِرطاسًا ، فأنشد :

(١٥١) تذكرت ليلى !!

١ - تَذَكَّرتُ لَيْلَىٰ وَالسِّنينَ الخَوالِيا ... وَأَيّامَ لا نَخشى عَلى اللَّهوِ ناهِيا

٢ - وَيَومٍ كَظِلِّ الرُّمحِ قَصَّرتُ ظِلَّهُ ... بِلَيْلَىٰ فَلَهّانى وَما كُنتُ لاهِيا

٣ - بِثَمْدَيْن لاحَت نارُ لَيْلَىٰ وَصُحبَتى ... بِذاتِ الغَضى تُزجى المَطِيَّ النَّواجِيا

٤ - فَقالَ بَصيرُ القَومِ أَلمَحتُ كَوكَبًا ... بَدا فى سَوادِ اللَّيلِ فَردًا يَمانِيا

٥ - فَقُلتُ لَهُ بَل نارُ لَيْلَىٰ تَوَقَّدَت ... بِعَليا تَسامى ضَوءُها فَبَدا لِيا

٦ - فَلَيتَ رِكابَ القَومِ لَم تَقطَعِ الغَضى ... وَلَيتَ الغَضى ماشى الرِّكابَ لَيالِيا

٧ - فَيا لَيلَ كَم مِن حاجَةٍ لى مُهِمَّةٍ ... إِذا جِئتُكُم بِاللَّيلِ لَم أَدرِ ماهِيا

٨ - خَليلَىَّ إِن تَبكِيانِىَ أَلتَمِس ... خَليلًا إِذا أَنزَفتُ دَمعى بَكى لِيا

= ومعنى البيتين : وقربتنى يا عزة بكلام لرقته وعذوبته ينزل الوعول الوحشية التى يتعذر صيدها من الجبال إلى بطون الأودية أو إلى الأرض السهلة اللينة حتى إذا صرت فى يدك تباعدت عنى فى الوقت الذى رأيت أنه ليس لى فيه حيلة ، وتركت بين الضلوع ما تركت من نار الشوق والغرام .

(*) قال داود . فى « تزيين الأسواق فى أخبار العشاق » : وأما قصيدته الموسومة بـ« المؤنسة » فهى أطول قصيدة أنشدها ، وواظب عليها؛ قيل : إنه كان يحفظها دون أشعاره ، وإنه كان لا يخلو بنفسه إلا وينشدها .

وهى من محاسن الأشعار ، وأرقِّها لفظًا ، وأعذبها سبكًا ، وألطفها شجوًا ، وأبلغها نسيبًا وغزَلًا ، تهيج الشجون ، وتعين المحزون .

وأقول : الحلف بغير الله لا يجوز لأحد منا - نحن المسلمين - أن نحلف بآبائنا ولا بأمهاتنا ، ولا بالأحياء أو الأموات ، ولا بالأشياء ، فمن حلف فليكن حالفًا بالله أو ليسكت .

(١) الخوالى : الماضيات . وأيام لا نخشى على اللهو ناهيًا : أيام الصغر .

(٣) الثمدين : تثنية ثمد ، وهو مكان ، والثَّمد : الماء القليل .

(٦) الغَضَى : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمانًا طويلًا لا ينطفئ . واحدته غضاة . وأهل نجد هم أهل الغَضَى لكثرته هنالك .

(٨) لِى - بكسر اللام وسكون الياء . وأنزفت دمعًا : أى أفرغت دمعى .

٩ - فَما أُشرِفُ الأَيفاعَ إِلَّا صَبابَةً ... وَلا أُنشِدُ الأَشعارَ إِلَّا تَداوِيا

١٠ - وَقَد يَجمَعُ اللَّهُ الشَّتيتَينِ بَعدَما ... يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَن لا تَلاقِيا

١١ - لَحا اللَّهُ أَقوامًا يَقولونَ إِنَّنا ... وَجَدنا طوالَ الدَّهرِ لِلحُبِّ شافِيا

١٢ - وَعَهدى بِلَيْلَىٰ وَهيَ ذاتُ مُؤصِدٍ ... تَرُدُّ عَلَينا بِالعَشِيِّ المَواشِيا

١٣ - فَشَبَّ بَنو لَيْلَىٰ وَشَبَّ بَنو ٱبنِها ... وَأَعلاقُ لَيْلَىٰ فى فُؤادى كَما هِيا

١٤ - إِذا ما جَلَسنا مَجلِسًا نَستَلِذُّهُ ... تَواشَوْا بِنا حَتّى أَمَلَّ مَكانِيا

١٥ - سَقى اللَّهُ جاراتٍ لِلَيْلَىٰ تَباعَدَت ... بِهِنَّ النَّوى حَيثُ ٱحتَلَلنَ المَطالِيا

١٦ - وَلَم يُنسِنى لَيْلَىٰ ٱفتِقارٌ وَلا غِنًى ... وَلا تَوبَةٌ حَتّى ٱحتَضَنتُ السَّوارِيا

١٧ - وَلا نِسوَةٌ صَبغنَ كَبداءَ جَلْعَدًا ... لِتُشبِهَ لَيْلَىٰ ثُمَّ عَرَّضنَها لِيا

١٨ - خَليلَيَّ لا وَاللَّهِ لا أَملِكُ الَّذى ... قَضى اللَّهُ فى لَيْلَىٰ وَلا ما قَضى لِيا

١٩ - قَضاها لِغَيرى وَٱبتَلانى بِحُبِّها ... فَهَلَّا بِشَيءٍ غَيرِ لَيْلَىٰ ٱبتَلانِيا

---

(٩) أُشْرِفُ : أعلو وأصعد ، والأيفاع : كل ما ارتفع ، والمشرف من الأرض والجبال والرمل .

(١٠) الشتيتين : تثنية شتيت : المتفرق ، والجمع شتى . والبيت من شواهد النحو .

(١١) لحا الله أقوامًا : قَبَّحهم ولعنهم .

(١٢) وعهدى بها أيام أن كنا نرعى الغنم . ويقال : أوْصَد : اتخذ وصيدة كالحظيرة للغنم . لقد كنا ندع أغنامنا تغدو إلى حيث المرعى ، وترد علينا بالعشىّ .

(١٣) الأعلاق جمع عِلْق - بكسر العين - كل نفيس يتعلق به القلب منها ويحبه ويميل إليه .

(١٤) تواشوا : تبادلوا الوشاية بيننا حتى أكره مجلسها وأمَلّه ! وأنّى لهم ذلك !

(١٥) المطاليا : الأماكن التى يسير فيها . ويدعو لهن بالسقيا وهى من الأدعية المحببة لدى العرب لما يترتب عليها من ازدهار وطيب عيش .

(١٦) السواريا : جمع سارٍ ، وهو ما يطوف بالليل من أطياف المحبوب .

(١٧) الكَبْداء - بالباء - المرأة الضخمة الوسط البطيئة السير . والجَلْعَد : من النساء : المسنة؛ كما جاء فى المحيط . وأين هذه من لَيْلَىٰ؟ ألا ما أبعد الفرق ! !

(١٩) جاء فى الأغانى ما يلى : حدثنا الحسن بن على عن ابن الكلبى قال : لما قال مجنون بنى عامر :

قضاها لغيرى ، وابتلانى بحبها ... فهلا بشىء ، غير ليلى ، ابتلانيا؟ !

نودى فى الليل : أنت المتسخط لقضاء الله ، والمعترض فى أحكامه؟ ! واختُلِسَ عقلُه ، فتوحَّشَ منذ تلك الليلة ، وذهب مع الوحش على وجهه !

٢٠ - وَخَبَّرتُماني أَنَّ تَيماءَ مَنزِلٌ لِلَيلَىٰ إِذا ما الصَّيفُ أَلقى المَراسِيا

٢١ - فَهَذى شُهورُ الصَّيفِ عَنّا قَدِ ٱنقَضَت فَما لِلنَّوى تَرمي بِلَيلَىٰ المَرامِيا

٢٢ - فَلَو أَنَّ واشٍ بِاليَمامَةِ دارُهُ وَدارى بِأَعلى حَضرَمَوتَ ٱهتَدى لِيا

٢٣ - وَماذا لَهُم لا أَحسَنَ اللَّهُ حالَهُم مِنَ الحَظِّ في تَصريمِ لَيلَىٰ حِبالِيا

٢٤ - وَقَد كُنتُ أَعلو حُبَّ لَيلَىٰ فَلَم يَزَل بِيَ النَّقضُ وَالإِبرامُ حَتّى عَلانِيا

٢٥ - فَيا رَبِّ سَوِّ الحُبَّ بَيني وَبَينَها يَكونُ كَفافًا لا عَلَيَّ وَلا لِيا

٢٦ - فَما طَلَعَ النَّجمُ الَّذى يُهتَدى بِهِ وَلا الصُّبحُ إِلَّا هَيَّجا ذِكرَها لِيا

٢٧ - وَلا سِرتُ مِيلًا مِن دِمَشقَ وَلا بَدا سُهَيلٌ لِأَهلِ الشامِ إِلَّا بَدا لِيا

٢٨ - وَلا سُمِّيَت عِندى لَها مِن سَمِيَّةٍ مِنَ النّاسِ إِلَّا بَلَّ دَمعى رِدائِيا

٢٩ - وَلا هَبَّتِ الرِّيحُ الجَنوبُ لِأَرضِها مِنَ اللَّيلِ إِلَّا بِتُّ لِلرِّيحِ جانِيا

٣٠ - فَإِن تَمنَعوا لَيلَىٰ وَتَحموا بِلادَها عَلَيَّ فَلَن تَحموا عَلَيَّ القَوافِيا

٣١ - فَأَشهَدُ عِندَ اللَّهِ أَنّى أُحِبُّها فَهَذا لَها عِندى فَما عِندَها لِيا

٣٢ - قَضى اللَّهُ بِالمَعروفِ مِنها لِغَيرِنا وَبِالشَّوقِ مِنّى وَالغَرامِ قَضى لِيا

٣٣ - وَإِنَّ الَّذى أَمَّلتُ يا أُمَّ مالِكٍ أَشابَ فُوَيدَىَّ وَٱستَهانَ فُؤادَيا

---

(٢٠) تيماء : ناحية الشام والحجاز وما يلى تيماء . والسراة (الأرض الحاجزة بين تهامة ونجد) .

(٢١) النوى : البعد . ترمى بها المراميا : تقصيها عنى وتبعدها .

(٢٣) تصريم : تقطيع وتمزيق . حبالي : أواصر الود والمحبة .

(٢٤) النقض والإبرام . نقض ما أبرمه : أبطله .

(٢٥) كفافًا : متماثلًا متساويًا . يقال : هذا كفاف ذاك مثله ومقداره .

(٢٧) سُهَيلٌ : نجم من النجوم اليمانية ، وفى المثل : « إذا طلع سهيل رُفع كيل ووضع كيل » يضرب فى تبدل الأحكام . وقيل : عند طلوعه تنضج الفواكه ، وينقضى القيظ .

(٣٠) القوافى : جمع قافية ، وتقع فى آخر البيت . ويراد بالقوافى الشعر من إطلاق الجزء على الكل .

(٣٣) « أم مالك » كنية لَيلَىٰ . أشاب فُوَيدَىّ : مثنى فَوْد ، وهو جانب الرأس مما يلى الأذن ، والشعر النابت فوق ، وهما فَوْدَان ، ويقال : حَلّ الشيب بفوديه ، واستهان فؤاديًا : أذله ، ولم يعبأ بأحاسيسه ومشاعره !

٣٤ - أَعُدُّ اللَّيالى لَيلَةً بَعدَ لَيلَةٍ ... وَقَد عِشتُ دَهرًا لا أَعُدُّ اللَّيالِيا

٣٥ - وَأَخرُجُ مِن بَينِ البُيوتِ لَعَلَّنى ... أُحَدِّثُ عَنكِ النَّفسَ بِاللَّيلِ خالِيا

٣٦ - أَرانى إِذا صَلَّيتُ يَمَّمتُ نَحوَها ... بِوَجهى وَإِن كانَ المُصَلَّى وَرائِيا

٣٧ - وَما بِيَ إِشراكٌ وَلَكِنَّ حُبَّها ... وَعُظمَ الجَوى أَعيا الطَّبيبَ المُداوِيا

٣٨ - أُحِبُّ مِنَ الأَسماءِ ما وافَقَ اسمَها ... أَوِ اشبَهَهُ أَو كانَ مِنهُ مُدانِيا

٣٩ - خَليلَيَّ لَيلَىٰ أَكبَرُ الحَاجِ وَالمُنى ... فَمَن لى بِلَيلَىٰ أَو فَمَن ذا لَها بِيا ؟

٤٠ - لَعَمرى لَقَد أَبكَيتِنى يا حَمامَةَ ال ... عَقيقِ وَأَبكَيتِ العُيونَ البَواكِيا

٤١ - خَليلَيَّ ما أَرجو مِنَ العَيشِ بَعدَما ... أَرى حاجَتى تُشرى وَلا تُشتَرى لِيا

٤٢ - وَتُجرِمُ لَيلَىٰ ثُمَّ تَزعُمُ أَنَّنى ... سَلوتُ وَلا يَخفى عَلى النَّاسِ ما بِيا

٤٣ - فَلَم أَرَ مِثلَينا خَليلَىْ صَبابَةٍ ... أَشَدَّ عَلى رَغمِ الأَعادى تَصافِيا

٤٤ - خَليلانِ لا نَرجو اللِّقاءَ وَلا نَرى ... خَليلَينِ إِلَّا يَرجُوانِ تَلاقِيا

٤٥ - وَإِنّى لَأَستَحيِيكِ أَن تَعرِضَ المُنى ... بِوَصلِكِ أَو أَن تَعرِضى فى المُنى لِيا

٤٦ - يَقولُ أُناسٌ عَلَّ مَجنونُ عامِرٍ ... يَرومُ سُلُوًّا قُلتُ أَنَّى لِما بِيا

---

(٣٧) رواية صاحب الأغانى :

وما بى إشراك ، ولكن حبها ... كعود الشّجا أعيا الطبيب المداويا

وعود الشجا : عود يعترض فى الحلق .

(٣٨) كان منه مدانيًا : كان قريبًا منه .

(٣٩) الحَاج : جمع حائجة : وهى ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه .

(٤٠) لعَمرى : قسم . والعَمر : مدة الحياة ويقال أيضًا : لعَمْرُك؛ يرفعونه بالابتداء ويحذفون الخبر ، والتقدير . لعمرك قسمى . والعقيق : كل مسيل شقه ماء السيل . وموضع بالمدينة وباليمامة - وهو المراد هنا - وهو أيضًا موضع بالطائف ، وبتهامة ، وبنجد ، وستة مواضع أخر .

(٤٢) تُجرم لَيْلَىٰ : تجنى علىّ ، وتزعم أننى سلوت : نسيت .

(٤٥) أستحييك : أستحى منك .

(٤٦) يروم : يبغى ويقصد . أنّى : من أين؟ وكيف؟

٤٧ - بِيَ اليَأسُ أَو داءُ الهُيامِ أَصابَنى فَإِيّاكَ عَنّى لا يَكُن بِكِ ما بِيا
٤٨ - إِذا ما ٱستَطالَ الدَّهرُ يا أُمَّ مالِكٍ فَشَأنُ المَنايا القاضِياتِ وَشانِيا
٤٩ - إِذا ٱكتَحَلَت عَينى بِعَينِكِ لَم تَزَل بِخَيرٍ وَجَلَّت غَمرَةً عَن فُؤادِيا
٥٠ - فَأَنتِ الَّتى إِن شِئتِ أَشقَيتِ عِيشَتى وَأَنتِ الَّتى إِن شِئتِ أَنعَمتِ بالِيا
٥١ - وَأَنتِ الَّتى ما مِن صَديقٍ وَلا عِدًا يَرى نِضوَ ما أَبقَيتِ إِلَّا رَثىٰ لِيا
٥٢ - أَمَضروبَةٌ لَيلَىٰ عَلى أَن أَزورَها وَمُتَّخَذٌ ذَنبًا لَها أَن تَرانِيا
٥٣ - إِذا سِرتُ فى الأَرضِ الفَضاءِ رَأَيتُنى أُصانِعُ رَحلى أَن يَميلَ حِيالِيا
٥٤ - يَمينًا إِذا كانَت يَمينًا وَإِن تَكُن شِمالًا يُنازِعنِ الهَوى عَن شِمالِيا
٥٥ - وَإِنّى لَأَستَغشى وَما بِيَ نَعسَةٌ لَعَلَّ خَيالًا مِنكِ يَلقى خَيالِيا
٥٦ - هِيَ السِّحرُ إِلَّا أَنَّ لِلسِّحرِ رُقيَةً وَإِنِّىَ لا أُلقى لَها الدَّهرَ راقِيَا
٥٧ - إِذا نَحنُ أَدلَجنا وَأَنتِ أَمامَنا كَفى لِمَطايانا بِذِكراكِ هادِيا
٥٨ - ذَكَت نارُ شَوقى فى فُؤادى فَأَصبَحَت لَها وَهَجٌ مُستَضرَمٌ فى فُؤادِيا

---

(٤٧) بى اليأس : فقد الأمل فى اللقاء . والهُيام : الجنون من العشق . كما أن الهيام داء يصيب الإبل فتهيم فى الأرض لا ترعى . فإياك عنى : ابتعدى واحذرى الاقتراب منى .

(٤٨) المنايا : جمع منية؛ والمنية الموت .

(٤٩) الغمرة : الشدة . وجَلّت عنه : ارتحلت وزالت .

(٥٠) رواه صاحب الأغانى بلفظ :

فأنت التى إن شئت أشقيت عيشتى وإن شئت – بعد الله – أنعمت باليا

وفيه تأدب مع الله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

(٥١) النِّضو : المهزول من الحيوان ، ويقال : فلان نِضو سفر : مجهد من السفر . رثى ليا : بكى لما أصابنى بسببك !

(٥٢) عجيب أمرها وأمرى ! ، إن زرتُها تعرضت للعقاب ، وإن رأتنى عُدّ ذلك ذنبًا ! !

(٥٣) الرَّحل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب . أصانعه : أحاول معه فى مداراة وملاينة .

(٥٥) أستغشى : أغطى رأسى بثوبى دون حاجة إلى النوم أملًا فى لقاء طيفك وخيالك .

(٥٧) أدلجنا : سرنا بليل ، ودخلنا فى الظلام .

(٥٨) ذكت نار شوقى؛ أى : زادت فى فؤادى . وروى « فى الفؤاد » والوهَج : شدة الاضطرام .

٥٩ - أَلا أَيُّها الرَّكبُ اليَمانونَ عَرِّجوا ... عَلَينا فَقَد أَمسى هَوانَا يَمانِيا

٦٠ - أُسائِلُكُم هَل سالَ نَعمانُ بَعدَنا ... وَحُبَّ إِلَينا بَطنُ نَعمانَ وادِيا

٦١ - أَلا يا حَمامَى بَطنِ نَعمانَ هِجتُما ... عَلَيَّ الهَوى لَمّا تَغَنَّيتُما لِيا

٦٢ - وَأَبكَيتُماني وَسْطَ صَحبى وَلَم أَكُن ... أُبالى دُموعَ العَينِ لَو كُنتُ خالِيا

٦٣ - وَيا أَيُّها القُمرِيَّتانِ تَجاوَبا ... بِلَحنَيكُما ثُمَّ اسجَعا عَلِّلانِيا

٦٤ - فَإِن أَنتُما اسَتَطرَبتُما أَو أَرَدتُما ... لَحاقًا بِأَطلالِ الغَضى فَاتَّبعانِيا

٦٥ - أَلا لَيتَ شِعرى ما لِلَيلَىٰ وَما لِيا ... وَما لِلصِّبا مِن بَعدِ شَيبٍ عَلانِيا

٦٦ - أَلا أَيُّها الواشى بِلَيلَىٰ أَلا تَرى ... إِلى مَن تَشيها أَو بِمَن جِئتَ واشِيا

٦٧ - لَئِن ظَعَنَ الأَحبابُ يا أُمَّ مالِكٍ ... فَما ظَعَنَ الحُبُّ الَّذى فى فُؤادِيا

٦٨ - فَيا رَبِّ إِذ صَيَّرتَ لَيلَىٰ هِيَ المُنى ... فَزِنّى بِعَينَيها كَما زِنتَها لِيا

٦٩ - وَإِلَّا فَبَغِّضها إِلَيَّ وَأَهلَها ... فَإِنّى بِلَيلَىٰ قَد لَقيتُ الدَّواهِيا

٧٠ - عَلى مِثلِ لَيلَىٰ يَقتُلُ المَرءُ نَفسَهُ ... وَإِن كُنتُ مِن لَيلَىٰ عَلى اليَأسِ طاوِيا

٧١ - خَليلَيَّ إِن ضَنّوا بِلَيلَىٰ فَقَرِّبا ... لِيَ النَّعشَ وَالأَكفانَ وَاستَغفِرا لِيا

---

(٥٩) عرّجوا علينا : انزلوا عندنا .

(٦٠) نَعمان : جبل .

(٦١) حَمَامَىَ : تثنية جنس لا تثنية فرد؛ لأنه لو كان تثنية فرد لقال : ألا يا حمامَتَىَ ، لأن المفرد حمامة مؤنث اللفظ للمذكر والمؤنث .

(٦٣) القمريتان : تثنية قمرية ، نوع من الحمام . واللّحن : الصوت ، والسجع : المطرب من الألحان ، وعللانيا : سلّيانيا ، ونسيانى ما أعانى منه !

(٦٥) ليت شعرى : ليتنى أعثر على إجابة لهذا السؤال الذى يشغل بالى .

(٦٧) ظعَن : ارتحل . و« أم مالك » كنية لَيلَىٰ .

(٦٥) الصّبا : التصابى .

(٦٩) روى : دواهيا .

(٧٠) طاويا : أضمه وأحتويه وأشتمل عليه .

(٧١) ضَنّوا : بخلوا بها على ، وحالوا بينى وبينها .

قال الأعرابى : فلما أتمّ هذه القصيدة ظهرت له ظبية ، فوثب فى طلبها ، والتفت إلىّ وقال : السلام عليك ، فما أراك ترانى بعد هذا أبدًا ! !

♡ النهاية !!

قال الأعرابى : ثم مضَيتُ إلى الحىّ؛ فأخبرتهم خبرَه ، وأنشدتُهم قصيدته ، فكتبوها ، فلما كان من الغد بَكَرْت إليه ، وطلبته؛ فلم أقدر عليه؛ فانصرفت إلى الحَىّ ، وأعلمتُهم ، فقام إخوتُه وبنو عمِّه ، وأهلُ بيته ، فطلبناه يومنا ، وليلتنا؛ فلما أصبحنا هبطنا إلى وادٍ كثير الحجارة والرمل ، إذا نحن به مَيّتًا ، وكان قد خط بأصبعه هذين البيتين :

١٥٢ ماتَ جريحَ القلب

١ - تَوَسَّدَ أَحجارَ المَهامِهِ وَالقَفْرِ وَماتَ جَريحَ القَلبِ مُندَمِلَ الصَّدرِ

٢ - فَيا لَيتَ هَذا الحِبَّ يَعشَقُ مَرَّةً فَيَعلَمَ ما يَلقى المُحِبُّ مِنَ الهَجرِ

فرثيناه ، وعلت أصواتنا بالبكاء ، وحملناه إلى الحَىّ فبكى عليه الغريب والقريب ، وكل من سمع باسمه يومًا ، ثم غسَّلْناه ، وكفّنّاه ودفنّاه إلى جانب لَيْلَىٰ ! ! رحمهما الله تعالى ! !

♡ ♡ ♡

(١/١٥٢) توسّد : اتخذها وسادًا ينام عليه . والمهامه : جمع مَهْمه : الصحراء البعيدة والبلد المقفر . ومُنْدَمِل الصدر : يقال : اندمل الجرحُ : أخذ فى البُرء ، واندمل المريض : قارب الشفاء من مرضه أو من جرحه !

(٢) الحِبّ - بكسر الحاء - : المحِبّ ، والمحبوب .

١٥٣ كل امرىء للموتِ لابُدّ شاربُه !

قال أبو بكر : لما مات « **الملوَّح** » : أبو المجنون ، بلغه ذلك ، فأتى قبره ، وكانت له ناقة ، فنحرها على قبره - وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد - وأنشأ يقول :

١ - عَقَرتُ عَلى قَبرِ المُلَوَّحِ ناقَتى ... بِذى الرَّمثِ لَمّا أَن جَفاهُ أَقارِبُه

٢ - فَقُلتُ لَها كونى عَقيرًا فَإِنَّنى ... غَداةَ غَدٍ ماشٍ وَبِالأَمسِ راكِبُه

٣ - فَلا يُبعِدَنكَ اللَّهُ يا ٱبنَ مُزاحِمٍ ... فَكُلُّ ٱمرِئٍ لِلمَوتِ لا بُدَّ شارِبُه

❁ قال أبو بكر الوالبى - رحمه الله تعالى :

هذا جملة ما تناهَى إلينا من « أَخْبَارِ المجنون وأشعارِه » .

وما كان « مَنْحُولًا » من قصيدة ، أو خَبر - أعرضنا عن كَتْبه .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١/١٥٣) ذكر الأبيات صاحب الأغانى برواية هشام بن محمد الكلبى ، وقافية الأبيات بغير هاء (الأقارب - راكب - شارب) . وعقرت : نحرت . وذو الرمث ، أو « ذو السَّرْح » كما جاء فى رواية الأغانى - وادٍ بأرض نجد .

هذا ، وقد أبطل الإسلام عادة العقر على القبور ، قال الخطابى : كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجَوَاد ، يقولون : نجازيه على فعله؛ لأنه كان يعقرها فى حياته ، فيطعمها الأضياف فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير ، فيكون مُطعمًا بعد مماته ، كما كان مُطعمًا فى حياته ، ومنهم من كان يذهب فى ذلك إلى أنه إذا عُقِرت راحلته عند قبره حشر فى القيامه راكبًا ، ومن لم يعقر حُشِر راجلًا . وقد نهى الشارع عن الذبح تجنبًا لما كانت تفعله الجاهلية ، وبعدًا عن التفاخر والمباهاة ، فقد روى أبوداود عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عَقْرَ فى الإسلام** » . قال عبد الرزاق : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة [فقه السنة ج١/ الجنائز] .

(٢) عقيرًا : أى معقورة ، وأصل العقر : قطع القوائم ، ثم أطلق بمعنى النحر .

(٣) وفى هذا البيت يدعو لأبيه أن يكون إلى جوار ربه وأن يمن عليه برضاه ومغفرته .

obeikandl.com

♡ وبعد ...

❁ فهذا هو المجنون : قلب هائم ، وعقل شارد ، وضلوع خفاقة ، وروح أرق من النسيم ، وجسم ذائب ، وعين ذاهلة ، وهو إلى ذلك ذو حياء فيه رقة وسَذاجة !

❁ هو مريض الغرام ، بل هُو شِلْوٌ طريح لا يشفيه غير لَيْلَىٰ ، يهيم على وجهه فى البوادى والقفار ، يَتَنَسم أنسام لَيْلَىٰ ، ويُصغى لأنغام الرياح التى تهب من جانب لَيْلَىٰ ، ويُحمل كل طير سلامًا ، ويُلْقِى على كل أكمة فلذة من روحه ، وفى كل وادٍ قطرات من دموعه وجروحه ، لا يُصغى لنصيحة ناصح ، ولا يفقه أن الحياة غير العاطفة الجارفة الجياشة ، وغير النظرات الذاهلة ، فهو لا يملك شعوره ، ولا يقوى على توجيه القلب على طريق العقل والاتزان ، وقد بلغ به الهُيام إلى حد بعيد ، فكان يُغمى عليه ولا يُفيق إلا على ذكر لَيْلَىٰ ! ، وكان ينفر من النَّاس كالوحش الضارى لا يلينه إلا ذكر لَيْلَىٰ !

❁ وأخيرًا قضى عليه الألم والوجد فأُلْقِىَ طَريحًا على الرمال صريع حُبّه وهُيَامه !

المحقق

♡ ♡ ♡

openkandl.com

فهرس المقطوعات والقصائد الواردة فى الديوان
حسب ترتيب قوافيها

رقم المقطوعة	عنوانها	عدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
٣٩	وقالوا : لو تشاء سلوت عنها	٤	همزية	وقالوا لو تشاء	لا أشاءُ
٩	أتوب إليك يا رحمن !	٥	بائية	ذكرتك	وجيبُ
١٠	الحبُّ للمرء قاتل !	٤	بائية	لقد هم	الصعب
١٤	أحقًا عباد الله	٧	بائية	ألا لا أرى	تطيبُ
٦	وناديت يا رحمن	٧	بائية	دعا المحرمون	ذنوبُها
١٦	لك الله إنى واصل	١٣	بائية	وكم قائل	عجيبُ
٢٧	نار الهوى فى القلب تلتهب	٣	بائية	لو سيل	الكربُ
٣٠	ألا أيها النُّوّام ويحكمُ هُبُّوا	٤	بائية	ألا أيها	الحُبُّ
٣٢	كيف السبيل إلى لَيْلَىٰ ؟!	٥	بائية	إليك عنى	العطبُ
٣٦	عفا الله عن لَيْلَىٰ !	٣	بائية	عفا الله	عائبِ
٤٨	وَيْلى على العُذّالِ	١٣	بائية	هوى صاحبى	جَنُوبُ
٦٣	أُحُجّاجَ بيتِ الله !	٢	بائية	أحجاجَ	قلبى
٦٤	ومغترب بالمَرج يبكى	٢	بائية	ومُغتربِ	الحُبّ
٧١	سأبكى على ما فات مِنى صبابة	٦	بائية	سأبكى	الذواهبِ
٧٦	فؤادى بين أضلاعى غريب	٤	بائية	فؤادى	يجيبُ
٧٧	ومستوحِشٍ	١	بائية	ومستوحش	غريب
٨٥	لقد عشت من لَيْلَىٰ زمانًا أحبها !	٢١	بائية	أيا ويح	مذهب
٩١	كلانا يا أُخَىَّ نحب لَيْلَىٰ !	٢	بائية	كلانا	التراب
١٠٩	أجارتى أصبحت مالكة	٢	بائية	شغف	كرْبِ
١٢٢	حبيب نأى عنى الزمان بقربه	٣	بائية	حبيب	حبيب
١٢٧	توعدنى قومى بقتلى	٢	بائية	توعدنى	الذنب
١٣٠	أحن إلى لَيْلَىٰ !	٢	بائية	أحن	المثَقّبُ
١٤٢	سأستعطف الأيام فيكِ	١١	بائية	لئن كثرت	رقيب
١٤٣	ألا هل طلوع الشمس يُهْدى	٣	بائية	ألا هل	غروبها
١٤٦	فوالله ثم والله !	٧	بائية	فوالله	فأعجب
١٤٨	رُضابٌ كريح المسك	٢	بائية	وعارضن	غروب

رقم المقطوعة	عنوانها	عدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
١٥٣	كل امرئ للموت لابد شاربه	٣	بائية	عقرت	أقاربه
١٤١	لم تزل مقلتى تفيض بدمع !	٤	تائية	لم تزل	فقدتُّها
١٤٧	ألا يا نسيم الريح	٣	تائية	ألا يا نسيم الريح	ورضيت
٧٥	ومفروشة الخدين وردًا	٤	جيمية	ومفروشة الخدين	بنفسجًا
١٠٣	أمن أجل غربان تصايحن دمعك سافح ؟	٥	حائية	أَمِن أجْلِ	سافحُ
١١٩	خلَيْلَى هل قيظ بنعمان راجع ؟	٣	حائية	خَليلَىَّ	الصوالحُ
١٣٦	رُعاة الليل ما فعل الصباح ؟	٩	حائية	رُعَاةَ الليلِ	المِلَاحُ
١٤٩	هبونى امرأ ..	٤	حائية	هبُونى	صافحُ
١٥٠	تجافيت عنى	٢	حائية	وأدنَيْتِنى	الأباطحِ
١٠١	ألا يا غراب البين هيجت لوعتى	٧	خائية	ألا يا غُراب البين	تصرخُ
٧	ألا حبذا نجد وطيبُ تُرابها	٧	دالية	ألا حبذا	العهدِ
١٩	لو يسمعون كما سمعت كلامها	٣	دالية	ركبانُ مكة	هُمودًا
٣١	قيس يرحب بالجراد	٣	دالية	حُب إلينا	الأكبادُ
٣٧	إلى الله أشكو طول هذى الشدائد !	٩	دالية	فيا قلب	بخالدِ
٥٥	ألا إن لَيْلَىٰ بالعراق مريضة	٢	دالية	ألا إن لَيْلَىٰ	وترقدُ
٥٨	فوالله ما أدرى إذا أنا جئتها !	٢	دالية	يقولون لَيْلَىٰ	أعودُها
٧٤	يا من شغلت بهجره ووصاله !	٢	دالية	يا من شغلت	معادى
٧٨	إن الحسان مَظِنّة للحُسّد	٤	دالية	بيضاء	أسْوَدِ
٧٩	أحن إلى نجد	٢	دالية	أحن إلى نجد	نجدِ
٨٣	شريت بشاتى شبه لَيْلَىٰ	٣	دالية	شَرَيْتُ	وتالدى
٨٧	بكل تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا	١١	دالية	خليلَىّ	من عهدِ
٩١	أحب السبت من كلفى بلَيْلَىٰ	٣	دالية	رددت قلائص	للعهودِ
٩٦	ألا ليت لحدك كان لحدى	٥	دالية	أرِقت وعادنى	بليدُ
١١٠	يأيها الركب !	٣	دالية	يأيها الركب	أجدُ
١١٥	لها فى طرفها لحظات حتفِ	٨	دالية	ذكرت عشية	جديدُ
١١٦	ألا قاتل الله الهوى	٢	دالية	ألا قاتل	جليدُ
١٢٨	هذا الوداع لمن روحى الفداء له !	٤	دالية	قد كنت	مفتقدا
١٢٩	أموت وأحيا إن ذا لشديد !	٣	دالية	فلو أن ما ألقى	وحديدُ
١٣٣	وجدت الحب نيرانا تلظّى	٣	دالية	وجدت الحب	وقودُ

رقم المقطوعة	عنوانها	عدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
٧	دعا باسم لَيْلَىٰ غيرها	٥	رائية	وداعٍ دعا	يَدرِى
٨	نار الأسى	١٦	رائية	أيا لَيل	بالجمر
٤	علة الحب	٤	رائية	ألا حجبت لَيْلَىٰ	أزورُها
٢٤	إن الظباء التى فى الدور تعجبنى !	٤	رائية	إن الظّباء	الشجرَا
٢٨	أحن إلى الحجاز	٦	رائية	أحن إلى أرض الحجاز	يقصُر
٤١	أحسن شىء قاله المجنون فى العفة	٣	رائية	ألا يا شفاءَ	سرائرُه
٤٦	سقى الله حَيًّا ..	٤	رائية	أقولُ	النواظر
٥٠	يا موقد النار !	٥	رائية	يا موقد النار	وأمطار
٥١	أقول لأصحابى ..	٢٨	رائية	أقول لأصحابى	صدرى
٥٩	ألا أيها القوم الذين وشوا بنا !	١٨	رائية	ألا أيها القوم	برّ
٦٠	ألا يا عقاب الوكر !	١٣	رائية	ألا يا عُقابَ	وكر
٦٦	تَعَزّ بصَبْر	٢	رائية	تَعَزّ	الغوائر
٦٩	تمتع من شميم عرار نجد	٦	رائية	أقول لصاحبى :	فالضِّمار
٧٣	وفيك المنى لولا عدو أحاذره	٩	رائية	بنفسى من لابُدّ	ذاكرُه
٨٨	أيا هجر لَيْلَىٰ !	١٣	رائية	أيا هجرَ لَيْلَىٰ	الهجرُ
٩٥	ألا ليتنا	٥	رائية	ألا ليتنا	قَفْر
٩٧	عفا الله عن لَيْلَىٰ	٥	رائية	أأترك لَيْلَىٰ	لصبورُ
١٠٠	وقالوا : دواء الحبّ غالٍ	٦	رائية	طبيبان	الأجر
١٠٧	شكوت إلى سرب القطا	٢٠	رائية	شكوتُ	جديرُ
١٠٨	أجَدّ بأحياء الجميع بكورُ ؟	٩	رائية	أجَدّ بأحياء	تزورُ
١١٣	ومِمّا شجانى !	٤	رائية	ومما شجانى	أدرى
١٢٣	أنيرى مكان البدر	٢٢	رائية	أنيرى	الفجرُ
١٥٢	مات جريح القلب	٢	رائية	توسّدَ أحجار	الصدر
١٢٦	من أعز خلق الله عليك يا لَيْلَىٰ ؟	٣	شينية	إذا ذهلت	وأعيشُ
١٣٤	لقد محض الله الهوى لك خالصًا	٤	شينية	أما والذى	بَطْشِى
١٨	وذكرنى من لا أبوح بذكره	٤	صادية	وذكّرنى	قانصِ
٩٤	عبرات المحب كيف تراها ؟	٤	ضادية	أنُفُس العاشقين	يتقضَّى
١١٨	ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى	١٢	ضادية	ألا أيها الشيخ	الخفضا
١٣١	إذا جاءنى منها كتاب !	٤	ضادية	إذا جاءنى	الأرض

رقم المقطوعة	وعنوانها	عدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
١	هل لى إلى لَيْلَىٰ الغداة شفيع ؟!	٦	عينية	مضى زمن	شفيع
١٣	أحب شىء إلى الإنسان ما مُنِعاَ !	١٠	عينية	ما بال قلبك	طمعا
٢١	ألا يا شبه لَيْلَىٰ	٢	عينية	ألا يا شبه لَيْلَىٰ	القلاعِ
٣٣	بلادى . . !	٣	عينية	بلادى	نزوعُ
٦١	فصبرًا لأمرِ الله	٢	عينية	فو الله	أجزع
٧٠	علام تخاف البين ؟!	٣	عينية	من أجل	المضاجع
٨٩	إلى الله أشكو !	١٤	عينية	أيا حدجات	ربيع
١٢٥	ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة	٢	عينية	ألا ليت شعرى	فراجع
١٤٥	فواكبدى !	٥	عينية	فواكبدى	كالخداع
٢٠	أيا شبه لَيْلَىٰ	٤	قافيّة	أيا شبه لَيْلَىٰ	صديق
٣٨	يا ليت من جهل الصبابة ذاقها !	٧	قافيّة	إن الغوانى	صديق
٤٥	فياكبدا أخشى عليها !	٨	قافيّة	لقد طرقتنى	لطَرُوقُ
٥٦	يقولون لَيْلَىٰ بالعراق مريضة !	١٥	قافيّة	يقولون لَيْلَىٰ	صديق
١٠٦	أإن سجعت فى بطن واد حمامة	٤	قافيّة	أإن سجعت	دافق
١٤٤	فياليت لَيْلَىٰ وافت كل حجة	٤	قافيّة	فياليت لَيْلَىٰ	رفيقها
١٠٢	أقول : وقد صاح الغراب	٥	كافية	أقول وقد صاح	الشبائك
١٣٧	أيا ناعيى لَيْلَىٰ بجانب هضبة	٦	كافية	أَيَا نَاعِيَىْ	سواكما
٢٢	تروح سالما يا شبه لَيْلَىٰ	٢	لامية	تروّح سالما	البقولا
٢٦	وكنت كذبّاح العصافير	٢	لامية	وكنتُ كذبّاح	تهملْ
٢٩	وعندكم عقلى	٢	لامية	وشُغِلت عن	شُغلى
٤٠	زرعن الهوى فى القلب ثم سقينه	١٠	لامية	ليالى أصْبو	عُصُلِ
٤٢	ألا حبذا أطلال لَيْلَىٰ	٤	لامية	يجيشون	حِلا
٥٧	أيا شبه لَيْلَىٰ !	٢	لامية	أقولُ لظبى	يُقالُ
٦٢	أحدث عنك النفس	٨	لامية	ألا هل إلى	سبيلُ
٦٨	ألا أيها القلب	١٥	لامية	ألا أيها القلبُ	تعقلُ
١٢٠	ألا إن لَيْلَىٰ العامرية أصبحت	٣	لامية	ألا إن لَيْلَىٰ	حبالُها
٢	صغيرين نرعى البَهَم !	٢	ميمية	تعلقت لَيْلَىٰ	حجمُ
٤	علة الحب	١	ميمية	صريع من الحب	يسلم

رقم المقطوعة	عنوانها	عدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
٣٥	كل المشارب مُذ هجرت ذميمُ !	٥	ميمية	اقرأ على الوشل	ذميمُ
٤٣	المجنون وغراب	٢	ميمية	ألا يا غراب البين	تكَلَّما
٤٧	لقد هتفت فى جنح ليل حمامة	٤	ميمية	لقد هتفت	لَنَائِمُ
٤٩	من أجل لَيْلَىٰ !	٣	ميمية	أموت	ونسيمُها
٦٤	أنا الوامق المشغوف والله ناصرى !	١٩	ميمية	أنا الوامقُ	ويظلمُ
٦٧	أظلُّ أمنّى النفسَ إياك خاليًا	٧	ميمية	وإنى وإن لم	التمائم
٨٦	أيا جبلى نعمان !	٩	ميمية	أيا جَبَلَى نعمان	نسيمها
٩٠	وكيف أعزى القلبَ عنها ؟!	١٧	ميمية	خليلَىّ	سَلّما
١١١	وأنت التى ..	٦	ميمية	وأنت التى	جُثوم
١١٢	لقد أضرمت فى القلب نارًا	٤	ميمية	تعود مريضًا	السقما
١٣٨	أيا قبر لَيْلَىٰ !	٥	ميمية	أيا قبر لَيْلَىٰ	عَجَمْ
١٤٠	إلى الله أشكو حب لَيْلَىٰ !	١٢	ميمية	لصفراءَ	صميم
٣	هكذا شأن المحبين	٢	نونية	كلانا مظهر	مكين
٥	يارَبّ !	٣	نونية	ياربّ	المحبينا
٣٤	ألا يا ركيّات الرسيسِ !	٣	نونية	ألا ياركيات	شجونُ
٥٣	وهلل للرحمن حين رآنى	٦	نونية	وأجهشت	رآنى
٧٢	وأبكى إن سمعت لها حنينا	٣	نونية	أحِنّ	حنينا
٨١	أيا جبل الثلج !	١١	نونية	أيا جبل الثلج	مؤتلفان
٨٢	أحبك حُبًّا لو تحبين مثله !	٢	نونية	أُحِبُّك	جُنونُ
٩٣	فياليت أحلام المنام يقين !	٤	نونية	أرى النَّاس	فسمينُ
١٠٤	ألا يا حمامات الحِمى !	١١	نونية	ألا يا حمامات الحِمَى	حنون
١٠٥	أغرك يا حماماتِ طريق ؟	١٠	نونية	أجَدّك	حزينا
١١٧	على دِمْنَتَى دار لَيْلَىٰ	٣	نونية	على دِمنتى	خَلِقَانِ
١٢١	ألا يا بائعى لَيْلَىٰ بمكة ضلة	٢	نونية	ألا يا بائعى	الثمنان
١٢٤	أليس الليل يجمعنى ولَيْلَىٰ ؟!	٢	نونية	أليس الليلُ	تدانى
١٣٢	من مبلغ عنى الحبيب رسالةً	٤	نونية	أيا مُهدِيًا	تشيان
١٣٩	المجنون يستمع إلى شعر قيس بن ذريح	٣	نونية	وإنى لمُفن	كائنُ
١٥	تمتع من ذُرى هضباب نجد	٢	هائية	تمتّع	تراها
٢	أشل الله كفّى من رماها	٢	هائية	إذا نظرت	سواها

obeikandl.com

رقم المقطوعة	وعنوانها	وعدد أبياتها	نوع قافيتها	مطلعها	قافيتها
٥٤	يقول لى الواشون	٤	هائية	يا صاحِبَىّ	غَلاَّهَا
١٢	يقولون : لَيْلَىٰ بالعراق مريضة	١٦	يائية	لقد لامنى	وخاليًا
١٧	دعونى .. دعونى !	٢٢	يائية	دعونى	المكاويا
٢٣	أيا عَزّ	٥	يائية	أيا عَزّ لو	ليا
٤٤	المجنون وقد لاح له البرق !	٦	يائية	ألا لا أُحِبُّ	يمانيا
٥٢	ألا أيها الطير المحلق غاديًا !	٤	يائية	ألا أيها الطير	مناديا
٨٠	إذا لم أجد عذرًا لنفسى !	٣	يائية	ألا إنما	ورائيًا
٩٨	قلت : لبيك ..	٣	يائية	بينما نحن	هويا
٩٩	معذبتى لولاك ما كنت سائلًا	١٧	يائية	هنيئًا	ثيابيا
١١٤	بى اليوم ما بى من هيام	٥	يائية	بى اليوم	ما بيا
١٣٥	ألا يا طبيب الجن ويحك داونى !	٦	يائية	ألا يا طبيب الجن	دائيًا
١٥١	أطول قصائد المجنون وأرقها	٧١	يائية	تذكرت لَيْلَىٰ	ناهيا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

obeikandl.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
مجنون لَيْلَىٰ ومجنون لُبنى !	٩
الزمان والمكان	٩
مخطوطات الديوان وطبعاته	٩
عملى فى هذا الديوان	١٠
الحكاية من البداية إلى النهاية	١٣
قيس ولَيْلَىٰ بعد أن فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما !	١٥
أهلُ قَيسٍ يُحَاوِلُونَ جَمْعَ الشمل وتخفيف ما به !	١٧
حوار بين عبد الملك وكُثَيِّر حول أعشق الشعراء ! !	٣١
إِنْسِيّ أنت أم جِنّيّ ؟!	٣٢
مع المجنون فى مشاهداته وذكرياته !	٤٠
محاولة ثانية لإعادة المجنون إلى حَيِّه وأهله ! !	٥٦
المجنون ورَهْطٌ من بنى أسد !	٦٠
أبو عيسى والمجنون	٦٤
نوفل بنُ مُسَاحق والمجنون	٨٣
سَبَبُ تَوَحُّشِ المَجنون	٨٨
خروج المجنون مع أبيه فى عِدّةٍ مِن عَشيرتِه	٩١
المجنون مع الغربان ، والطير ، والحمائم ، وأسراب القطا ! !	٩٤
لَيْلَىٰ والمجنون	١٠٢
مُحَاولات العَمّ « **يزيد** » وموتُه قبلَ تحقيق ما كان يريد !	١٠٦
لَيْلَىٰ العامرية تَسْأل عن المجنون	١٠٩

obeikandi.com

أبو المجنون يَعْرِضه على الطبيب ! ١١٧
فارسان يَنْعَيَان لَيْلَىٰ إلى المجنون ! ١١٩
أَطْوَلُ قصائِد المجنونِ وأرَقُّهَا وأَجْمَلُهَا ! ١٢٨
النهاية ! ! ١٣٤
وبعـــد ١٣٦
فهرس المقطوعات والقصائد الواردة فى الديوان حسب ترتيب قوافيها ١٣٧
فهرس المحتويات ١٤٣

obeikandl.com